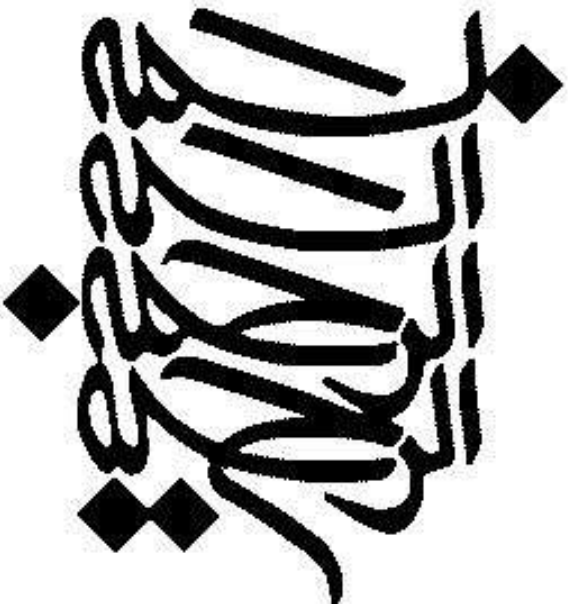

مجلة علمية نصف سنوية

# الحكمة والمعنوية

السنة الثانية، العدد الرابع، شوال ١٤٤٦ هـ - مايو ٢٠٢٤ م
تصدر مرتين في السنة عن جامعة المصطفى ﷺ العالمية، جامعة المصطفى ﷺ الافتراضية
(الجمعية العلمية للكلام الإسلامي بالتعاون مع قسم الحكمة والدراسات الدينية و معاونية البحث و الإنتاج)

**المدير المسؤول :** أ. د. سعيد أرجمندفر
**رئيس التحرير:** أ. د. حمزة علي إسلامي نسب
**المدير التنفيذي :** أ. د. حمزة علي اسلامي نسب

**هيئة التحرير:**

| | |
|---|---|
| سعيد ارجمندفر | رئيس جامعة المصطفى ﷺ المفتوحة (ايران) |
| حمزه علي اسلامي نسب | أستاذ جامعي (ايران) |
| عباس كنعان | استاذ جامعي (لبنان) |
| علي احمدي امين | مدير قسم الحكمة ودراسات الاديان في جامعة المصطفى ﷺ المفتوحة(ايران) |
| رسول اميرقهرمانى | استاذ جامعي (ايران) |
| توفيق اسداف | استاذ جامعي (ايران) |
| محمد أكديد | أستاذ جامعي (مغرب) |
| احمد شه گلى | مدير قسم الفلسقة في مؤسسة الحكمة والفلسفة لايران (ايران) |
| وفا نصرالله | أستاذة في جامعة بلاد الشام (سوريه) |
| حميد مريديان | أستاذ في الجامعة والحوزة العلمية (ايران) |
| سوسن الفضلي | أستاذة جامعية (اليمن) |

**نشاني:** قم، خيابان ساحلى جنوبى، نرسيده به مصلى، بين كوچه ٦و٤
**تلفن و نمابر:** ٣٢١١٤١٣٨ - ٣٢٦١٣٨٧٥
**تعداد صفحات:** ٢٣١ صفحه

**صندوق پستى:** ٣٧١٣٩١٣٥٥٤
**شمارگان:** چاپ الكترونيكى
**شاپا:** ٢٦٧٦-٧٦١٩

**Web**:*www.mou.ir*
**Email**: *research@mou.ir*

على أساس الترخيص :

الإدارة العامة لتنظيم ودعم البحوث

المعاونية البحثية لجامعه المصطفى العالميه ﷺ

( بتاريخ : ١٤٠١/٠١/٢٥ )

بموجب الرسالة رقم ٣٥١٩

هذا المنشور على مستوى المنشورات العلمية – الطلابية

# شروط كتابة المقال

١. يجب أن يتضمن المقال ما يلي:

✓ *العنوان، والملخص، والكلمات المفتاحية، والمقدمة، والعرض، والنتيجة، وقائمة المصادر.*

٢. تخضع المقالات المستلمة للتحكيم العلمي شريطة أن لم تنشر سابقاً، ويتعين على الكاتب التعهد بعدم قيامه بإرسال مقاله إلى مؤسسات أخرى.

٣. يتحمل «الكاتب المراسل» *(Corresponding Author)* مسؤولية صحة المعلومات الواردة في المقال من الناحيتين العلمية والحقوقية.

٤. تحتفظ المجلة لنفسها بحق رفض المقالات أو قبولها.

٥. لا يتم القبول النهائي لطبع المقال في المجلة، إلا بعد موافقة هيئة التحكيم وهيئة التحرير عليه.

٦. يجب عدم تجاوز حجم المقال ٨ صفحات كحد أدنى، و٣٠ صفحة كحد أقصى، وكل صفحة عبارة عن ٢٥٠ كلمة.

٧. يجوز النقل والإقتباس من المقالات المنشورة الأخرى شرط ذكر المصدر.

٨. يستخدم نوع الخط *(IRLotus)* وحجم الخط (١٤) في طباعة المقال بالعربية.

٩. يتضمن قائمة المصادر المرتبة وفق الحروف الأبجدية ما يلي:

✓ فيما يتعلق بالكتاب: لقب واسم الكاتب (تاريخ النشر). عنوان الكتاب (بخط غامق). اسم المترجم أو المصحح (إن كان). الطبعة. مكان النشر: اسم الناشر.

✓ فيما يتعلق بالمقالة: لقب واسم الكاتب (تاريخ النشر). عنوان المقالة (بخط غامق). اسم المجلة (بخط ايتاليک). الدورة. العدد: مجموع صفحات المقالة.

١٠. تندرج التوثيقات المرجعية في النص الأصلي على النحو الآتي (اسم المؤلف، تاريخ النشر: الصفحة).

١١. تندرج التوثيقات التوضيحية في هامش الصفحة نفسها، ككتابة المفردة باللاتينية، وشرح المصطلحات و... غيرها.

١٢. على كاتب المقال إرسال مقالة مزوداً بالمعلومات التالية: الإسم واللقب، والمستوى العلمي، والبريد الإلكتروني.

# الفهرس

كلمة المحرر ..... ٩

فلسفة العرفان (دراسة تحليلية)..... ١١
علي الزهيري

دور زيارة البقيع في التكامل المعنوي للانسان..... ٣٥
حمزة على اسلامي نسب، على الزهيرى

إحصاء أسماء الله الحسنى ودوره في تعديل السلوك..... ٥٩
بولحية نوارة

مفهوم أمهات المؤمنين في الآية السادسة من سورة الأحزاب..... ٩٥
حمزة على اسلامي نسب، عبدالرضا الصالح

تكامل النفس وحقيقته من منظار العلامة اليزدي..... ١١٥
علوية المقبل

في رحاب الوحدة والتقارب بين المسلمين..... ١٤٥
محمد أكديد

تجلي الإنسان الكامل من منظر العرفان المنطلق من فكر الإمام الخميني(ره)..... ١٦٩
على شميل پور

منشأ الرؤيا عند ابن عربي..... ١٨٥
حمزة على اسلامي نسب، ريم جورية

الفلسفة تعريفها، موضوعها وغايتها عند العلامة الطباطبائي.....٢٠٣
على سبت

القضايا الكلامية والفقهية للبقيع.....٢١٧
مصطفى الحوري

## كلمة المحرر

باعتبار أن الفلسفة بمعناها العام تتضمن الحكمة النظرية والعملية؛ وهو في الوقت نفسه، وبمعناه الخاص، علم يُشار إليه بـ "علم اللاهوت". وفي الوقت نفسه فإن علم الكلام هو أيضاً علم يثبت الدين في المرحلة الأولى بالمبادئ والأسس والحجج العقلانية، وفي المرحلة التالية يشرح فروع العقائد بالحجج السردية. ولذلك فإن كلا العلمين يتناولان موضوع اللاهوت.

ومن ناحية أخرى، تعتبر المباحث الفلسفية واللاهوتية، بالإضافة إلى وجود تاريخ طويل في تاريخ إيران، من أقدم العلوم الإنسانية في الأوساط العلمية في العالم. كما أن الموضوع الميتافيزيقي نما مع ظهور الإسلام بين علماء المسلمين وما زال يتوسع. ومن هذا المنطلق، حاول مفكرو هذا المجال العلمي استهداف أبسط وأعم الأسئلة الإنسانية في مختلف المجالات الفلسفية والدينية وتزويدها بإجابات عميقة مبنية على حجج عقلانية في ضوء الوحي الإلهي.

تحاول المجلة العلمية نصف السنوية "الحكمة والمعنوية" تناول الموضوعات المهمة في علم اللاهوت والفلسفة من خلال الاستفادة من القدرات العلمية للعلماء والاستعانة بالأساتذة والكُتاب الخبراء. ومن المؤمل أن تنال المقالات المقدمة استحسان القراء، وأن يستفيد قسم الحكمة ودراسات الاديان والجامعة الافتراضية من انتقاداتهم وتوجيهاتهم.

ا.د. حمزة على اسلامي نسب

# فلسفة العرفان (دراسة تحليلية)

علي الزهيري[1]

الخلاصة

انشغل الانسان وبمرور الأزمان بالبحث عن الحقيقة وواقعية الاشياء، ومن طلب الحقيقة لا يعدو ان يكون من المتكلمين او الحكماء او العرفاء، لأنهم اتجهوا صدقا صوب الحقيقة لإصابتها والوصول الى اللذة المنشودة من خلالها. وعلى الرغم من اتفاق هذه الفرق الثلاثة على هدفهم - وهو الوصول الى الحقيقة - الا انهم اختلفوا في طرق الوصول لها؛ فالمتكلم اعتمد على النص الشرعي، والحكيم اتخذ من العقل الوسيلة الرئيسية، اما العارف فقد اتخذ من طريق السير والسلوك سبيلا للوصول الى الحقيقة عن طريق ممارسة الرياضات الروحية وتزكية النفس

لدراسة الفلسفة واصولها الاهمية الكبرى للعارف ومن يسير بدرب السير والسلوك، وحيث ان السالك في بداية دربه يقوم بتزكية نفسه عن طريق تنظيفها وتخليتها من كل درن وشائبة، ومن ثم تشريف النفس وتحليتها بكل ما هو جميل في نظر الشريعة ليكون مستحقا للتجليات الإلهية. فما دام هو يقصد الكشف والحقيقة من خلال المجاهدات فلابد من ان تخضع هذه المكاشفات وما يرزق به من شهود الى القوانين العقلية الفلسفية إذ: لابد للسالكين من اصحاب المجاهدات السائرين في طريق الحقيقة بمساعي الجد والاجتهاد ان يحصلوا العلوم الفكرية والمعارف اليقينية النظرية بعد تصفية القلب من شوائب النسب الخارجية بقطع العلائق المكدرة وتحليته بمكارم الاخلاق ومحامدها حتى تصير هذه العلوم النظرية التي من جملتها الصناعة الآلية المميزة بالنسبة الى المعارف الذوقية كالعلم الآلي المنطقي بالنسبة الى العلوم النظرية،

---

١ . ماجستير في التفسير وعلوم القران في جامعة المصطفى المفتوحة

وذلك لأن الملكة الحاصلة عقيب استحضار الابحر الشعرية والنغم الموسيقية، فإن بها يتمكن صاحبها من التمييز بين الموزون وغير الموزون مما يتحير فيه اصحاب النظر. فإذا استحصل السالك المجتهد تلك الملكة، فلو تحير في اثناء الطلب والسلوك وتوقف في بعض المطالب التي لا تحصل له بالفكر يتمكن من استخراجه بتلك الملكة الفاضلة من توجيه حقيقته للمسترشد الناقد ولا يخفى ان هذا أتم في الكمال والتكميل.

الكلمات الرئيسية: الفلسفة، العرفان، السالك، الرياضات الروحية، المكاشفات

المقدمة

بيان البحث:

يعد الانسان غاية الوجود، والمعرفة هي ما تبحث كل شيء عن الانسان من جوانب عدة، منها الديني والثقافي والاجتماعي والبيولوجي وغيرها.

ان هذا الكائن الفريد (الانسان) كان وما يزال موضعا للتأمل والدراسة من قبل مختلف العلوم. أن يكون للإنسان قيم يؤمن بها ويتمحور حولها وتصبح هي الحاكمة على حياته ويتعامل مع الملذات والشهوات تحت إطار هذه القيم. هذه الحالة تسمى حالة التدين. فحياة غير المتدنين متدهورة؛ لأن التدين يحيي البعد الروحي في شخصية الإنسان، وهو الذي يميز الإنسان عن الحيوانات حيث لا يوجد عندها بعد روحي، بينما حقيقة الإنسان تحتوي على هذا البعد، فالإنسان بالروح لا بالجسم.

لا يخفى على ذوي البصيرة أن السر الحقيقي لخلق الانسان ونشأته وتكامله هو بغية الوصول الى الحقيقة وهي ذروة ما في استعداده ووعاءه، ان الغاية الالهية من خلق الانسان لم تكن لمجرد اكله وشربه وانغماسه في الشهوات ولو في الطرق المحللة. ولم

تكن ليعيش الفرد وسط افراد مجتمعه ليسلك سبل عاداتهم وتقاليدهم سواء أكانت قبلية أم مدنية. وإنما للوصول الى أعلى ما يمكنه الرقي وفقا لإستعداده ووعاءه قال تعالى: (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا...) (سورة الرعد : الاية١٧)

ولعل ما جاء في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (سورة الذاريات: الاية٥٦). يفصح عن ذلك السر الحقيقي.

ان اسمى ما في هذا الوجود العظيم والمنظومة الكونية الرائعة في التصميم الهندسي هو ان يعبد المخلوق خالقه بمعرفه وعلم ليقر بذل العبودية امام خالقه ويتحسسها، كما ان حرف الـ(لام) في كلمة (ليعبدون) يشير الى جنس العبادة لا غيرها.

واذا اراد الانسان ان يتقرب الى ربه الكريم ويدخل في ساحة حبه وعشقه تبارك وتعالى ويسرح في ميادين السابقين فعليه ان يعرف ربه ويعرف من يعبد اولا، فإذا عرفه وعرف اسمائه وصفاته يبدأ قلبه بتلذذ الحب الالهي، كما ورد في مناجاة المحبين للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

«إلهي مَن ذا الَّذي ذاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرامَ مِنكَ بَدَلاً وَمَن ذا الَّذي أنِسَ بِقُربِكَ فَابتَغى عَنكَ حِوَلاً... أسأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَن يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يوصِلُني إلى قُربِكَ، وَأن تَجعَلَكَ أحَبَّ إلَيَّ مِمَّا سِواكَ وَأن تَجعَلَ حُبّي إياكَ قائِداً إلى رِضوانِكَ وَشَوقي إلَيكَ ذائِداً عَن عِصيانِكَ» (القمي، ١٣٦٣هـ ش: ١، ص ٣٤).

فيبدأ بالخلاص من كل سيئة قد ادخلت الى قلبه فينقيه: «أنتَ الّذي أزَلْتَ الأغْيارَ عن قُلوبِ أحِبّائكَ حتّى لَم يُحِبّوا سِواكَ» (المرجع نفسه). ومن ثم يدخل اليه كل ما يحبه محبوبه ويقبل به ويرضيه ويفرح به لينطلق القلب الى صعودا الى خط الكمال فيتسامى باخلاقه الزاكية وروحه اللطيفة مقتربا من العلي الاعلى. لذلك، ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير كلمة (ليعبدون) بأنها المعرفة أي ليعرفون:

«حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا أحمد بن إدريس عن الحسين بن عبيد الله عن الحسن بن علي بن أبي عثمان عن عبد الكريم بن عبد الله عن سلمة ابن عطا عن أبي

عبد الله " ع " قال: خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: أيها الناس ان الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يا بن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته» (الصدوق، ١٤٢٧هـ: ج١، ص ٣٣).

فإذا ما تحققت المعرفة تحققت العبادة واذا تحققت العبادة تحقق الحب وهو بدوره يقود العبد الى طريق الكمال والتسامي الروحي تجاه الخالق تبارك وتعالى.

هدف البحث:

لاشك ولا ريب ان الدين هو السبب الحقيقي الموصل للسعادة الابدية، ولكن يا ترى أي دين هذا الذي يوصل للسعادة المنشودة؟ أهو الدين الذي تم تحريفه من قبل السلاطين ووعاظهم؟ ام هو الدين الذي اتخذه الماديون اعتمادا على العقل فقط بمعزل عن السماء؟ الى كثير من التساؤلات ...

ان المقصود من الدين الموصل للسعادة هو الدين المرتبط بالوحي السماوي الذي لا يأتيه الباطل ابدا، هذا الدين الذي حرص الله تعالى نفسه عليه بل وتكفل بحفظه. كما ان اضمن طريق للوصول الى المعنى الحقيقي والجوهري للدين هو طريق التزكية للنفس والسير والسلوك الى الله تعالى بغية الكشف عن الحقيقة ومشاهدتها؛ وهذا ما يطلق عليه اهل السير والسلوك بالعرفان. إذن؛ ما نريده من بحثنا هذا هو الوصول الى ان العرفان هو الطريق الاسمى للسعادة.

الخلفية البحثية:

علم العرفان من العلوم التي حدث الاختلاف عليها من حيث القبول او عدم القبول، أي من حيث اعتبارها من العلوم التي يوافقها الشرع ام التي يرفضها. إذ اختلفت آراء العلماء

في قبول او رفض علم العرفان، فمنهم من اعتبره من العلوم التي تقرب من الله تعالى بل هي صلب الدين والايمان كأبن عربي، ومنهم من ذهب الى ان هذا العلم هو علم باطل وبدعة تستوجب دخول النار كإبن تيمية، وكل من الفريقين ساق الادلة على مدعاه.

## المبحث الاول: العبادة والعرفان

### المطلب الاول: العرفان في اللغة والاصطلاح

اما لغة: فقد اشتقت مفردة عرفان من (عَرَفَ): فقد جاء في كتاب لسان العرب: «عرف: العرفان: العلم... عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحدا... والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم، قال طريف بن مالك العنبري، وقيل طريف بن عمرو:

أو كلما وردت عكاظ قبيلة، بعثوا إلي عريفهم يتوسم؟

أي عارفهم.

وعرفه الأمر: أعلمه إياه. وعرفه بيته: أعلمه بمكانه. وعرفه به: وسمه.

ومنه حديث طاووس:

أنه سأل ابن عباس، رضي الله عنهما: ما معنى قول الناس: أهل القرآن عرفاء أهل الجنة؟ فقال: رؤساء أهل الجنة» (ابن منظور، ١٤٠٥ هـ: ج٩، ص ٣٢٠).

اما في الاصطلاح: فقد ورد في تعريف هذه المفردة عدة تعريفات؛ منها:

ما ورد عن القيصري: «هو العلم بالله سبحانه من حيث اسماءه وصفاته ومظاهره واحوال المبدأ والمعاد وبحقائق العالم وبكيفية رجوعها الى حقيقة واحدة هي الذات الالهية ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة لتخليص النفس من مضائق القيود الجزئية واتصالها الى مبدئها واتصافها بنعت الاطلاق والكلية» (القيصري، : ج١، ص ٥٤).

ما ورد عن بن سينا: «هو التوجه الباطني المستمر، والانصراف الفكري لجهة قدس الجبروت بمنظور اشراق نور الحق في قلب الانسان» (الجوادي الآملي، ١٤١٥ هـ ق: ١، ص ٩٨).

«ان العارف هو صاحب المعرفة، بل الذي تكون المعرفة هي حاله والحال هنا هو الكيان والذات فلا يفكر ولا يعمل ولا يتحرك ولا يعبد الا بمعرفة» (جرادي، ٢٠٠٩م: ١).

يقول العلامة الطباطبائي قدس: «ان العارف هو الذي يمكنه الانقطاع قلبا عن هذه النشأة مع تمام الايقان باللازم من المعارف الالهية، والتخلص الى الحق سبحانه، وهذا هو الذي يمكنه شهود ما وراء هذه النشأة المادية والاشراف على الانوار الالهية كالأنبياء عليهم السلام» (الطباطبائي، ١٩٨٣م:١، ص ٤٥).

وما توصل اليه الباحث في معنى مفردة العرفان هو: ما يصل اليه العارف من كشف نتيجة التزكية الباطنية الخالصة مما يؤدي الى وصوله للحقيقة.

المطلب الثاني: مقدمات العبادة

قام احد الاعلام رحمه الله بتقسيم العبادة الى لفظية وعملية ومن ثم قدم تعريفا لكليهما: «فاللفظية عبارة عن سلسلة من العبارات والاذكار التي تجري على السنتنا كقراءة الحمد والسورة، واذكار الركوع والسجود والتشهد في الصلاة، وكذا التلبية في الحج. اما العبادة العملية: فهي من قبيل الركوع والسجود في الصلاة، والوقوف بعرفات والمشعر الحرام، والطواف في الحج. وغالبا ما تشتمل العبادة على قسم لفظي وآخر عملي كالصلاة والحج: فكلاهما فيه قسم لفظي وآخر عملي» (المطهري، ١٤٢٥هـ: ١، ص ٤٥).

من اجل الوصول الى العبادة التي يريدها المعبود من خلقه وموجوداته، لابد من مقدمات خاصة على الانسان ولاسيما السالك ان يتبعها من اجل الوصول الى معبوده.

ولعل من ابرز هذه المقدمات هو امر تهذيب الاخلاق وتزكيت النفس وتهيئتها الى الصعود للدرات الاعلى. فالقرآن الكريم نفسه يؤكد على هذه الحقيقة، بل ويخبر الامة بأن سر بعثة رسول الله صلى الله عليه وآله هو من اجل الاخلاق حيث قال في محكم كتابه الكريم: «وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ» (سورة القلم: الآية٤).

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا الشأن نفسه بأنه انما بعث من اجل ان يوصل الامة الى مستوى راق من هذه الناحية.

اذن؛ فالخطوة الاولى نحو العبادة هي تهذيب الاخلاق وتربيتها وتزكيتها: «اعلم ايدك الله ان النبي صلى الله عليه وآله قال: (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق» (المجلسي، ج١٦، ص ١٩٩).

ولا التباس في ذلك، فإن امر المعاد والمعاش لا ينتظم ولا يتهنأ طالبه الا بالخلق الكريم، فلا تتوهم ان العمل الصالح الكثير ينفع من دوم تهذيب الخلق وتقويمه، بل يجيء الخلق السيء فيفسد العمل الصالح كما يفسد الخل العسل فأي نفع فيما عاقبته الفساد... واعلم ان من نظر الى طريقة اهل البيت عليهم السلام وتتبع في آثارهم وجد هدايتهم للخلق وجلبهم للدين انما هو بأخلاقهم الكريمة، وبذلك امروا شيعتهم فقالوا: كونوا دعاة للناس بغير السنتكم. (البحراني، ١٤١٣هـ:١،ص ٤٥).

واذا تم هذا الامر وهو تهذيب الاخلاق فينتقل السالك الى مقدمة جديدة وهي تصفية قلبه، فاذا صفى قلبه ذاق حلاوة الحب والعشق الالهي، وصار يتسامى صعودا نحو التجرد المطلق مبتعدا عن كل الشوائب والادران، تاركا خلفه اسباب الظلمات والبقاء فيها متجها الى النور ومتعلقا بأسبابه: (ان القلب اذا صفى وتخلى عن الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله. ولابد لمن اراد السير والسلوك من السعي اولا في سلامة القلب من الغواشي الظلمانية والخطوات الشيطانية، فـ«ان القلب اذا صفا ضاقت به الارض حتى يسمو)؛ قال تعالى: (الا من اتى الله بقلب سليم)؛ فإن القلب سلطان الجوارح، اذا سلم سلمت، واذا فسد فسدت الدنيا والاخرة.

ولابد للسالك من السلامة فيما يورد على قلبه. وجميع الاخلاق الحسنة والصفات الممدوحة راجعة الى امر القلب، كما ان السيئات والاخلاق المذمومة ايضا كلها راجعة الى القلب» (آقا نجفي اصفهاني، ١٣٨٨هـ : ١، ص ١٧٨).

ومن خلال تهذيب الاخلاق وتصفية القلب إذ سيكونان سبيلا الى الشعور بالعبودية لله تعالى، وحيث ان اسمى شيء يتقرب به الانسان اليه تعالى هو ان يكون عبدا له؛ فلا محيص من الجهاد والمجاهدة في سبيل الوصول الى هذه الرتبة التي اكثر من تميز بها وتلبس بها هو النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وآله. فكل من يصلي يشهد بهذه الصفة لرسول الله (وأشهد ان محمدا عبده ورسوله): «ومن هنا نفهم لماذا كان محمد صلى الله عليه وآله يجلس جلسة العبد حتى حين الاكل، فلم يستطع ان يغفل للحظة عن عبوديته لله تعالى، فكانت حياته كلها طريق للعبودية التامة لله، وطريق العبودية هو الصراط المستقيم ولأجل ذلك جعل الله محمدا اسوة لكل البشر، فكل من اراد ان يكون عبدا لله تعالى عليه ان يسير على خطا محمد صلى الله عليه وآله» (العاملي، ١٤٣٩هـ : ١، ص ٢١٠).

المطلب الثالث: طريق العبادة هو المعرفة

من هنا صار لزوما على الانسان العابد المتجه الى ربه أن يسلك طريق المعرفة ولا غير، وذلك من خلال دراسة اسماء الله تعالى وصفاته وافعاله جل جلاله. فمن عرف الله تعالى وادرك ان المبدأ والمعاد منه واليه وأن نفسه وجميع الموجودات هي بيده تبارك وتعالى؛ توجب ان يتجه بعبوديته الى هذا الخالق المستحق للعبادة فهو على كل شيء قدير، فهدف العابد هو الحق ومعرفة الحق لا غيرها: «ان العارف موحد من حيث الغاية، هدفه الله وحده، لا يطلب الله من اجل نعمه الدنيوية او الاخروية؛ لأنه لو كانت القضية

على هذه الشاكلة لكانت غايته هذه النعم بذاتها، ولا يكون الله حينها الا وسيلة ومقدمة، وانما معبوده ومطلوبه الحقيقي هو تلك النعم، او بكلمة ادق يكون معبوده ومطلوبه هو نفسه، لأنه يريد هذه النعم لأجل اشباع رغباته.

اما العارف فكل ما يطلبه انما يطلبه لله، وهو اذا اراد النعم الالهية فلأنها من فضله ولطفه. اذن غير العارف يطلب الله لنعمه، والعارف يطلب نعم الله لله» (المرجع نفسه، ص ٣٢٠).

كلما اقترب العبد من مولاه او احس بهذا القرب فسوف ينتفي الكون كله بعينه، فيغدو لا يرى الكثرات الا الوحدة الحقة الحقيقة. فهو لا يرى ازدحامات الدنيا ولا يرى مشاكلها ومعضلاتها بل ولا يرى جميع سلبياتها، وفي ذات الوقت قد تكون هذه السلبيات التي تواجه العابد السالك ما هي الا فعل جميل من رب العالمين، فهي اما ان تكون امتحان واختبار له والغاية هي ان يتسامى العابد صعودا نحو ربه الاعلى، ولسوف يرضى:

«ان العبادة عند العارفين قربان الانسان ومعراجه وتعاليمه وصعوده الى مشارق انوار الوجود. وهي تربية روحية ورياضية للقوى الانسانية، وهي ساحة انتصار الروح على البدن، واسمى مظاهر شكر الانسان لمبدع الخلق، وهي مظهر حب الانسان للكامل المطلق والجميل على الاطلاق. وهي مسيرة الانسانية الى الكمال اللامتناهي.
وفي هذا التصور للعبادة نجد لها جسما وروحا، وقلبا وقالبا. فما يتحقق منها باللسان وسائر الجوارح هو ظاهر العبادة وجسمها. وأما جوهر العبادة وروحها فهو شيء آخر، يرتبط بما يفهمه العابد من عبادته وبنوعية تصوره عن العبادة وبالباعث له عليها» (المرجع نفسه: ص١٥٦).

المبحث الثاني: ميزان العرفان واصوله

لكل علم من العلوم اصول ومبادئ تعتبر في كثير من الاحيان الميزان لهذا العلم او ذاك، وحيث ان العلم يبتني على اصول معينة تتحدد وفقا لمسائل وموضوعات هذا العلم، فإن من ينهض بهذا العلم هو اصوله بل هي ستكون الاساس الذي ينطلق منه كل تطور ممكن ان يحدث للعلم.

والعرفان من هذه العلوم، اذ له مبادئ وله اصول خاصة به.

وما يعزز رؤية الباحث هو تأريخ هذا العلم منذ نشوءه الى يومنا هذا، فنلاحظ التطور الذي حدث للعرفان (بناه، ٢٠١٤م، ص ٣٢٠) من خلال الاعتماد على اصوله ومبادئه وتوسع مساحة موضوعاته ومسائله.

«لابد عند البحث عن نشأة العرفان الاسلامي من البحث عن منابع اتجاه عرف لاحقا بوصفه اتجاها فكريا مستقلا ومتمايزا تحت اسم (التصوف). والذي يظهر من المصادر الاولى ان هذه التسمية استخدمت كمصطلح خاص في القرن الهجري الثاني فأطلقت على اشخاص كأبي هاشم الصوفي، وسفيان الثوري، وغيرهما. وفي بدايات القرن الهجري الثالث اتسع استخدام هذا المصطلح واريد منه الدلالة على عرفاء العراق في مقابل ملامتية خراسان، ثم توسع المصطلح في القرن الهجري الرابع فأصبح يطلق على العرفاء كافة» (المرجع نفسه: ص ٢٢٠١).

تناول علماء العرفان مسألة الاصول والمعايير التي يجب ان تتبع في هذا المجال، لاسيما أن مجال العرفان هو الكشف والشهود للوصول الى الحقيقة. فهل هناك مجال للوقوع بالخطأ وبالتالي عدم اصابة الحقيقة؟ من هنا جاء الاهتمام لوضع وتحديد ميزان واصول هذا العلم: (فالمقصود من الميزان هنا اذن هو الآلة والقانون الذي يمكن من خلاله معرفة مطابقة نتائج علم ما للواقع ونفس الامر) (الحيدري، ١٤٣٦ هـ: ١، ص ١٣٥).

وعلى هذا الاساس يمكن ان نذكر عدة مطالب نحاول من خلالها وضع ميزان عام لعلم العرفان من شأنه ان يأخذ بيد السالك الى طريق الكشف والشهود فيتحقق موضوع العرفان مما يؤدي الى محاولته (السالك) لإصابة الواقع ونفس الامر.

المطلب الاول: الشريعة

وحيث ان العرفان قائم على الكشف والشهود، وعليه؛ فإن أي كشف يحصل للسالك ليس له أي قيمة علمية ما لم يكن الكشف موافقا للشريعة ومواكبا لها. وما إن حدث تقاطع مع قانون عام من قوانين الشريعة فلا تكون حينئذ أي قيمة علمية لهذا الكشف:

«يؤكد العرفاء، وعلى امتداد تاريخ هذا العلم، على كذب المشاهدات العرفانية الحاصلة لدى أي انسان وفي أي مرتبة كان اذا لم تكن مطابقة للشريعة. ولذا، لابد من ان تكون المشاهدات العرفانية بعيدة عن التعارض مع الحقائق الدينية ليكون ممكنا الاعتماد عليها بعنوان كونها حقائق» (بناه، ٢٠١٤م، ص١٥٧)

المطلب الثاني: العقل والعلوم النظرية

على العارف ان يكون مطلعا اطلاعا كبيرا على العلوم الحصولية لاسيما العقلية منها كالمنطق والفلسفة، وذلك من اجل فهم ادراك القواعد العقلية الكلية، ومن ثم عرض المكاشفة على تلك القواعد:

«وبهذا البيان تتضح مسألة مهمة جدا وهي ان من اراد الوقوف على حقائق العرفان النظري، عليه ان يكون محيطا بالمباني الفلسفية والقواعد العقلية، وفي غير ذلك سوف يدخل لهذا العلم بلا ميزان ولا ضابطة، وسيكون تعلمه للعرفان عبارة عن حصوله على مجموعة من الامور التي لا يعرف الغث من السمين منها، ولا الحق ولا الباطل، ولا

العالي ولا الداني، فلا يدري أهو الرحمن الرحيم ألقى في روعه، ام الشيطان الرجيم خيم على قلبه» (الحيدري، ١٤٣٦ هـ: ص ٣٣٠).

المطلب الثالث: الحاجة الى الشيخ المرشد

ان المسافر اذا هاجر من بلده الى بلد اخر وهو لا يعرف طرق ومسالك احياء المنطقة التي ذهب اليها، فسوف يشعر بالحيرة في احيان، وفي احيان اخرى يشعر بالتردد والاضطراب بلا شك. ولكنه ان وجد احد الاصدقاء من هذه المنطقة التي هاجر اليها فسوف يرشده الى أية نقطة يريد الوصول اليها بأسرع وقت وبأقل جهد وهذا هو دور الاستاذ المرشد ف طريق السير والسلوك؛ فهو يختصر على السالك الكثير من الوقت ويحميه في نفس الوقت من خطر الانحراف والشطحات التي من الممكن ان يتعرض لها السالك اثناء سيره وسلوكه:

«تجد في المصنفات العرفانية التاكيد على ان طي طريق السير والسلوك الصعب دون استاذ مرشد تترتب عليه آثار وخيمة على السالك، بل ان طي هذا الطريق من دون استاذ ليس بالامر الممدوح في الرؤية العرفانية؛ بل قد يون خطرا او محمدود النتائج احيانا. ومن وظائف الاستاذ ارشاد السالك الى خصوصيات الشهود والتمييز بين الإلقاءات الشيطانية والشهود والإلقاء الرحماني... ويعتقد اهل المعرفة ان الاستاذ الحقيقي له الاحاطة التامة بكافة جوانب السالك وهو يعلم بنيته في الظاهر والباطن» (بناه، ٢٠١٤م، ج١، ص ١٣٣).

المطلب الرابع: الوحي الالهي

في الطريق للوصول الى الحقيقة قد يعجز السالك من الحصول على مبتغاه من خلال عدم ادراك بعض الجزئيات مع عدم التمكن من اثبات النتائج، فيلجأ حينئذ الى ما صل اليه المعصوم وما حصل عليه من خلال ارتباطه بالوحي الالهي. بالتالي يقارن السالك ما حصل عليه ويطابقه مع ما حصل عليه المعصوم:

«ان العقل وقواعده يعجز عن ادراك بعض الامور كالجزئيات، ولا يمكنه اثباتها، لجأ العارف الى ميزان الوحي، وهو الاعتماد على ما انتهى اليه عارف كامل معصوم وهو اما النبي او الإمام، فيقيس العارف مكاشفاته بكشف المعصوم الذي لا يتطرق اليه الخطأ والاشتباه، ويطابق ما رآه مع ما اخبر عنه المعصوم، فإن مرتبة كشف المعصوم هي بمثابة الامر البديهي، ومرتبة كشف غير المعصوم هي بمثابة الامر النظري، فيقيسون النظري على البديهي ويرجعونه اليه، فإن وافقه اخذوا به واعتبروه حقا رحمانيا، وإلا تركوه واعتبروه باطلا شيطانيا» (الحيدري، ١٤٣٦ هـ: ص ١٧٠).

## المطلب الخامس: المكاشَف نفسه

تقع على السالك في طريق العرفان مهمة كبيرة جدا وصعبة ايضا، إذ ان هذا الطريق ليس بالسهولة التي يتصورها البعض. فهناك محطات لابد للسالك من ان يطويها عن طريق مجاهدة النفس ومراقبتها ومحاسبتها:

«ان اسالك لا يصل الى الكشف والشهود الحقيقي الا بعد قطع المنازل والمقامات الطبعية والنفسية والوصول الى معدن الحقيقة، وهذا لا يتم الا بتهذيب النفس وقطع

علائقها بعالم المادة وترك الدنيا وملذاتها والتمكن في تقوى الله سبحانه ومراقبة النفس» (المرجع نفسه: ص٢١٠).

## المبحث الثالث: العرفان والكمال الانساني

لا يخفى على ذوي البصيرة أن السر الحقيقي لخلق الانسان ونشأته وتكامله هو بغية الوصول الى ذروة ما في استعداده ووعاءه، ان الغاية الالهية من خلق الانسان لم تكن لمجرد اكله وشربه وانغماسه في الشهوات ولو في الطرق المحللة. ولم تكن ليعيش الفرد وسط افراد مجتمعه ليسلك سبل عاداتهم وتقاليدهم سواء أكانت قبلية أم مدنية. وإنما للوصول الى أعلى ما يمكنه الرقي وفقا لإستعداده ووعاءه قال تعالى: «فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا...» (سورة الرعد : الاية١٧).

ان اسمى ما في هذا الوجود العظيم والمنظومة الكونية الرائعة في التصميم الهندسي هو ان يعبد المخلوق خالقه بمعرفه وعلم ليقر بذل العبودية امام خالقه ويتحسسها، ولعل حرف ال(لام) في كلمة (ليعبدون) يشير الى جنس العبادة لا غيرها.

يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله: «فالحق أن اللام في (الجن والإنس) للجنس دون الاستغراق، و المراد بالعبادة نفسها دون الصلوح والاستعداد، ولو كان المراد هو الصلوح و الاستعداد للعبادة لكان ذلك غرضا أدنى مطلوبا لأجل غرض أعلى هو العبادة كما أن نفس العبادة بمعنى ما يأتي به العبد من الأعمال بالجوارح من قيام وركوع وسجود ونحوها غرض مطلوب لأجل غرض آخر هو المثول بين يدي رب العالمين بذلة

العبودية وفقر المملوكية المحضة قبال العزة المطلقة والغنى المحض كما ربما استفيد من قوله تعالى: (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ )، حيث بدل العبادة دعاء.

فحقيقة العبادة نصب العبد نفسه في مقام الذلة و العبودية وتوجيه وجهه إلى مقام ربه، وهذا هو مراد من فسر العبادة بالمعرفة يعني المعرفة الحاصلة بالعبادة.

فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصى من الخلقة و هي أن ينقطع العبد عن نفسه وعن كل شئ ويذكر ربه.

هذا ما يعطيه التدبر في قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ ) ولعل تقديم الجن على الانس لسبق خلقهم على خلق الانس قال تعالى: (وَ الْجَانّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السّمُومِ)

والعبادة هي غرض الفعل أي كمال عائد إليه لا إلى الفاعل على ما تقدم» (الطباطبائي، ١٩٨٣م: ج١٨، ص ٢٠٢).

اذا ذاق العبد السالك طعم العبادة معنويا، وتميز هذا الطعم بلذة مختلفة عن كل ما تذوقه في مجريات حياته العامة بمختلف مجالاتها، فالعارف سوف يشد الرحال الى صاحب هذا السر، سر لذة العبادة مهاجرا اليه في سبيله تاركا اهواءه وشهواته وجميع مغريات الدنيا الدنية خلف ظهره، مستأنسا بحبيبه الحقيقي ذي العشق المطلق:

«الهجرة وهي الانتقال والرحيل سواء كان من الوطن الى غيره او من حال الى غيرها. وانها من اكمل الصفات الحسنة وأجلها ان كانت ناشئة من الحب الحقيقي الواقعي لله سبحانه وتعالى والانقطاع اليه جل شأنه، وبها يحصل الود والحب له عز وجل، ومنه تعالى لعبده.

بل ان الهجرة من الفناء في ذاته جلت عظمته، لأن بها يخرج الانسان من ذل ما توطن فيه من الصفات الذميمة ويبعد عن المعاصي - التي تحصل عن الاهواء الشيطانية - كالكبر والحسد والبطر والجهل وغيرها.

وبالهجرة فوز الانسان وينال الكمالات بأنواعها واقسامها الظاهرية والمعنوية» (سرور، ٢٠١٠م: ١، ص ٢١٠).

ان ما يميز الانسان عن المخلوقات الاخرى هو التكامل، ولكن أي تكامل؟

بطبيعة الحال، لا يقصد من التكامل هنا مراحل النمو المادي للجسد لأن في هذا توجد مشاركة بين جميع الحيوانات، ومن يطلع على بعض الدراسات التأريخية يجد ان الهيكل الجسدي للإنسان قديما كان اقوى وأطول بكثير مما عليه اليوم.

ان الكمال يقابل النقص وهو غير التمام، لوجود معنى الرقي فيه في حين لا تشعر كلمة التمام بذلك. وبما ان مفردة الكمال يرافقها معنى الرقي فإن طريق الارتقاء مفتوح دائما للإنسان فيتكامل ويصل الى مراحل عالية من السمو، وهو الامر المطلوب كغاية في هذا النشأة.

ان المقصود من التكامل الانساني هو مدى قابلية الانسان للتغير الايجابي، بحيث تقوى الحقيقة الوجودية له وتتسامى وتفوق تكامل المخلوقات الاخرى فتصبح أعلى منهم جميعا.

«الانسان المتخلق بأخلاق الله تعالى يكون مظهرا من صفات لطف الحق، ولذا يكون قبوله قبول الحق، ورده رد الحق، ولعنه لعن الحق، ويكون دعاءه دعاء الحق كذا صلاته،

فإذا صلوا على احد كان صلاتهم صلاة الحق... وهذا الكمال لا يتحقق في الانسان المؤمن الا بالمعرفة الكاملة والإفاقة من الغفلة» (المرجع نفسه: ص ١٨٩).

ان التكامل سبب السعادة، فلم يخلق الله عز وجل الخلق الا وهيأ اسباب الهداية مسبقا لهم، فمن النعم الالهية على الناس هي ان الله تبارك وتعالى وفر سبل الوصول الى السعادة وهداهم لها بشكل تام وكامل، لكي لا يكون للناس حجة على الله تعالى في شئ فيحتجوا به يوم القيامة.

ان اسباب السعادة والنجاح هي بيد الله تعالى يهدي لطريقها من يستحقها ومن يريدها تقربا منه تعالى، فمن اراد السير على الصراط المستقيم سهل الله له هذا الطريق. قال تعالى: «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (سورة البقرة: الآية٢١٣).

وأما اذا لم تتوفر الارادة عند الانسان وكان مصرا على السير في الطريق المعاكس تماما فأن الله سيضله لا محالة ليس ظلما من الله له وإنما هو من اختار طريقه «فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (سورة ابراهيم: الآية٤).

«فيا أيها الاخ المسترشد اعلم ان اعمالك مبنية على الدوام لا على الانقطاع، وإن كنت تراها منقطعة، ففي بعض الاخبار: ان السعيد من ماتت سيئاته بموته.

يعني من سعادته ان لا يُعمل بها بعده، وإلا فإذا عمل بها اقتداء به واقتداء بمن اقتدى به كان عليه وزرها الى يوم القيامة» (البحراني، ١٤١٣هـ: ص ٥٥).

فلو اجتمع على العبد اهل السماوات والارض ليضلوه وقد ثبت الله هدايته في قلب العبد ما قدروا على ذلك لأن ارادة الله ستغلبهم، ولو اجتمع اهل السماوات

والارض على ان يهدوا من اضل الله ما قدروا، الى ذلك يشير الامام الصادق عليه السلام في قوله:

«يا ثابت مالكم وللناس؟ كفوا عن الناس ولا تدعوا أحدا إلى أمركم فو الله لو أن أهل السماوات والأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبدا يريد الله ضلالته ما استطاعوا على أن يهدوه، ولو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلوا عبدا يريد الله هداه ما استطاعوا ان يضلوه، كفوا عن الناس ولا يقول أحد: عمى و اخى وابن عمى وجاري، فان الله إذا أراد بعبد خيرا طيب روحه فلا يسمع معروفا الا عرفه، ولا منكرا الا أنكره، ثم يقذف في قلبه كلمة يجمع بها امره» (الكليني، ١٤٢٦هـ : ١، ص ١٦٥).

اذن، ان الامر المهم في مسألة السعادة والنجاح هو الرحمة الإلهية، وان الله تعالى يهدي برحمته الى ساحته، فلولا هداية الله ما تمكن العبد من ان يحصل علي السعادة والنجاح ولا ان يسير على الصراط القويم، ان المهم في الامر هو ان يكون الاعتقاد بتطبيق هذه القوانين انها توصل الناس الى السعادة الابدية في الدنيا والاخرة لا في الدنيا وحسب.

الى ذلك يشير العلامة الطباطبائي رحمه الله من خلال تفسيره للآية الكريمة (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ) حيث يقول «وقوله: (وتعيها أذن) الوعي جعل الشيء في الوعاء، والمراد بوعي الاذن لها تقريرها في النفس وحفظها فيها لترتب عليها فائدة وهي التذكر والاتعاظ.

وفي الآية بجملتيها اشارة الى الهداية الربوبية بكلا قسميها أعني الهداية بمعنى إراءة الطريق والهداية بمعنى الايصال الى المطلوب.

توضيح ذلك ان من السنة الربوبية العامة الجارية في الكون هداية كل نوع من انواع الخليقة الى كماله اللائق به بحسب وجوده الخاص بتجهيزه بما يسوقه نحو غايته كما يدل عليه قوله تعالى: (الّذِي أَعْطى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدى) ، وقوله تعالى: (الّذِي خَلَقَ فَسَوّى وَ الّذِي قَدّرَ فَهَدى) ، وقد تقدم توضيح ذلك في تفسير سورتي طه والاعلى وغيرهما.

والانسان يشارك سائر الانواع المادية في ان له استكمالا تكوينيا وسلوكا وجوديا نحو كماله الوجودي بالهداية الربوبية التي تسوقه نحو غايته المطلوبة ويختص من بينها بالاستكمال التشريعي فإن للنفس الانسانية استكمالا من طريق افعالها الاختيارية بما يلحقها من الاوصاف والنعوت وتتلبس به من الملكات والاحوال في الحياة الدنيا وهي غاية وجود الانسان التي تعيش بها عيشة سعيدة مؤبدة. (الطباطبائي، ١٩٨٣م: ج١٩، ص ٣٩٤).

ولذلك، نحن لا نسلم بالقوانين البشرية بزعم انها توصل الى السعادة الحقيقة، فكما قلنا قد تؤدي الى السعادة المؤقتة لا الابدية المطلوبة وذلك لأن هذه القوانين قابلة للخطأ وغير معصومة بعصمة السماء، فنحن انما نلتزم بالقوانين التي جاءت عن طريق الانبياء والرسل بصفتهم السفراء الشرعيين من قبل الله تبارك وتعالى.

يقول الطباطبائي رحمه الله: «وهذا هو السبب الداعي الى السنة الدينية بإرسال الرسل وانزال الكتب والهداية اليها (لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) ، وقد تم تفصيله في ابحاث النبوة في الجزء الثاني من الكتاب وغيره، وهذه هداية عظيمة بمعنى إراءة الطريق وإعلام الصراط المستقيم الذي لا يسع الانسان الا ان يسلكه، قال تعالى: (إِنّا هَدَيْنَاهُ السّبِيلَ إِمّا شَاكِرًا وَإِمّا كَفُورًا )، فإن لزم الصراط وسلكه حي بحياة طيبة سعيدة

وان تركه وأعرض عنه هلك بشقاء دائم وتمت عليه الحجة على أي حال، (لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ).

اذا تقرر هذا تبين ان من سنة الربوبية هداية الناس الى سعادة حياتهم بإراءة الطريق الموصل اليها، وإليها الاشارة بقوله: (لنجعلها لكم تذكرة) فإن التذكرة لا تستوجب التذكر ممن ذكر بها بل ربما أثرت وربما تخلفت. (المرجع نفسه، ج١٩، ص ٣٩٥).

اقتضت المشيئة الالهية هداية جميع الخلق الى طريق السعادة، وذلك من خلال قوانين التشريع الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعن طريق ما اودع الله تعالى من اجهزة في خدمة الانسان، فلابد من التقيد بهذه القوانين ولا يتعدى حدودها بغية الوصول الى هدفه.

ولكن قد يجابه هذه الهداية بعض العراقيل المتمثلة بمتعلقات الدنيا من اهواء وشهوات كما ذكرنا، وما على العارف الا تجاوز هذه العراقيل التي من شأنها ان تسقط الانسان وتهوي به الى الارض مانعة له من الارتقاء الى السماء الصافية والفضاء النقي، ولعله من افضل الطرق لتجاوز هذه المشاكل المعنوية هو الصبر:

«والواصلون الى هذه المرتبة هم الاقلون، فلا جرم انهم الصديقون المقربون: (الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) فهؤلاء الذين لزموا الصراط المستقيم، واستووا على الصراط القويم، واطمأنت نفوسهم وإياهم ينادي المنادي: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً)، فإذا اذعنت الشهوات وانقمعت وتسلط باعث الدين واستولى الصبر بطول المواضبة اورث ذلك مقام الرضا» (الكاشاني، ١٤٢٦هـ ، ١، ص ١٩٦).

النتيجة:

ان غاية العارف والسالك الى الله تعالى هو الوصول الى الحقيقة، وبنظر العارف يعتبر الكشف والشهود هو ادق طريق لمعرف الحقيقة. وهذا الكشف والشهود لابد من ان يكون خاضعا للموازين والاصول والمبادئ الخاصة بهذا الفن. وما نقصده من الميزان والاصل هو السبيل لكي يمسك بيد السالك للتوجه صوب الحقيقة.

وعليه، فتزكية النفس وتنقيتها وتخليتها من الشوائب وتحليتها بكل ما هو جميل يجعل هذه النفس متهيأة لإستقبال التجليات الالهية فيسير العارف بطريقه المتوهج بنور القدس الالهي متجها نحو الحقيقة ليتذوق طعم السعادة الحقيقية.

**المصادر:**

القرآن الكريم.

ابراهيم سرور، ٢٠١٠م، *الاسرار الالهية*، دار المتقين.

آقا نجفي اصفهاني، محمد تقي، ١٣٨١ هـ *اشارات ايمانية* ، ١ ، اصفهان ايران، مكتبة الفلسفة الاسلامية.

البحراني، حسين، ١٤١٣ هـ ، *الطريق الى الله* ، ١ ، بيروت لبنان، دار التعارف للمطبوعات.

بناه، يد الله يزدان، ٢٠١٤م، *العرفان، مبادئه واصوله*، ١ ، بيروت لبنان، مؤسسة امام خميني.

التركة، صائن الدين بن علي، ١٣٨١ هـ ، *تمهيد القواعد*، قم ايران، مركز بخش.

الحيدري، كمال بن باقر، ١٤٣٦ هـ ، *الرؤية الكونية في العرفان النظري*، بغداد العراق، مؤسسة الامام الجواد عليه السلام.

الطباطبائي، محمد بن حسين، ١٩٨٣م، رسائل سبعة، رسالة الولاية، قم، بنياد علمي وفكري.

الطباطبائي، محمد بن حسين، *الميزان في تفسير القرآن*، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

*العاملي، يحيى رسلان، ١٤٣٩ هـ ، نفحات روحية*، ١ ، بيروت لبنان، دار المحجة البيضاء.

الفيض الكاشاني، محمد محسن بن مرتضى، ١٤٢٦هـ ، *احوال السالكين*، بيروت لبنان، دار المحجة البيضاء.

الكليني، محمد بن يعقوب، ١٤٢٦ هـ ، *اصول الكافي*، بيروت لبنان، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

المجلسي، محمد بن باقر، *بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار* ، المكتبة الشيعية الالكترونية.

المطهري، مرتضى، ١٤٢٥ هـ ، *طهارة الروح*، ١ ، بيروت لبنان، دار الرسول الاعظم.

# دور زيارة البقيع في التكامل المعنوي للانسان

حمزه علي اسلامي نسب[1]
علي الزهيري[2]

**ملخص المقال**

خلق الله تعالى الانسان بأحسن تقويم كما أشارت غير آية على ذلك في الكتاب الكريم، ومن شأن القرآن الكريم ان يشير ايضا بل ويحدد صفات الخليفة والانسان الكامل الذي يكون على عاتقه قيادة المجتمع الإنساني الى ساحة معرفة الله تعالى وعشقه .

وُجِد الإنسان الكامل؛ ومن ابرز مصاديقه هم أئمة اهل البيت عليهم السلام، لاسيما أئمة البقيع عليهم السلام الذين تم محاربتهم في حياتهم وبعد مماتهم، ليس لشيء إلا لأنهم حبل الله المتين وصراطه المستقيم.

من زار ائمة البقيع عليهم السلام يلمس الروحانية العجيبة التي تحدث في داخله، يلمس دخول الهدوء والطمأنينة التامة في قلبه عند اقترابه من قبورهم الشريفة. ان رؤية قبر الإمام الحسن وقبر الإمام السجاد وقبر الإمام الباقر وقبر الإمام الصادق صلوات الله عليهم انما تبعث الأنوار في القلوب والأبصار، تبعث الإصرار على المضي قدما في مسيرتهم، تبعث على تجديد العهد معهم عليهم السلام في الوقوف بمعسكرهم وفسطاطهم، وما لسان العاشق لهم الا وهو يعاهدهم في حضرتهم وأمام تربتهم وشواخص قبورهم البسيطة ذات الهيبة العظيمة بأن (نصرتي لكم معدة) إن شاء الله؛ معدة الى ذلك اليوم الموعود الذي سيُمْلأ العالم فيه قسطا وعدلا على يد القائم من آل محمد عليه السلام. فسلام عليهم يوم ولدوا ويوم استشهدوا ويوم يبعثون احياءا.

**الكلمات الرئسية:** ائمة البقيع، زيارة، التكامل المعنوي، الانسان، قبر

---

١. الاستاذ المساعد في جامعة المصطفى(ص) المفتوحةislaminasab@hotmail.com ،. ٠٩١٩٣٥٣٠٩٢٩

٢. ماجستير في التفسير وعلوم القران

**المقدمة:**

يعد الانسان غاية الوجود، وعلم الانسان هو ما يبحث كل شيء عن الانسان من جوانب عدة، منها الديني والثقافي والاجتماعي والبيولوجي وغيرها.

ان هذا الكائن الفريد (الانسان) كان وما يزال موضعا للتأمل والدراسة من قبل مختلف العلوم.

أن يكون للإنسان قيم يؤمن بها ويتمحور حولها وتصبح هي الحاكمة على حياته ويتعامل مع الملذات والشهوات تحت إطار هذه القيم. هذه الحالة تسمى حالة التدين.

فحياة غير المتدنين متدهورة؛ لأن التدين يحيي البعد الروحي في شخصية الإنسان، وهو الذي يميز الإنسان عن الحيوانات حيث لا يوجد عندها بعد روحي، بينما حقيقة الإنسان تحتوي على هذا البعد، فألانسان بالروح لا بالجسم

لا يخفى على ذوي البصيرة أن السر الحقيقي لخلق الانسان ونشأته وتكامله هو بغية الوصول الى ذروة ما في استعداده ووعاءه، ان الغاية الالهية من خلق الانسان لم تكن لمجرد اكله وشربه وانغماسه في الشهوات ولو في الطرق المحللة. ولم تكن ليعيش الفرد وسط افراد مجتمعه ليسلك سبل عاداتهم وتقاليدهم سواء أكانت قبلية أم مدنية. وإنما للوصول الى أعلى ما يمكنه الرقي وفقا لإستعداده ووعاءه قال تعالى: «فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا... »(الرعد: ١٧).

ولعل ما جاء في قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»( الذاريات: ٥٦) يفصح عن ذلك السر الحقيقي.

ان اسمى ما في هذا الوجود العظيم والمنظومة الكونية الرائعة في التصميم الهندسي هو ان يعبد المخلوق خالقه بمعرفه وعلم ليقر بذل العبودية امام خالقه ويتحسسها، ولعل حرف ال(لام) في كلمة (ليعبدون) يشير الى جنس العبادة لا غيرها.

يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله «فالحق أن اللام في (الجن والإنس) للجنس دون الاستغراق، و المراد بالعبادة نفسها دون الصلوح والاستعداد، ولو كان المراد هو الصلوح و الاستعداد للعبادة لكان ذلك غرضا أدنى مطلوبا لأجل غرض أعلى هو العبادة كما أن نفس العبادة بمعنى ما يأتي به العبد من الأعمال بالجوارح من قيام وركوع وسجود ونحوها غرض مطلوب لأجل غرض آخر هو المثول بين يدي رب العالمين بذلة العبودية وفقر المملوكية المحضة قبال العزة المطلقة والغنى المحض كما ربما استفيد من قوله تعالى: «قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ» (الفرقان : ٧٧)، حيث بدل العبادة دعاء.

فحقيقة العبادة نصب العبد نفسه في مقام الذلة و العبودية وتوجيه وجهه إلى مقام ربه، وهذا هو مراد من فسر العبادة بالمعرفة يعني المعرفة الحاصلة بالعبادة.

فحقيقة العبادة هي الغرض الأقصى من الخلقة و هي أن ينقطع العبد عن نفسه وعن كل شئ ويذكر ربه.

هذا ما يعطيه التدبر في قوله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنْسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ»(الذاريات : ٥٦) ولعل تقديم الجن على الانس لسبق خلقهم على خلق الانس قال تعالى: «وَ الْجَانّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السّمُومِ».(الحجر : ٢٧)

والعبادة هي غرض الفعل أي كمال عائد إليه لا إلى الفاعل على ما تقدم».(الطباطبائي، ١٤١٢هـ، ج١٨: ص٣٨٨)

واذا اراد الانسان ان يتقرب الى ربه الكريم ويدخل في ساحة حبه وعشقه تبارك وتعالى ويسرح في ميادين السابقين فعليه ان يعرف ربه ويعرف من يعبد اولا، فإذا عرفه وعرف اسمائه وصفاته يبدأ قلبه بتلذذ الحب الالهي، كما ورد في مناجاة المحبين للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

»إلهي مَن ذا الَّذي ذاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرامَ مِنكَ بَدَلاً وَمَن ذا الَّذي أنِسَ بِقُربِكَ فَابتَغى عَنكَ حِوَلاً... أسأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَن يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يوصِلُني إلى قُربِكَ، وَأن تَجعَلَكَ أحَبَّ إلَيَّ مِمَّا سِواكَ وَأن تَجعَلَ حُبّي إياكَ قائِداً إلى رِضوانِكَ وَشَوقي إلَيكَ ذائِداً عَن عِصيانِكَ». (القمي، ١٤٣٥هـ: ص١٤٧)

فيبدأ بالخلاص من كل سيئة قد ادخلت الى قلبه فينقيه (أنتَ الّذي أزَلْتَ الأغْيارَ عن قُلوبِ أحِبّائكَ حتّى لَم يُحِبّوا سِواكَ)(القمي، ١٤٣٥هـ: ص٢٩٠)، ومن ثم يدخل اليه كل ما يحبه محبوبه ويقبل به ويرضيه ويفرح به لينطلق القلب الى صعودا الى خط الكمال فيتسامى باخلاقه الزاكية وروحه اللطيفة مقتربا من العلي الاعلى. لذلك، ورد عن المعصومين عليهم السلام في تفسير كلمة (ليعبدون) بأنها المعرفة أي ليعرفون.

» حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا أحمد بن إدريس عن الحسين بن عبيد الله عن الحسن بن علي بن أبي عثمان عن عبد الكريم بن عبد الله عن سلمة ابن عطا عن أبي عبد الله " ع " قال: خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال: أيها الناس ان الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: يا بن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته».(الصدوق، ١٤٢٧هـ، ج١: ص١٦)

فإذا ما تحققت المعرفة تحققت العبادة واذا تحققت العبادة تحقق الحب وهو بدوره يقود العبد الى طريق الكمال والتسامي الروحي تجاه الخالق تبارك وتعالى .

## علم الانسان:

يعد الانسان غاية الوجود، وعلم الانسان هو ما يبحث كل شيء عن الانسان من جوانب عدة، منها الديني والثقافي والاجتماعي والبيولوجي وغيرها.

ان هذا الكائن الفريد (الانسان) كان وما يزال موضعا للتأمل والدراسة من قبل مختلف العلوم.

أن يكون للإنسان قيم يؤمن بها ويتمحور حولها وتصبح هي الحاكمة على حياته ويتعامل مع الملذات والشهوات تحت إطار هذه القيم. هذه الحالة تسمى حالة التدين.

فحياة غير المتدنين متدهورة؛ لأن التدين يحيي البعد الروحي في شخصية الإنسان، وهو الذي يميز الإنسان عن الحيوانات حيث لا يوجد عندها بعد روحي، بينما حقيقة الإنسان تحتوي على هذا البعد، فالإنسان بالروح لا بالجسم.

»كلمة الانثروبولوجيا مكونة من مقطعين الاول هو Anthropo اي الانسان، والثاني هو Logyاي العلم او الدراسة. ومعنى ذلك ان ترجمة اسم هذا العلم (علم الانسان) او (دراسة الانسان). والحقيقة ان ترجمة اسم العلم الانثروبولوجي الى اللغة العربية اثبتت عدم جدواها واتضح انه امر غير علمي، لأنه لا يقدم تسمية كاشفة دالة، فهناك علوم كثيرة اخرى تدرس الانسان. كالتاريخ وعلم الاجتماع. وعلم النفس والبويولوجيا الانسانية.. الخ كل تلك وغيرها علوم تدرس الانسان. لهذا السبب العلمي آثر علماء الانثروبولوجيا العرب الابقاء على تسمية العلم كما هي في لغتها الاصلية. دون ترجمتها. هذا من حيث التسمية.

اما من حيث موضوع العلم فإننا نجد من استعراض الدراسات الانثروبولويوجية في ماضيها وحاضرها ان رجال هذا العلم قد اخذوا التعريف اللفظي لعلمهم مأخذ الجد. ومن هنا اصبح موضوع هذا العلم بحق هو دراسة الانسان وأعماله، اي كل منجزاته المادية والفكرية، أي الدراسة الشاملة للإنسان. ولهذا نقول ان الانثروبولوجيا هي اكثر العلوم التي تدرس الانسان وأعماله شمولا على الاطلاق... فالانثروبولوجيا تجمع في علم واحد بين نظرتي كل من العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية، فتركز مشكلاتها –

من ناحية – على الانسان كعضو في المملكة الحيوانية، وعلى سلوك الانسان كعضو في مجتمع، من ناحية اخرى».(الجوهري، ٢٠٠٤: ص ٥)

ان أهم عمل يجب ان نقوم به في حياتنا هو السعي من أجل ان نكون إلهيين، وان نعيش كما يريد الله عز وجل، فهو يريد منا ان نتخلق بأخلاقه، وفي الحقيقة فإن هذه هي مسيرة الإنسان. وعليه وحتى تكون المسيرة موفقة وصحيحة فلابد من الالتزام بالمعايير والموازين التي نصت عليها الاديان والكتب السماوية لاسيما اهم وأعظم كتاب وهو القرآن الكريم.

ان الاجتهادات الشخصية وان كانت نابعة من التجارب والخبرة والممارسة الا انها بعيدة الضمان للوصول الى مراتب الكمال مادامت بعيدة عن المعايير الالهية والموازين الدينية، وقد تكمن الخطورة في الاتباع والمناصرين الذين يرون في قائدهم صاحب الكاريزما المميزة أنه القدوة الحسنة في طريق كمالهم وصنع محتوى الانسان الكامل فيهم.

## التكامل المعنوي عند الانسان:

ان ما يميز الانسان عن المخلوقات الاخرى هو التكامل، ولكن أي تكامل؟ بطبيعة الحال، لا يقصد من التكامل هنا مراحل النمو المادي للجسد لأن في هذا توجد مشاركة بين جميع الحيوانات، ومن يطلع على بعض الدراسات التأريخية يجد ان الهيكل الجسدي للإنسان قديما كان اقوى وأطول بكثير مما عليه اليوم.

ان الكمال يقابل النقص وهو غير التمام، لوجود معنى الرقي فيه في حين لا تشعر كلمة التمام بذلك. وبما ان مفردة الكمال يرافقها معنى الرقي فإن طريق الارتقاء مفتوح دائما للإنسان فيتكامل ويصل الى مراحل عالية من السمو، وهو الامر المطلوب كغاية في هذا النشأة.

»ولا شك ان الكمال يقابل النقص، والكامل يقابل الناقص، والتام يقابل الناقص ايضا. أي ان الناقص يقابل التام ويقابل الكامل. والكمال بمعنى التفتح والاتساع. ولا ريب في ان هذا التعبير لا يعد تعريفا حقيقيا للكمال وانما هو من مستلزمات التعريف. وسعى بعض المفكرين المعاصرين للتمييز بين الكمال والتمام، في حين قال البعض بتقارب معنييهما حتى انهما يكادان ان يكونا معنى واحدا. ورغم هذا يكمن في مفهوم الكمال معنى الرقي. فحينما نقول (أبني بيتا وأتمه) فلا تشعر هذه الجملة بوجود الرقي، وإنما تشعر بالانتهاء والاتمام. في حين تشعر جملة (طفل في حالة النمو) بنوع من الرقي». (دينانى، ١٤٢٢هـ: ص١١٧)

ان المقصود من التكامل الانساني هو مدى قابلية الانسان للتغير الايجابي، بحيث تقوى الحقيقة الوجودية له وتتسامى وتفوق تكامل المخلوقات الاخرى فتصبح أعلى منهم جميعا.

لنتعرف اولا على المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردة التكامل والتي وردت في معاجم اللغة ومن ثم نعرج على ما أراده العلامة الطباطبائي رحمه الله من هذه المفردة.

فقد جاء في المعنى اللغوي للتكامل: «الكَمَال: التَّمام، وقيل: التَّمام الذي تَجَزَّأَ منه أَجزاؤه، وفيه ثلاث لغات: كَمَل الشيء يَكْمُل، وكَمِل وكَمُل كَمالاً وكُمولاً، قال الجوهري: والكسر أَرْدَؤُها. وشيء كَمِيل: كامِل، جاؤوا به على كَمُل؛ وأَنشد سيبويه:

على أَنه بعدما قد مضى

ثلاثون للهَجْر حَوْلاً كَميلا

) .«الانصاري، ١٤٠٥ق، ج١١: ص٥٩٨(

وأما ما ورد في الاصطلاح لمفردة التكامل: (فالهدف من خلقنا هو التكامل الإنساني، أو بتعبير آخر القرب من الله وحركة الوجود الناقص نحو الوجود الكامل الذي لا نهاية له،

إلا أنه ما الهدف من هذا التكامل؟! والجواب يتضح بهذه الجملة أيضا وهو أن التكامل هو الهدف النهائي أو بتعبير آخر " غاية الغايات"».(الشيرازي، ١٤٢٦هـ، ج١٧: ص٩١( أو هو عبارة عن قانون: «و قانون التكامل يقول للإنسان لا يمكن للموت أن يكون نهاية الحياة، و ستستمر الحياة بشكل أرفع وأسمى بعد الموت».(الشيرازي، ١٤٢٥ هـ: ص٥٠)

أما افضل الطرق للوصول الى التكامل فهو عن طريق الدعاء والمناجاة «الدعاء والمناجاة هي من أفضل طريق التكامل الإنساني، لأن كمال الإنسان هو في أن يتقرب إلى الله وهو العلم المحض والوجود الصرف والقدرة الصرفة، ويتخلق بأخلاق الكامل المحض، وطريق التخلق بالأخلاق الإلهية والتقرب إلى ذلك الكمال، هو بعهدة العبادات والأدعية».(الآملي، ١٤١٥هـ ج١: ص٢٠٨)

والنتيجة، فإن التكامل هو سمة الانسان المميزة له عن غيره، وحيث ان باب التكامل قد فتح من قبل الخالق تعالى، فإن هذا الانسان الذي تميز بهذه الصفة سيكون الاولى في دخول هذا الباب، ولكن بمعية صفة مهمة، وبدونها لا يستطيع ان يتجاوز درجة واحدة، ألا وهي صفة العلم. فبالعلم يتكامل الانسان.

ان طبيعة الانسان هي طبيعة مجتمعية فهو اجتماعي الطبع وتربطه علاقات مع بقية افراد المجتمع، ويتميز الانسان في قابليته على التواصل مع الافراد لإكتشاف ذاته اولا وتبادل وتناقل افكاره وخبراته معهم. فهو يعمل على ترتيب كيانات مجتمعية بشكل منتظم وغير منتظم عن طريق انضمامه بين صفوف افرد مجتمعه المتباينة بسلوكها وعاداتها من لحظة ولادته فتأسيس عائلته فمجتمعه.

اذا اردنا الوقوف على المعنى الحقيقي للتكامل في النوع الانساني فهو انما يكون عن طريق التقدم الى الامام والخوض في معتركات النفس اولا والحياة ثانيا بما فيها من

اختلافات بالرأي او بالتقاليد او بالأعراف الاجتماعية او العشائرية او المناطقية. ان هذه الاختلافات قد اقتضت وجود مؤسسة معرفية تشريعية تعالجها بل وتتكامل بها.

من مقومات التكامل الانساني هو الاختلاف، ان نختلف بالرؤى والافكار، وحيث ان الاختلاف هو سنة من السنن الإلهية يقينا، فهذا سيكون عاملا مساعدا على تقبل فكرة الاختلاف بالافكار، فقد قال تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ»(هود: ١١٨)، اننا لا نجد في هذا العالم شخصين متطابقين بشكل تام في شخصيتهما، بل هو مستحيل.

لذلك، اقتضت الحكمة الالهية بأن نختلف حتى نتكامل والكمال المطلق التام للبشر مستحيل أيضا، فإن افراد المجتمع متباينون بالقوة والضعف، قال تعالى: «أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ».(الزخرف: ٣٢)

وبما أنه قد وجد التفاوت بين افراد المجتمع الانساني من حيث القوة والضعف، فمن يوجد عنده نقص معين يساعده فرد آخر في سد هذا النقص، وفي ذات الوقت من يشعر بتوفر القوة لديه فيعين به الآخر حتى يبقى المجتمع وأفراده في تجاذب واحتياج دائم فيما بينهم ومنه الاحتياج الى الله تعالى، قال تعالى «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»(فاطر: ١٥)، وبالتالى يقوى نسيج المجتمع ويتحقق قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».(البخاري، ١٤٢٣هـ: ص٥٩١)

ولكن، لم تتفهم مجتمعاتنا اليوم للأسف الشديد هذه الحكمة العظيمة من هذا الاختلاف، فجعلته مثيرا للخلاف وليس للتكامل، وأصبح كل منا يعيش في جزيرة معزولة حتى وسط أهله وداخل بيته.

ان ما تريده الشريعة المقدسة من التكامل انما هو المعنى المؤدي الى السلوك الصحيح للإنسان منذ ان كان طفلا عن طريق تربية الوالدين له على حب الاحترام والاخلاق الحميدة الى ان يبلغ اشده فيعرف حقيقة ما كانت تصبو اليه تربيته فيبدأ هو بنفسه مجاهدات نفسه ليزكيها من شوائب ما دخل الى قلبه ويحليها بكل ما هو جميل وحسن من أقوال وأفعال متقربا الى الله تبارك وتعالى، وبالتالي يكون مستحقا لهداية الله تبارك وتعالى، فعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا نكت في قلبه نكتة من نور فأضاء لها سمعه وقلبه حتى يكون أحرص على ما في أيديكم منكم وإذا أراد بعبد سوءا نكت في قلبه نكتة سوداء، فأظلم لها سمعه وقلبه، ثم تلا هذه الآية " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء».(الكليني، ١٤٢٦هـ، ج١: ص٩٤(

## غاية التكامل المعنوي:

لكل امة من الامم أو فئة من الفئات أو طائفة معينة ثمت قوانين توضع من قبل المسؤول للوصول بهم الى التكامل او (الحياة).

وبحسب اختلاف الملل والاديان فإن هذه القوانين تارة يكون لها مصدر حقيقي نابع من الشريعة عن طريق الوحي الالهي وتارة اخرى من قبل الحكماء والعارفين بغض النظر عن اتصالهم بالشريعة وثالثة مرتبطة بالشريعة ولكن هذه المرة قد لحق التحريف بهذه الشريعة على مر الدهور.

ان هذه القوانين هي الكفيلة بإيصال الامم الى سلم التكامل إذا ما تمت رعايتها من قبل الافراد والعاملين عليها، اعني الالهيين من اصحاب الشريعة.

واما اذا ما اراد الانسان ان يرتقي صعودا الى السماء فهذا الامر سيوكل اليه نفسه عن طريق تزكية النفس ومراقبتها وفق المعايير والموازين الصحيحة لئلا ينحرف عن مساره الصعودي تجاه السعادة.

بلا شك، ان المركزية في العالم الاسلامي بالنسبة للإنسان الإلهي صاحب الدين هو الخالق تبارك وتعالى، فهو مرتبط ارتباطا وثيقا بخالقه بما انعم عليه من نعم تشمل روحه وجسده ومحيطه بل كل ما يتعلق بوجوده. أما صاحب الدين في العالم الغربي فهو يرى ان المركزية هي للفرد. وهذا هو الفارق والفيصل الجوهري بين الرؤيتين.

## اهل البيت عليهم السلام وطريق التكامل:

ائمة البقيع نموذجا :

لم يخلق الله عز وجل الخلق الا وهيأ اسباب الهداية مسبقا لهم، فمن النعم الالهية على الناس هي ان الله تبارك وتعالى وفر سبل الوصول الى السعادة وهداهم لها بشكل تام وكامل، لكي لا يكون للناس حجة على الله تعالى في شئ فيحتجوا به يوم القيامة.

ان اسباب التكامل والسعادة والنجاح هي بيد الله تعالى يهدي لطريقها من يستحقها ومن يريدها تقربا منه تعالى، فمن اراد السير على الصراط المستقيم سهل الله له هذا الطريق. قال تعالى: «فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ».(البقرة: ٢١٣)

وأما اذا لم تتوفر الارادة عند الانسان وكان مصرا على السير في الطريق المعاكس تماما فأن الله سيضله لا محالة ليس ظلما من الله له وإنما هو من اختار طريقه «فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ».(ابراهيم: ٤)

فلو اجتمع على العبد اهل السماوات والارض ليضلوه وقد ثبت الله هدايته في قلب العبد ما قدروا على ذلك لأن ارادة الله ستغلبهم، ولو اجتمع اهل السماوات والارض على ان يهدوا من اضل الله ما قدروا، الى ذلك يشير الامام الصادق عليه السلام في قوله :

»يا ثابت مالكم وللناس؟ كفوا عن الناس ولا تدعوا أحدا إلى أمركم فو الله لو أن أهل السماوات والأرضين اجتمعوا على أن يهدوا عبدا يريد الله ضلالته ما استطاعوا على أن يهدوه، ولو أن أهل السماوات وأهل الأرضين اجتمعوا على أن يضلوا عبدا يريد الله هداه ما استطاعوا ان يضلوه، كفوا عن الناس ولا يقول أحد: عمى و اخى وابن عمى وجاري، فان الله إذا أراد بعبد خيرا طيب روحه فلا يسمع معروفا الا عرفه، ولا منكرا الا أنكره، ثم يقذف في قلبه كلمة يجمع بها امره».(الكليني، ١٤٢٦هـ، ج١: ص٩٣)

اذن، ان الامر المهم في مسألة التكامل والسعادة والنجاح هو الرحمة الإلهية، وان الله تعالى يهدي برحمته الى ساحته، فلولا هداية الله ما تمكن العبد من ان يحصل علي السعادة والنجاح ولا ان يسير على الصراط القويم، ان المهم في الامر هو ان يكون الاعتقاد بتطبيق هذه القوانين انها توصل الناس الى السعادة الابدية في الدنيا والاخرة لا في الدنيا وحسب، وإن من ابرز هذه القوانين هو اصطفاء الله تعالى لمجموعة من الناس وانتجبهم وطهرهم تطهيرا، اعني محمدا وآل محمد صلوات الله عليهم.

ان طرق التقرب لله تعالى كثيرة، وعلى الانسان ان يستثمر الطريق الاقرب، وذلك لأن حياة كل انسان تكون محددة بسنوات معدودة ليس بإمكانه ان يزيد منها او ينقص، فالوقت بالنسبة للإنسان الواعي المدرك لأسباب الخليقة والنشأة يكون ثمينا ولا مجال لضياع جزء منه. فيبدأ بالتفكير بهذه الطرق؛ ومن افضل واقرب وأزكى وأنقى الطرق هو ذلك الطريق الذي حدده القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل ابدا. حيث ان القرآن

الكريم هو الذي يهدي للتي هي اقوم كما قال الله عز وجل: «إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ... ».(الاسراء: ٩)

وإذا ثبت ان القرآن الكريم يهدي للتي هي اقوم وأصح (وهو كذلك بلا شك)، فإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يرى ان القرآن نفسه قد اشار الى مجموعة من الناس وأثنى عليهم بل وجعلهم الصراط المستقيم الذي ينتهي اليه تعالى. كما ورد ان مولانا ابي عبد الله الصادق عليه السلام: «علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد عن موسى بن أكيل النميري، عن العلاء بن سيابة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى " إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم " قال: يهدي إلى الامام». (الكليني، ١٤٢٦هـ، ج١: ص١٢٤)

فالنتيجة الاولى التي نتوصل اليها هي ان القرآن يهدي للتي هي اقوم وأن الاقوم هو الامام المعصوم عليه السلام، فهو اقرب الطرق الى الله تعالى، كما انهم عليهم السلام هم السبيل المقيم الذي ذكره القرآن كما ورد عن الصادق من آل محمد عليهم السلام: «أحمد بن مهران، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن ابن أبي عمير قال: أخبرني أسباط بياع الزطي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن قول الله عز وجل: " ان في ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لبسبيل مقيم " قال: فقال: نحن المتوسمون والسبيل فينا مقيم».(الكليني، ١٤٢٦هـ، ج١: ص١٢٥)

ان لزيارة أئمة البقيع عليهم السلام اهمية عظمى في التكامل المعنوي للإنسان المؤمن بالله تعالى والمحب لنبيه والمتبع له صلى الله عليه وآله ولأهل بيته ذوي المودة بالقربى عليهم السلام.

من تشرف بزيارة ائمة البقيع عليهم يرى الهيبة العظيمة لهم، فإنهم عليهم السلام ورغم هدم قبورهم من قبل الزمرة المتشددة، حيث لا نرى اليوم سوى الشاخص البسيط

المعين لقبورهم، الا ان تلك الهيبة فاقت الجبال الشامخة؛ كيف لا وهم عترة نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله.

ان المتطلع على المأثور من كلام اهل البيت عليهم السلام يرى انهم حرصوا كثيرا على ضرورة زيارة المعصوم، بل وذهبوا الى ادق واعمق من ذلك حيث اشاروا الى ان الهدف الرئيسي من الزيارة هو تربية الامة على آداب القرآن وحيث ان المعصوم هو القرآن الناطق، هذا من جهة؛ ومن جهة ثانية هو الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه، وان القرآن الكريم يهدي للتي هي اقوم من جهة ثالثة، فيتبين ان الطريق الأقوم انما يكون حصرا من خلال المعصوم، فهو الذي يعبد الجادة للتكامل والتقدم سيرا نحو الله تبارك وتعالى لاسيما بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله الى اقتضت المشيئة الالهية هداية جميع الخلق الى طريق التكامل، وذلك من خلال قوانين التشريع الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وعن طريق ما اودع الله تعالى من اجهزة في خدمة الانسان، فلابد من التقيد بهذه القوانين ولا يتعدى حدودها بغية الوصول الى هدفه.

» ومحصل هذه الآيات وآيات اخرى بهذا المضمون لم نذكرها ـ اختصاراً ـ ان الله تعالى يسوق كل واحد من مخلوقاته ـ بما فيهم الإنسان ـ الى الهدف والسعادة الاسمى التي خلقهم لاجلها، والطريقة الصحيحة للانسان هي التي تدعوه اليه خلقته الخاصة. فيجب ان يتقيد في اعماله بقوانين فردية واجتماعية نابعة من فطرته السليمة، ولا يتبع مكتوف اليد هواه وعواطفه وما تمليه عليه ميوله وشهواته. ومقتضى الدين الفطري (الطبيعي) ان لا يهمل الإنسان الاجهزة المودعة في وجوده، بل يستعمل كل واحد منها في حدوده وفيما وضع له لتتعادل القوى الكامنة في ذاته ولا تغلب قوة على قوة.

وبالتالي يجب ان يحكم على الإنسان العقل السليم البعيد عن الشوائب، لا مطاليب النفس النابعة من العواطف المخالفة للعقل، كما يجب ان يكون الحاكم على المجتمع

هو الحق وما هو الصالح له حقيقة، لا انسان قوي مستبد يتبع هواه وشهواته، ولا الاكثرية التي تخالف الحق والمصالح العامة».(الطباطبائي، ١٤١٢هـ، ج١: ص٢٢)

يعتبر ائمة الهدى هم القيمة الانسانية والاسلامية المطلقة، وهم بمكانتهم عند الله تعالى وعصمتهم التي من خلالها اخذوا بيد الامة الى الجادة الحقة قد حافظوا على الدين نفسه واستقامته، فهم اهل هذه الامانة التي اناطها الله تعالى لهم.

ان السيرة العطرة لأئمة الهدى تشهد بأنهم هم القرآن الناطق، فقد بينوا من خلال كلامهم وفعلهم وإمضائهم المعاني الفقهية التي شملت جميع مفاصل الحياة.

ان قلوب المؤمنين تحن دائما الى ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله لما لهم ارتباط وثيق واصيل وحقيقي بالله تعالى وبرسوله، فقلب المؤمن لا يحن فقط لزيارة ذرية آل رسول الله بل يتحمل الصعوبات والمشقات من اجل الوصول الى اضرحتهم المشرفة.

فهم السبيل الذي لا انحراف فيه، والطريقة الحقة التي لا ضلال بها، وبهم يمسك الله تعالى السماوات والارض ان تزولا، وبهم ينزل الغيث على الامة. فهم جنب الله ومعدن علم الله وهم اصفياءه تبارك وتعالى.

» يا أبا الحسن إن الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة وعرصة من عرصاتها، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم وتحتمل المذلة والأذى فيعمرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقربا منهم إلى الله ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي الواردون حوضي وهم زواري غدا في الجنة.

يا علي من عمر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس.

ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، فأبشر وبشر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، و لكن حثالة من الناس يعيرون

زوار قبوركم كما تعير الزانية بزنائها أولئك شرار أمتي لا أنالهم الله شفاعتي ولا يردون حوضي».(ابن طاووس، ١٣٨٢هـ: ص٣١)

ضرورة وجود الانسان الكامل (الخليفة) :

يعتبر الإنسان الكائن الأكثر إعجازا من بين المخلوقات، وحتى يكون خليفة الله تعالى في الارض فقد سخر الله له كل ما يحتاجه، ان خلق الانسان وخلق اعضائه وغرائزه وسلوكه وقدرته على التفكير كل ذلك من وجوه الاعجاز.

آيات الله تعالى في الإنسان كثيرة لا يمكن إحصاؤها، جزء منها ظاهر للعيان، وجزء منها لا يمكن التعرف عليه إلا من خلال القراءة عنه، أو الاستماع إلى أقوال الأطباء والمختصين فيه.

لا يمكن احصاء آيات الله تعالى التي وضعت ووجدت في الانسان، فمنها ظاهر كعامة جوارحه وقدرته على التفكير، ومنها لا يمكن معرفته الا من خلال اهل الاختصاص كالأطباء والباحثين.

خلق الله تعالى الانسان في احسن تقويم وصوره فأحسن تصويره، وليس المقصود من التصوير هو صورة الشكل الخارجي للإنسان حسن جماله. انما المقصود من الصورة هو قوامه ووجوده .

يعتقد العلامة الطباطبايي في تفسير الاية: خَلَقَ السّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ»(تغابن: ٣) المراد بالحق خلاف الباطل وهو خلقها من غير غاية ثابتة وغرض ثابت كما قال: " لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا(انبياء: ١٧)"، وقال: " وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"(دخان: ٣٨-٣٩)

وقوله: " وَ صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ " المراد بالتصوير إعطاء الصورة وصورة الشئ قوامه ونحو وجوده كما قال: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ "، وحسن الصورة تناسب

تجهيزاتها بعضها لبعض والمجموع لغاية وجودها، وليس هو الحسن بمعنى صباحة المنظر وملاحته بل الحسن العام الساري في الأشياء كما قال تعالى: الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ"

ولعل اختصاص حسن صورهم بالذكر للتنبيه على أنها ملائمة للغاية التي هي الرجوع إلى الله فتكون الجملة من جملة المقدمات المسوقة لاثبات المعاد على ما تقدمت الإشارة إليه». (الطباطبائي، ١٤١٢هـ، ج١٩: ص٢٩٥)

حتى يشعر الانسان بالعبودية لخالقه بل وحتى يشعر بخضوعه للربوبية، لابد له من السعي الى ربه وأن يكون في حركة مستمرة تجاهه تبارك وتعالى.

وهذه الحركة المستمرة تجاه الرب والخالق عز وجل من شأنها ان ترفع من درجات العبد في سيره التكاملي وشعوره بالعبودية الحقة .

»قوله تعالى: " يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ " قال الراغب: الكدح السعي والعناء. انتهى. ففيه معنى السير، وقيل: الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها انتهى. وعلى هذا فهو مضمن معنى السير بدليل تعديه بإلى ففي الكدح معنى السير على أي حال.

وقوله: " فملاقيه " عطف على " كادح " وقد بين به أن غاية هذا السير والسعي والعناء هو الله سبحانه بما أن له الربوبية أي إن الانسان بما أنه عبد مربوب ومملوك مدبر ساع إلى الله سبحانه بما أنه ربه ومالكه المدبر لامره فإن العبد لا يملك لنفسه إرادة ولا عملا فعليه أن يريد ولا يعمل إلا ما أراده ربه ومولاه وأمره به فهو مسؤول عن إرادته وعمله.

ومن هنا يظهر أولا أن قوله: «إنك كادح إلى ربك " يتضمن حجة على المعاد لما عرفت أن الربوبية لا تتم إلا مع عبودية ولا تتم العبودية إلا مع مسؤولية ولا تتم مسؤولية إلا برجوع وحساب على الأعمال ولا يتم حساب إلا بجزاء .

وثانيا: أن المراد بملاقاته انتهاؤه إلى حيث لا حكم إلا حكمه من غير أن يحجبه عن ربه حاجب.

وثالثا: أن المخاطب في الآية هو الانسان بما انه إنسان فالمراد به الجنس وذلك أن الربوبية عامة لكل إنسان».(الطباطبائي، ١٤١٢هـ ج٢٠: ص٢٤٢)

اذا تحقق شعور الانسان بالعبودية لمعبوده وان مراقب له على الدوام، وكان الانسان في حركة مستمرة تجاهه تعالى، فسوف تنشأ علاقة حب بين العبد وخالقه.

والحب هو أسمى وسيلة تربط بين الطرفين، حب الله هو أعظم حب في الوجود، ليس قبله حب أو بعده حب، به تعالج أمراض القلوب وتنتهي نزعات النفس، وبه يرفع قدر المجتمع اذا جاهد نفسه من خلال التزامه بالقوانين الاسلامية.

حب الله، سلعة نادرة يستأثر بها أصحاب القلوب المؤمنة النقية من المسلمين، فالمسلم إذا ما تحرى حب الله ومرضاته في كل قول أو فعل أو عمل يقوم به في دنياه فاز وأجزل الله تبارك وتعالى له العطاء والبركة في العمر، والسعة في الرزق، والسعادة في الدنيا والآخرة.

بين لنا القرآن الكريم الطريق الصحيح في الحب، فهو ليس مجرد عواطف ساذجة تنبع من قلب العبد. بل ان الامر اهم من ذلك بكثير، فإذا كان العبد صادقا في حبه فيلزم ذلك منه الاتباع، اتباع المحبوب والايمان به وبما جاء به نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»(آل عمران: ٣١)، فحب الله يكون في تحري واتباع منهاجه، والإيمان بما جاء به نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من عقيدة، والعمل بمقتضى هذه العقيدة وتطبيق العبادات والمعاملات والآداب التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بها، وأن يكون حب الله تعالى مقدم على كل حب في الدنيا، وذلك بطاعته وتطبيق منهاجه والتحلي بالأخلاق، فبمقدار تطبيقنا لشرع الله تعالى، يزداد حبنا وتعلق قلوبنا به جل وعلا.

» ثم الحب الذي هو بحسب الحقيقة الوسيلة الوحيدة لارتباط كل طالب بمطلوبه وكل مريد بمراده إنما يجذب المحب إلى محبوبه ليجده ويتم بالمحبوب ما للمحب من النقص ولا بشرى للمحب أعظم من أن يبشر أن محبوبه يحبه وعند ذلك يتلاقى حبان ويتعاكس دلالان.

فالانسان إنما يحب الغذاء وينجذب ليجده ويتم به ما يجده في نفسه من النقص الذي آتيه الجوع وكذا يحب النكاح ليجد ما تطلبه منه نفسه الذي علامته الشبق وكذا يريد لقاء الصديق ليجده ويملك لنفسه الانس وله يضيق صدره وكذا العبد يحب مولاه والخادم ربما يتوله لمخدومه ليكون مولى له حق المولوية ومخدوما له حق المخدومية ولو تأملت موارد التعلق والحب أو قرأت قصص العشاق والمتولهين على اختلافهم لم تشك في صدق ما ذكرناه.

فالعبد المخلص لله بالحب لا بغية له إلا أن يحبه الله سبحانه كما أنه يحب الله ويكون الله له كما يكون هو لله عز اسمه فهذا هو حقيقة الامر غير أن الله سبحانه لا يعد في كلامه كل حب له حبا (والحب في الحقيقة هو العلقة الرابطة التي تربط أحد الشيئين بالآخر) على ما يقضي به ناموس الحب الحاكم في الوجود فإن حب الشئ يقتضي حب جميع ما يتعلق به ويوجب الخضوع والتسليم لكل ما هو في جانبه والله سبحانه هو الله الواحد الاحد الذي يعتمد عليه كل شئ في جميع شؤون وجوده ويبتغي إليه الوسيلة ويصير إليه كل ما دق وجل فمن الواجب أن يكون حبه والاخلاص له بالتدين له بدين التوحيد وطريق الاسلام على قدر ما يطيقه إدراك الانسان وشعوره وإن الدين عند الله الاسلام وهذا هو الدين الذي يندب إليه سفرائه ويدعو إليه أنبيائه ورسله وخاصة دين الاسلام الذي فيه من الاخلاص ما لا إخلاص فوقه وهو الدين الفطري الذي يختم به

الشرائع وطرق النبوة كما يختم بصادعه الأنبياء عليهم السلام وهذا الذي ذكرناه مما لا يرتاب فيه المتدبر في كلامه تعالى». (الطباطبائي، ١٤١٢هـ ج٣: ص١٥٨)

من خلال الحب الذي نشأ بين العبد وربه والسير التكاملي للإنسان، فسيكون الانسان هو الاحق ليكون خليفة الله في ارضه .

ترد كلمة خليفة في الاستعمال القرآني بالمفهوم البنائي المقوم، فمهمة الإنسان عمارة الأرض، ولهذا خلق، قال الله تعالى: «هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا.«

وقال الله سبحانه وتعالى في سياق الكلام عن خليفته في هذه الأرض: «إِنِّيْ جَاْعِلٌ فِيْ الأَرْضِ خَلِيفَةً». اعتقد الملائكة انهم هم المعنيون من قوله تعالى في الآية، فظنوا انفسهم انهم اهلا للتسبيح والتقديس. بين الله تعالى للملائكة عظم الامر في الاستخلاف، فهو يشمل البناء والتكامل، وهي مهمة لا يتمكن القيام بها الا من كان مخلوقا من الارض، من الماء والتراب.

لعل اهم مخلوق في سلسلة الوجود قد خلق هو الانسان، فهو صفوة الخليقة وسرها الكامن، والقرآن الكريم افصح عن هذا الامر في طيات آياته المباركة. فلا نجد وصفا وافيا يبين حقيقة الانسان من جميع ابعاده في سوى القرآن الكريم. ومن ثم حظي بالعناية الالهية الخاصة.

ان الرؤية التي جاء في شريعة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيما يخص الكون والانسان والحياة هي نفسها التي جاء بها الانبياء السابقين عليه صلى الله عليه وآله وسلم. الا ان الرؤية التي جاءت في الشريعة المحمدية اوضح وأجلى.

فالرؤية الاسلامية تقدم الانسان كمحور بين بقية المخلوقات، وذلك لأن الله تعالى قد سخر فعلا جميع المخلوقات لخدمته لأنه هو (الخليفة).

ان الخلافة التي نص عليها الكتاب الكريم قد جعلت مباشرة من الله تعالى بدليل الالفاظ القرآنية (اني جاعل)، (اني جاعلك). فهو تنصيب مباشر من الله تعالى للخليفة.

من هنا يتبين ان الخليفة لابد ان يتخلق بأخلاق الله تعالى ويتصف بصفاته وفعله تابع لإرادة الله تعالى.

)قوله تعالى: " يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ " إلى آخر الآية الظاهر أن الكلام بتقدير القول والتقدير فغفرنا له ذلك وقلنا يا داود " الخ."

وظاهر الخلافة إنها خلافة الله فتنطبق على ما في قوله تعالى: " وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً " ومن شأن الخلافة أن يحاكي الخليفة من استخلفه في صفاته وأعماله فعلى خليفة الله في الأرض أن يتخلق بأخلاق الله ويريد ويفعل ما يريده الله ويحكم ويقضي بما يقضي به الله – والله يقضي بالحق – ويسلك سبيل الله ولا يتعداها.

ولذلك فرع على جعل خلافته قوله: " فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ " وهذا يؤيد أن المراد بجعل خلافته إخراجها من القوة إلى الفعل في حقه لا مجرد الخلافة الشأنية لان الله أكمله في صفاته وآتاه الملك يحكم بين الناس». (الطباطبائي، ١٤١٢هـ ج١٧: ص١٩٥)

ان الله الواحد تبارك وتعالى لم يترك العالم ككل والناس خاصة دون تشريع بعد خلقهم وإلا شاع قانون الغاب والعياذ بالله. وإنما بعث النبيين والائمة من بعدهم لينشروا تعاليم السماء ويطبقوا اهدافها بأنفسهم قبل الامة لكي يكونوا المثل الاعلى في الارض.

روح الاسلام كشريعة ورسالة تنطوى على مسؤولية بالغة الاهمية وهى مهمة تطبيقها فى واقع الحياة.

فيكون الخليفة هو السبب الرئيسي والفعلي لقيادة الامة وهدايتها وتكاملها لئلا يكون على الناس حجة بعد بعثة رسل الله عليهم السلام.

من هنا نرى الأهمية العظمى لوجود الإمام (الإنسان الكامل) في المجتمع، فهو من يقود الامة الى ساحل الامان، وهو من يأخذ بيدها الى طريق الجنة التي وعدها الله للمتقين.

**النتيجة**

يحتاج الإنسان إلى وسائل للتطور الروحي والوصول إلى الله سبحانه وتعالى. إن أهم طريقة للوصول إلى الله تعالى هي الاستعانة بإلانسان الكامل. إن الإنسان الكامل ليس إلا الأنبياء والأئمة عليهم السلام. نتيجة لذلك ، يجب على المرء أن يتبع أوامرهم ويحافظ على علاقته معهم من خلال العمل برواياتهم وزيارة الأضرحة المقدسة. ومن أهم المزارات المقدسة مرقد الائمة في البقيع في المدينة المنورة.

**المصادر:**

القرآن الكريم.

الآملي، عبد الله جوادي، جمال المرأة وجلالها، بيروت لبنان، دار الهادي، الطبعة الاولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

الانصاري، محمد بن مكرم بن عليّ، لسان العرب، موقع الكتروني، المكتبة الشيعية، المجموعة: علوم اللغة العربية، ١٤٠٥.

البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دمشق بيروت، دار بن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

ابن طاووس، غياث الدين عبد الكريم بن احمد، فرحة الغري في تعيين قبر امير المؤمنين علي بن أبي طالب في النجف، العراق النجف الاشرف، المطبعة الحيدرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م.

الجوهري، محمد محمود، وآخرون، الانثروبولوجيا الاجتماعية، قضايا الموضوع والمنهج، مصر الاسكندرية، ٢٠٠٤.

الشيرازي، ناصر مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت لبنان، الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

الشيرازي، ناصر مكارم، المعاد وعالم الاخرة، قم، مدرسة الامام علي بن ابي طالب (ع)، ١٤٢٥ هـ

الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع، بيروت لبنان، دار المرتضى، الطبعة الاولى، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ١٤١٢هـ

ديناني، غلام حسين، مناجاة الفيلسوف، بيروت لبنان، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

القمي، عباس بن محمد رضا، مفاتيح الجنان، بيروت لبنان، دار المرتضى، الطبعة الجديدة، ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م.

الكليني، محمد بن يعقوب، اصول الكافي، بيروت لبنان، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، الطبعة الاولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

# إحصاء أسماء الله الحسنى ودوره في تعديل السلوك

بولحية نوارة[1]

**الملخص:**

يهدف هذا المقال إلى محاولة التعرف على دور إحصاء أسماء الله الحسنى في تعديل السلوك التحققي والسلوك التخلقي، من خلال ذكر النماذج المختلفة التي اهتمت بالبحث في مفهوم الإحصاء، ودلالاته المختلفة، وكيفية تفعيله في السلوك بنوعيه، سواء السلوك التحققي المرتبط بالصلة بالله، والسلوك التخلقي المرتبط بالعلاقة مع الخلق.

وبناء على أن أكثر من اهتم ببيان كيفية إحصاء الأسماء الحسنى من الناحية السلوكية المحققون من المتكلمين، والعرفاء من الصوفية، فقد ذكرنا نماذج عنهما في شرح أسماء الله الحسنى، والأثر السلوكي لها.

وقد خلصنا من خلال العرض لبعض تلك النماذج إلى أن الجميع متفقون على أن الأسماء الحسنى مدرسة تربوية عظيمة يمكن استثمارها في المجال التربوي كأداة تربوية لتعزيز القيم والمبادئ الحسنة لدى الأفراد، ولتعزيز التطوير الشخصي وتحقيق التنمية الذاتية، وتزكية النفس.

كما رأينا أنه يمكن استثمارها في تعميق الإيمان، وذلك بتعميق العلاقة بالله، حيث يمكن أن تكون دراسة هذه الأسماء وتدبرها وتطبيقها في الحياة وسيلة للتواصل مع الله وتعزيز الثقة به والتقوى، ولكل ذلك أثره الكبير في تعديل السلوك الأخلاقي، فالسلوك الروحي في الإسلام هو الأساس الذي يقوم عليه السلوك الأخلاقي باعتباره يمثل العقيدة والرؤية الكونية التي يقوم عليها.

وكل ذلك يدل على أن الله تعالى يربي عباده من خلال ذكره لأسمائه الحسنى، كما

١ طالبة ماجستير فلسفة الأخلاق، جامعة المصطفى العالمية، البريد الإلكتروني: boulahianoura٣@gmail.com

يعرفهم بنفسه من خلالها، ولهذا نرى في القرآن الكريم ذكر الأسماء الحسنى كفواصل للآيات الكريمة، وفي أكثر القضايا المطروحة في القرآن الكريم.

وننبه إلى أننا اعتمدنا في هذا المقال على المنهج الوصفي والاستنباطي والاستقرائي، لأننا حاولنا أن نستقرئ مواقف العلماء من المدارس والتوجهات المختلفة من خلال اختيار نماذج عنهم، وعن كيفية دراستهم للأسماء الحسنى، وذلك لأنه لا يمكن أن يفي مقال واحد بذكر جميع ما ذكروه من ذلك.

**الكلمات المفتاحية:** الإحصاء، الأسماء الحسنى، تعديل السلوك، التحقق؛ العرفان، السلوك، التخلق.

**المقدمة:**

من أهم المباحث التي تبرز دور المعارف العقدية في الأخلاق، ما يرتبط بإحصاء أسماء الله الحسنى، والذي وردت الدعوة إليه في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من أحصاها دخل الجنة». (البخاري، ١٤١٤هـ: ٢٧٣٦؛ مسلم، ١٣٩٨ق: ٢٦٧٧)

فهذا الحديث يبين أهمية الإحصاء، وارتباط دخول الجنة به، وهو يشير إلى الدور الإصلاحي لذلك الإحصاء، والذي أهل هؤلاء المحصين لدخول الجنة، ذلك أن الجنة ـ كما ورد في القرآن الكريم ـ لا يدخلها إلا الطيبون الطاهرون الذين زكوا أنفسهم، وأصلحوها، كما قال تعالى: «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ». (سورة الزمر: ٧٣)

وبناء على هذا اهتم العلماء ـ سواء كانوا من المتكلمين أو الصوفية ـ حول حقيقة إحصاء أسماء الله الحسنى، ودورها في تعديل السلوك، واختلفت مناهجهم في ذلك.

فهناك من تبنوا المنهج العرفاني، فاهتموا بعلاقة الإحصاء بتعديل السلوك التحققي الذي يجعل صاحبه أهلا للقرب من ربه، وأهلا لكل المقامات العالية التي يتحقق بها المتقربون.

وهناك من تبنوا المنهج الأخلاقي، فاهتموا بعلاقة الإحصاء بتعديل السلوك التخلقي، والذي يجعل صاحبه متحليا بالأخلاق العالية، التي أمرت الشريعة بها، واعتبرتها ركنا أساسيا في الدين.

وهناك من جمع بين الأمرين، باعتبار أن الأخلاق واحدة، والفرق فقط في الأسماء والمصطلحات الدالة عليها، فإن تعلقت بالله سميت سلوكا تحققيا، وإن تعلقت بالخلق سميت سلوكا أخلاقيا، فالشكر ـ مثلا ـ واحد في معناه، وإن اختلفت الجهة التي تعلق بها.

بناء على هذا، اختلفت رؤى ومناهج المتكلمين في إحصاء أسماء الله الحسنى، وفي مؤلفاتهم التي وضعوها لذلك، والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين:

أولهما: من اهتم بالجانب السلوكي في إحصاء الأسماء الحسنى، بالإضافة إلى الجانب الكلامي أو العرفاني منها، ومن أمثلتها ما كتبه الفخر الرازي (توفي ٦٠٦ هـ) في كتابه [تفسير أسماء الله الحسنى]، وسبقه إلى ذلك أبو القاسم القشيري (توفي ٤٦٥هـ) في كتابه [شرح أسماء الله الحسنى]، وأبو حامد الغزالي (توفي ٥٠٥ هـ) في كتابه [المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى]، وغيرهم.

والثاني: اهتم بالجانب الغيبي أو الطقوسي في إحصاء الأسماء الحسنى، وكيفية استخدامها في الشؤون المختلفة، بما فيها الشأن المرتبط بالعرفان والفتوح، ومن أمثلتها ما كتبه محيي الدين بن عربي (توفي ٦٣٨ هـ) في كتابه [الفتوحات المكية]، و[فصوص الحكم]، وصدر الدين القونوي (توفي ٦٧٢هـ) في كتابه [شرح أسماء الله الحسنى].

وهذا ما يدعونا إلى التساؤل عن المفهوم الحقيقي للإحصاء الوارد في الحديث، وعلاقته بتحديد السلوك؟

ويتفرع عن هذا السؤال البحث عن منهج الإحصاء، ونوع السلوك الذي يتعلق به الإحصاء، وهل هو قاصر على السلوك التحققي، كما يقول الصوفية، أو أنه يشمل غيره أيضا كما يقول غيرهم؟

والإجابة على هذه الإشكالات مهمة جدا، لأنها ترتبط بأهم الحقائق العقدية، وهي أسماء الله الحسنى التي اهتم بها القرآن الكريم كثيرا، وتتعلق كذلك بجانب مهم من الدين، وهو جانب الأخلاق، والتي ذكر الله تعالى أنها من وظائف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكبرى، كما قال تعالى: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ». (سورة الجمعة: الآية٢)

بناء على هذا قسمنا هذا المقال إلى ثلاثة مباحث:

تناولنا في أولها تحديد المفاهيم الكبرى، وهي الإحصاء، وأسماء الله الحسنى، وتعديل السلوك.

وتناولنا في الثاني: الإحصاء ودوره في تعديل السلوك التحققي، وهو ما يتعلق بالجانب العرفاني.

وتناولنا في الثالث: الإحصاء ودوره في تعديل السلوك التخلقي، وهو ما يتعلق بالجانب الأخلاقي.

**أولا ـ تحديد المفاهيم:**

من أهم المفاهيم التي يدور حولها المقال، وهي الإحصاء، وأسماء الله الحسنى، وتعديل السلوك، وسنتحدث عنها في المطالب التالية:

**١-١. مفهوم الإحصاء:**

اختلف العلماء في تعريف إحصاء الأسماء الحسنى، بناء على اختلاف المراد من كلمة (الإحصاء)، حيث وردت بعدة معان منها:

١ ـ الإحصاء بمعنى العد والمعنى: أي أن يعدها حتى يستوفيها حفظاً ويدعو ربه بها، ويثني عليه بجميعها كقوله تعالى: «وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» (سورة الجن: الآية ٢٨)، يدل على أنها جاءت في ألفاظ الحديث (لا يحفظها أحد) (البخاري، ١٤١٤ه، ٥: ٢٣٥٤)، ورجح البخاري وغيره هذا، كما رجحه ابن الجوزي (ابن حجر، ١٣٨٠ هـ، ١١: ٢٢٩)، وذكر النووي: (أنَّ عليه الأكثرين) (محيي الدين الشافعي، ١٩٩٤ م، ص١٣٢» وَرَدَّ ابن حجر هذا القول، وقال: «وفيه نظر لأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ حفظها تعين السرد عن ظهر قلب بل يحتمل الحفظ المعنوي، وقيل المراد بالحفظ حفظ القرآن لكونه مستوفيا لها فمن تلاه ودعا بما فيه من الأسماء حصل المقصود». (ابن حجر، ١٣٨٠ هـ، ١١: ٢٢٦)

٢ ـ الإحصاء بمعنى الإطاقة كقوله تعالى: «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ» (سورة المزمل: الآية٢٠)، أي: لن تطيقوه، وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «استقيموا ولن تحصوا» (أحمد بن حنبل، ٢٠٠١ م، ٥: ٢٧٦) أي: لن تطيقوا كل الاستقامة وعليه يكون معنى (من يطيقها) يجب المراعاة لها. (الخطابي، ١٩٨٤، ص٢٧ ـ ٢٨)

٣ ـ الإحصاء بمعنى العقل والمعرفة فيكون معناها «أن من عرفها وعقِل معانيها وآمن بها دخل الجنة، وهو مأخوذ من الحصاة وهي العقل، وذهب ابن القيم (توفي ٦٩١ هـ) إلى أن مراتب الإحصاء ثلاث: الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها، والثانية: فهم معانيها ومدلولها، والثالثة: دعاؤه بها، كما قال الله تعالى: «وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا» (سورة الأعراف: ١٨٠)، وهو مرتبتان: المرتبة الأولى: دعاء ثناء، والمرتبة الثانية: دعاء

طلب ومسألة». (أيوب الزرعي، ١٩٩٦م، ١: ١٨٥)

٤. الإحصاء الشامل، فقد ذكر الفيروزآبادي في بصائره (الفيروزآبادى، ١٩٩٦ م،٢: ١٢٨) معنى الإحصاء حيث ورد في القرآن والسنة فقال: «الإحصاء مشتق من الحصى وذلك لأنهم كانوا يعتمدون عليها بالعدد كاعتمادنا فيه على الأصابع والحصاة: العقل، فقد ورد الإحصاء في القرآن على أربعة أوجه: الأول: بمعنى الحفظ والضبط «لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا» (سورة الكهف: ٤٩)، أي: حفظها.. الثاني: بمعنى الكتابة: «وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) (سورة يس: ١٢) الثالث: بمعنى الحصر والإحاطة: «وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» (سورة الجن: ٢٨). الرابع: بمعنى الطاقة والقدرة: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» «سورة إبراهيم: ٣٤»، ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». (مسلم، ١٩٥٥ م: ٤٨٦)

٥. الإحصاء بمعنى الإحاطة بها، قال الشيخ الصدوق: «إحصاؤها هو الإحاطة بها والوقوف على معانيها، وليس معنى الإحصاء عدّها» (الشيخ الصدوق، ١٤٣٠ه ق: ص ١٩٠»

٦. الإحصاء بمعنى التخلق، كما قال ناصر مكارم الشيرازي: «علينا أن نفهم أنَّ الغرض مِن عَد الأسماء الحسنى ليس ذكرها على اللسان وحسب، حتى يصبح الإنسان مِن أهل الجنّة ومستجاب الدعوة، بل إنَّ الهدف هو التخلُّق بهذه الأسماء وتطبيق شذرات مِن هذه الأسماء، مِثل (العالم، والرحمن، والرحيم، والجواد، والكريم) في وجودنا حتى نصبح مِن أهلِ الجنّة ومستجابي الدعوة». (مكارم الشيرازي، ١٤٣٣هـ، ٩: ١٧٨)

وقال: «الجدير بالذكر هو أنّ إحصاء وعدِّ الأسماء الحسنى وتلفظها باللسان لا يعني أن يكون سبباً في دخول الجنّة بدون حساب، بل بمعنى معرفة محتوى هذه الأسماء والإيمان بها فلابدّ أن يعرّف الإنسان اللّه بهذه الصفات الإلهيّة، فضلًا عن التخلق بها،

أي أن يشُّع في وجوده شعاع من علم اللَّه وقدرته ورحمته ورأفته وغيرها من الصفات، لأنّ التخلق بهذه الصفات الكمالية يلازم الإيمان بها». (مكارم الشيرازي، ١٣٧٧، ٤: ٢٤)

**١-٢. مفهوم الأسماء الحسنى:**

عُرفت أسماء الله الحسنى بعدة تعاريف نذكر منها:

**أ. تعريف القشيري:**

عرّف عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (توفي ٤٦٥هـ) الأسماء الحسنى بقوله: «الأسماء الحسنى بمعنى أنها صفات علا، ونعوت كمال وجلال وجمال كثيرة، لأن معالم العظمة ليست لها نهاية، وهي مبثوثة في القرآن الكريم، ويغلب أن تختم بها آياته، ويختار الاسم أو الأسماء الخاتمة من السياق الّذي جاءت به الآيات». (القشيري، ١٤٢٢ هـ: ص١٧)

**ب. تعريف محمد حسين الطباطبائي:**

عرّف محمد حسين الطباطبائي (توفي ١٤٠٢ هـ) الأسماء الحسنى بقوله: «المراد بالأسماء الحسنى ما دل على معان وصفية كالإله والحي والعليم والقدير دون اسم الجلالة الذي هو علم الذات». (الطباطبائي، ١٩٩٧ م، ١٤: ٦٦)

ثم ذكر ضوابطها التي تحميها من دخول غيرها، فقال: «الأسماء تنقسم إلى قبيحة كالظالم والجائر والجاهل، وإلى حسنة كالعادل والعالم، والأسماء الحسنة تنقسم إلى ما فيه كمال ما وإن كان غير خال عن شوب النقص والإمكان نحو صبيح المنظر ومعتدل القامة وجعد الشعر، وما فيه الكمال من غير شوب كالحي والعليم والقدير بتجريد معانيها عن شوب المادة والتركيب). (المرجع السابق)

ثم ذكر أن هذا النوع الأخير هو المراد بالأسماء الحسنى، وأنه وحده من يصلح أن

يوصف به الله تعالى، فقال: «وهي أحسن الأسماء لبراءتها عن النقص والعيب وهي التي تليق أن تجري عليه تعالى ويتصف بها، ولا يختص ذلك منها باسم دون اسم، بل كل اسم أحسن فله تعالى لمكان الجمع المحلى باللام المفيد للاستغراق في قوله تعالى: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» (سورة طه: الآية٨)، وتقديم الخبر يفيد الحصر فجميعها له وحده». (الطباطبائي، ١٩٩٧ م، ١٤: ٦٦)

**ج. تعريف محمد جواد مغنية:**

عرّف محمد جواد مغنية (توفي ١٤٠٠ هـ) الأسماء الحسنى بقوله: «كل أسماء الله حسنة، لأنها تعبر عن أحسن المعاني وأكملها، وكلها على مستوى واحد في الحسن، إذ ليس لله حالات متعددة، ولا صفات متغايرة، حتى عند القائلين بأن صفاته غير ذاته، ولا أفعال متفاوتة، فخلق جناح بعوضة وخلق الكون بأسره سواء لديه، يوجد كلا بكلمة (كُنْ فَيَكُونُ) (سورة غافر: ٦٨).. ومتى تساوت المعاني تساوت الألفاظ لأنها فرع، والفرع يتبع الأصل». (جواد مغنية، ١٩٠٠، ٣: ٤٢٥)

**د. تعريف جعفر السبحاني:**

عرّف جعفر السبحاني الأسماء الحسنى وبين الفرق بينها وبين الصفات بقوله: «الاسم هو اللفظ المأخوذ إما من الذات بما هي هي، أو بكونها موصوفاً بوصف أو مبدء الفعل، فالأوّل كلفظ الجلالة له سبحانه والرجل والإنسان لغيره، والثاني كالعالم والقادر، والثالث كالرازق والخالق، وأمّا الصفة فهو الدال على المبدء مجرّداً عن الذات كالعلم والقدرة والرزق والخلقة ولأجل ذلك يصحّ أن يقال الاسم ما يصحّ حمله كما يقال الله عالم وخالق ورحمان ورحيم، والصفة لا يصحّ حملها كالعلم والخلق والرحمة، وهذا هو المشهور بين المتكلّمين بل الحكماء والعرفاء، فالصفات مندكة في الأسماء من غير عكس». (السبحاني، ١٤٢٠ هـ، ١:٥٩)

ثم نقل عن العلاّمة الطباطبائي قوله: «لا فرق بين الصفة والاسم، غير أنّ الصفة تدلّ على معنى من المعاني تتلبّس به الذات، أعم من العينيّة والغيريّة والاسم هو الدال على الذات مأخوذة بوصف، فالحياة والعلم صفتان، والحي والعالم اسمان». (الطباطبائي، ١٩٩٧، ٨: ٣٦٩)

وعلّق عليه بقوله: «هذا كلّه على ما هو المشهور ويوافقه ظاهر الكتاب العزيز من أنّ أسماءه سبحانه من قبيل الألفاظ والمعاني فيكون لفظ الجلالة وسائر الأسماء كالرحمان والرحيم، والعالم والقادر أسماء الله الحسنى الحقيقية، ولها معان ومفاهيم فينتقل إليها الذهن عند السماع». (السبحاني، ١٤٢٠ هـ: ص ٥٩)

**هـ. تعريف ناصر مكارم الشيرازي:**

عرّف العلامة ناصر مكارم الشيرازي الأسماء الحسنى بقوله: «لا شك أنّ الأسماء الحسنى تعني الأسماء الكريمة، ونحن نعرّف أن أسماء الله كلّها تحمل مفاهيم حُسنى، ولذلك فجميع أسمائه أسماءُ حسنى، سواءً كانت صفات لذاته المقدّسة الثبوتية كالعلم والقادر، أم كانت صفات سلبية كالقُدّوس». (مكارم الشيرازي، ١٤٣٣هـ، ٥: ٣٠٤)

**١-٣ ـ مفهوم تعديل السلوك:**

اختلف الباحثون حول تعريف مصطلح [تعديل السلوك]، حيث ظهرت تعريفات مختلفة كلها تتمركز حول نقطة واحدة، هي محاولة (تغيير السلوك السلبي الى سلوك إيجابي)، وسنذكر نماذج عنها هنا:

١. عرّفه حمدي عبد الله عبد العظيم على أنه «مفهوم عام ومنهج علمي يعتمد على تطبيق إجراءات علاجية معينة، الهدف منها ضبط المتغيرات المسؤولة عن حدوث

السلوك، وذلك لتحقيق الأهداف المرجوة من وراء هذا التعديل ليحدث التكيف مع بيئة الفرد التي يعيش فيها». (عبد العظيم، ٢٠١٣، ١:ص ٢٢)

٢ ـ عرّفه عدنان أحمد الفسفوس بأنه: «هو العلم الذي يشمل على التطبيق المنظم للأساليب التي انبثقت عن القوانين السلوكية وذلك بغية إحداث تغيير جوهري ومفيد في السلوك الأكاديمي والاجتماعي». (الفسفوس، ٢٠٠٦، ص١٠)

٣ ـ عرّفه كاليش بأنه «مجموعة من الإجراءات التي تستخدم لتغيير السلوك، أي سلوك في أي وضع كان»، أما العلاج السلوكي فيعرّفه كاليش بأنه «مصطلح يشير بالتحديد الى الإجراءات التي تستخدم لمعالجة المشكلات السلوكية». (الخطيب، ٢٠١٦، ٨: ص١٢)

**ثانيا ـ الإحصاء ودوره في تعديل السلوك التحققي:**

من خلال ما ورد في القرآن الكريم من الحديث عن أسماء الله الحسنى نجد أنها المعارف التي أذن الله تعالى فيها لوسائل إدراكنا البسيطة أن تتعرّف بها على كمالات الألوهية، من غير تحديد أو تقييد لها، ذلك أن أسماء الله تعالى لا نهاية لها، وما كشف لنا منها ليس سوى قطرة من بحر كمال الله الذي لا حدود له.

ولكنها ـ مع ذلك ـ هي المنافذ الوحيدة التي تتيح لنا التعرّف على الله تعالى وعظمته، حتى نتجنب كل تلك الضلالات التي وقعت بسبب الإلحاد في أسماء الله، وتحريفها، وتغييرها، ليتحول الله تعالى بموجبها إلى إله غير الإله الحقيقي الذي دعت إليه الرسل، وعرفت به كلماته المقدسة، ودل عليه الكون جميعا.

ولذلك لا يصح تسميه الله تعالى بما نعتقده كمالا فينا، لأن كمالنا قد يكون نقصا لله تعالى، ولهذا لا يُطلق على الله تعالى اسم [العفيف] مع كون دلالته حسنة بالنسبة لنا،

ذلك أن فيه من شوائب النقص ما لا يليق بالله.. فالعفيف لا يكون كذلك إلا إذا كان يملك غريزة وشهوة، ثم يحاربها وينتصر عليها.. ومعاذ الله أن ينسب لله تعالى كل ذلك النقص.

وهكذا لا يطلق عليه اسم [الشجاع] مع كون دلالته حسنة بالنسبة لنا، ذلك أن الشجاعة تقتضي إقدام الأجسام على المخاطر والمهالك من دون خوف، ويستحيل على الله تعالى الجسمية ومقتضياتها.

ولهذا كان من الأدب مع الله ألا نسميه إلا بما سمى نفسه به، أو سماه رسوله وورثة الهداية الذين اكتفوا بنبع النبوة، ولم يخلطوا معه غيره، ولذلك فإن كل ما عندهم قبس من مشكاة النبوة.

ولهذا، فإن أول الإحصاء تطهير الأسماء الحسنى من الأسماء المبتدعة والصفات التي لا تليق بالله، والتي حصرته في الحدود والقيود والأمكنة والأزمنة، وجعلته جرما كالأجرام، وقد قال الإمام الكاظم محذرا من تلك الأسماء المبتدعة: «إنّ الله أعلى وأجلّ وأعظم من أن يبلغ كنه صفته، فصفوه بما وصف به نفسه، وكفّوا عمّا سوى ذلك». (الكليني، ١٣٦٣ هـ ش، ج١، ص ١٠٢)

وقال الإمام الرضا: «إنّ الخالق لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه، وأنّى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا وصفه الواصفون، وتعالى عمّا ينعته الناعتون». (المجلسي، ج ٤، ص ٢٩٠)

ومن أول ثمرات السلوك التحققي المرتبط بإحصاء الأسماء الحسنى ـ كما يذكر القرآن الكريم ـ الانفعال والتأثر لها، نتيجة التعمق في معانيها، وهو ما يجعل المحصي يتعامل بكل اسم بحسب ما يقتضيه من تعظيم وإجلال، ولهذا ارتبط ذكر أسماء الله تعالى

بالسجود الدال على التعظيم، كما قال تعالى في اسم الله [الرحمن]، ونفور المشركين منه لعدم إيمانهم به، وإحصائهم له: «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا» (سورة الفرقان: ٦٠)

ذلك أن السجود يعني الانفعال الأعظم، والتأثر الأكبر، والذي لا يكتفي بالقلب، وإنما يسري إلى الجوارح، ويجعلها خاشعة خاضعة مستكينة ذليلة لخالقها.. ولذلك كان السجود علامة القرب، كما قال تعالى: «كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ». (سورة العلق: ١٩)

ومن آثار الانفعال أن يجعل المنفعل غنيا بربه عمن سواه، ذلك أنه يجد في أسمائه الحسنى كل الطلبات التي تريدها، ولذلك كان من الإحصاء دعاء الله بأسمائه الحسنى المرتبطة بالحاجات المختلفة، كما قال تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا). (سورة الأعراف: ١٨٠)

وذلك لأن الدعاء ـ في أصله ـ مقتضى من مقتضيات المعرفة بالله، فالمعرفة بأسماء الله وصفاته العليا هي التي تدعو إلى الثقة فيه، وهي التي تدعو إلى سؤاله، ولهذا نرى امتزاج أدعيته صلى الله عليه وآله وسلم بأسماء الله.

ومما يروى في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان جالسا ورجل يصلي، ثم دعا قائلا: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:«لقد دعا الله باسمه العظيم». (أحمد بن حنبل، ٢٠٠٩، ٦: ٦٨٨)

وقد علّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أصابه هم أو حزن أن يقول: «اللهم إني عبدك، ابن عبدك ابن أمتك في قبضتك، ناصيتي بيدك ماض في حكمك، عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا

من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب غمي». (أحمد بن حنبل، ٢٠٠٩، ٢: ١٦٨، والمجلسي، ٩٥: ٢٧٩»، ثم بين أثر ذلك في نفسه، فقال: «فما قالها عبد قط إلا أبدله الله بحزنه فرحا»

ولذلك كان دعاء الجوشن، الذي يحتوي على مائة مقطع، وكل مقطع يحتوي على عشرة أسماء من أسماء الله الحسنى تنتهي بطلب الإغاثة من أحسن وسائل الإحصاء والتعرّف على الله والتواصل معه، ففيه يقول العبد مستغيثا بربه: «اللـهم اني اسألك باسمك يا الله يا رحمن يا رحيم يا كريم يا مقيم يا عظيم يا قديم يا عليم يا حليم يا حكيم سبحانك يا لا الـه إلا انت الغوث الغوث خلصنا من النار يا رب)، وفيه يقول: «يا سيد السادات يا مجيب الدعوات يا رافع الدرجات يا ولي الحسنات يا غافر الخطيئات يا معطي المسألات يا قابل التوبات يا سامع الاصوات يا عالم الخفيات يا دافع البليات)، وفيه يقول: (يا خير الغافرين يا خير الفاتحين يا خير الناصرين يا خير الحاكمين يا خير الرازقين يا خير الوارثين يا خير الحامدين يا خير الذاكرين يا خير المنزلين يا خير المحسنين». (الكفعمي، ١٩٨٣م، ص ٢٤٦)

وقد أشار إلى هذا المقصد من إحصاء أسماء الله الحسنى كل من كتبوا في شرحها، وخصوصا من الصوفية، والذين اهتموا بها اهتماما كبيرا، ولكن وضعوا لها مفاهيم تختلف كثيرا عن المفاهيم التي تدل عليها ظواهر الكتاب والسنة، وقد قال العلامة جعفر السبحاني يذكر تعريفهم للأسماء الحسنى: «إنّ لأهل المعرفة اصطلاحا خاصّاً فالأسماء والصفات عندهم ليست من قبيل الألفاظ والمفاهيم بل حقيقة الصفة ترجع إلى كمال وجودي قائم بالذات، والاسم عبارة عن تعين الذات بنفس ذلك الكمال والأسماء والصفات الملفوظة، أسماء وصفات لتلك الأسماء والصفات الحقيقية التي سنخها سنخ

الوجود والكمال، والتحقّق والتعيّن، فلفظ الجلالة ليس اسماً بل اسماً للاسم، ومثله العلم والقدرة والحياة فليست صفات بالحقيقة، بل مرايا لأوصافه الحقيقيّة». (السبحاني، ١٤٢٠ هـ: ص ٦١)

ثم بيّن الفرق بين الرؤية الكلامية والرؤية العرفانية للأسماء الحسنى، فقال: (فالقولان متّفقان على أنّ الذات مع التعيّن هو الاسم، والتعيّن بما هو هو، هو الوصف، ويختلفان من كونها من قبيل الألفاظ والمفاهيم أو من قبيل الحقايق والواقعيات، يقول أهل المعرفة: إنّ الذات الأحدية، بما أنّه وجود غير متناه، عار عن المجالي والمظاهر، يسمّى (غيب الغيب) وإذا لوحظ في رتبة متأخّرة، بتعيّن من التعيّنات الكماليّة كالعلم والقدرة، فهو مع هذا التعيّن اسم، ونفس التعيّن بلا ملاحظة الذات، وصف». (المرجع السابق)

ثم نقل عن الحكيم السبزواري قوله: «فالذات الموجودة مع كلّ منها (التعيّنات) يقال لها الاسم في عرفهم، ونفس ذلك المحمول العقلي هي الصفة عندهم» (القونوي، ٢٠٠٨ م ،ص ١٩)، وقوله في موضع آخر: «والوجود بشرط التعيّن هو الاسم، ونفس التعيّن هو الصفة) (المرجع السابق، ص ٢١٥)، وقوله في موضع ثالث: «الاسم عند العرفاء هو حقيقة الوجود مأخوذة بتعيّن من التعيّنات الصفاتية من كمالاته تعالى، أو باعتبار تجلّ خاص من التجليّات الإلهية) فالوجود الحقيقي مأخوذاً بتعين (الظاهرية بالذات) و(المظهرية للغير) اسم (النور) وبتعيّن كونه (ما به الانكشاف لذاته ولغيره) اسم (العليم) وبتعيّن (كونه خيراً محضا) و(عشقا صرفاً) اسم (المريد) وبتعيّن (الفياضية الذاتيه) للنورية عن علم ومشيئة، اسم (القدير) وبتعيّن (الدراكيّة) و(الفعاليّة) اسم (الحي) ». (المرجع السابق، ص ٢١٤)

وسنذكر هنا نموذجا عنهم، وهو صدر الدين القونوي الذي يعتبر ـ باتفاق جميع الصوفية

ـ من أكبر تلاميذ الشيخ محيي الدين بن عربي، ولذلك نرى في شرحه للأسماء الحسنى، والجوانب العرفانية المرتبطة بها روح ابن عربي ومنهجه، فقد قال في مقدمة كتابه في شرح أسماء الله الحسنى: «اعلم أنّ الأصل في الذّات المقدّسة ـ تباركت وتعالت ـ التّعرّي والتّنزّه عن الصّفات، وإطلاقه عن التّقييد بالصّفات، وغناه عن العالم، لأنّ كلّ اسم وصفة يقتضي كونا من الأكوان، ولا ظهور لها إلّا بها، فلو كان في الوجود ما تطلب الأسماء ظهورها لزم منه قدم العالم، وقد صحّ في الخبر الوارد: (كان اللّه ولم يكن معه شيء)، فلا ظهور لأحكام الأسماء إلّا في القوابل، وليس ذلك إلّا بإخراجها الأعيان عن حضرة الثّبوت، وحصولها في عرضة الوجود، فلمّا اكتسى الأعيان الثّابتة حلّة الوجود حصل مراتب أنواعها في نفس الأمر، فعند حصولها في محلّ سلطنة اسم الظّاهر الحاكم على ولاية المظاهر ظهرت آثار الأسماء الحسنى، وبرزت نتائج الصّفات العليا». (القونوي، ٢٠٠٨ م: ص ١٠٦)

ثم ذكر عدد محدودية أسماء الله الحسنى بعدد معين، فقال: «والأسماء غير متناهية، لأنّها حضرات تتضمّن ملك اللّه الّذي هو أعيان الممكنات، والأعيان لا توصف بالتّناهيّ، لأنّها عين ثبوت الحقّ، ولا نهاية لشؤونه دنيا وآخرة، نعم ما وجد منها فهو متناه، ويدلّك على هذه الجمعيّة الإلهيّة قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ» (فاطر: الآية١٥)، سمّى نفسه بكلّ ما يفتقر إليه، وهذه حقيقة سارية في جميع أفراد مراتب الأكوان أن يدخل في أجزاء أفرادها علوا [و] سفلا». (القونوي، ٢٠٠٨ م: ص ١٠٦)

ثم تحدث عن معنى إحصاء الأسماء الحسنى، ودورها في تعديل السلوك التحققي، فقال: «وأمّا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحصاها)، الإحصاء عند علماء الظّاهر بمعنى العلم، وهو معرفة ألفاظها ومعانيها، والعثور على حقائق نتائجها وآثارها، وعند

أهل اللّه الاتّصاف بها، والظهور بحقائقها، والعبور على مدارج نتائجها، بحيث يصدق عليهم إطلاق أعيانها، كما أنّه تعالى وصف نفسه بأنّه: «خَيْرُ النَّاصِرِينَ» (آل عمران: الآية ١٥٠)، «وهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ» (الأعراف: الآية ٨٧)، «وخير الحافظين» (يوسف: الآية ٦٤)، «خَيْرُ الرَّازِقِينَ» (المائدة: الآية ١١٤)، «وأَحْسَنَ الْخالِقِينَ» (الصافات: الآية ١٢٥)، وأخبر عن نبيّه أنّه: «بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ» (التوبة: الآية ١٢٨)، ففي أمثال هذه التّنبيهات مجال متّسع لأهل العناية من أرباب القلوب وأصحاب الكشف والشّهود، يتّصفون بحقائقها، وينصبغون بصبغ آثارها في سلوكهم على مناهج السّنن المشروعة، وسيرهم على مدارج طريقة أهل الولاية، والتّخلّق بالأخلاق الإلهيّة، ويصير ذلك قربة لهم إليه، ووسيلة لديه». (القونوي، ٢٠٠٨ م: ص ١٠٩)

وسنذكر أربعة نماذج من شرحه لأسماء الله الحسنى على المنهج العرفاني، وعلاقتها بتعديل السلوك التحققي:

**٢-١. اسم الله السلام والسلوك التحققي:**

من النماذج على حديث صدر الدين القونوي على دور إحصاء الأسماء الحسنى في تعديل السلوك التحققي ما ذكره في اسم الله تعالى [السلام]، والذي بدأ بتعريفه له على منهج الصوفية، فقال: «السّلام لسلامته عن كلّ ما نسب إليه ممّا كره من خلقه أن ينسبوه إليه، ومنه السّلامة لعباده، فلكلّ عين من أعيان مراتب الأكوان حظّ من آثار هذا الاسم مع اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم». (المرجع السابق، ١٤٢٢ هـ: ص ١٤٢)

ثم ذكر المعنى التحققي لهذا الاسم، فقال: «ولا يصل إلى جناب قدسه من المجموع إلّا من سلمت نفسه عن الشّهوات، وصفى قلبه عن الشّبهات، فالسّلامة منه إليه.. وسلامة أهل الحقّ تنزّههم عن دنس الشّك وظلمة الشّرك جليّا كان أو خفيّا» (المرجع السابق، ٢٠٠٨ م: ص ١٤٢)

ثم ذكر علامات التحقق بهذا الاسم، فقال: «علامة المتّصف بحقائق هذا الاسم أن

يكون وقورا خمولا متواضعا صابرا على إيذاء أهل الغفلة، لا يقابل الغافل، ولا ينازع الجاهل، ويكون كما وصف الحقّ سبحانه صاحب هذا المشهد بقوله: «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا» (سورة الفرقان: ٦٣) إمّا بالقول أو بالحال، فلو أراد صاحب هذا المقام أن يزيد على قوله سلاما ما استطاع». (القونوي، ٢٠٠٨ م: ص ١٤٢)

ثم ذكر سبب ذلك، فقال: «لعدم اختياره، وعصمة الحقّ إيّاه من كونه تعالى سمعه وبصره وجميع قواه، ولو وكلّه الحقّ إلى نفسه لانتظم معه في سلك الجهالة، فإنّ من خاصيّة الإنسان أنّه لم يتكلّم أحدا في أمر من الأمور إلّا وينصبغ بصفة ذلك الأمر، ولمّا تحقّق عند العارف المحقّق بأحوال المواطن، من أنّ أكثر ما ينطق به الغافل الجاهل أو يتصوّره أو يعتقده أمور وهميّة أو خياليّة، ليس لها في الحضرة العلميّة مقام يضبط عليه وجودها في حضرة الوجود، فباطّلاعه على حقيقة كلام مثل هذا القائل علم عدم بقائها وزوالها، لأنّه لا يرى لها حقيقة ولا صورة غير محلّها أصلا، فتحقّق أنّه ليس لها ضابط يضبط عليه الوجود، وأنّها ذاهبة من الوجود بذهاب قول قائل، فلذلك لا يلتفت إليه بأكثر من أن يقول سلاما، بخلاف المحقّق إنّه لا يتكلّم إلّا بما له حقيقة في كلّ حضرة من الحضرات الثّبوتيّة والرّوحانيّة والوجوديّة، فحيث ما تكلّم تشكّل كلّ حرف من حروف المنظومة الدّالّة على تلك الحقائق صورا روحانيّة مسبّحة للّه سائرة في محلّ سلطنة القائل، وكلّما أكثر من تلك الحقائق كثر جند العارف». (المرجع السابق: ص ١٤٣).

**٢-٢. اسم الله الرزاق والسلوك التحققي:**

من النماذج على حديث صدر الدين القونوي على دور إحصاء الأسماء الحسنى في تعديل السلوك التحققي ما ذكره في اسم الله تعالى [الرّزّاق]، حيث عرّفه بقوله: «الرازق هو الّذي غذّا نفوس الأبرار بتوفيقه، وجلّى قلوب الأخيار بتوجيله، وخصّ الأغنياء بوجود الأرزاق، وشرّف الفقراء بشهود الرّزاق، فمن فاز بشهود الرّزاق ما ضرّه ما فاته من وجود

الأرزاق». (المرجع السابق، ص ١٨٤).

ثم ذكر أنواع الرزق المفاضة على العباد، وعلاقتها بتعديل السلوك التحققي، فقال: «اعلم أنّ الرّزق على نوعين: صوريّ ومعنويّ، فالصوريّ: ما يقوم به الأجسام، والمعنويّ: ما يقوم به الأرواح.. فالأوّل كشف سفليّ، والثّاني لطيف علويّ.. ولكلّ قسم من القسمين درجات، وأرفع المنازل وأعلاها في الأرزاق المعنويّة ما يظهر به عين وجود الحقّ، السّاري في صور أحكام الممكنات، الظّاهر في مظاهر أعيان الكائنات». (المرجع السابق، ص ١٨٤).

ثم ذكر علامة المتحقق بهذا الاسم، فقال: «علامة المحقّق بحقائق هذه الحضرة إمعان نظره في قابليّات أشخاص مراتب الأكوان جمعا وفرادى، وما يستحقّ كلّ مخلوق في مرتبة من مسمّى الرّزق صوريّا ومعنويّا، وما يقتضي استعداده، فإنّ خواصّ الأرزاق ونتائج آثارها تتفاوت بحسب قابليّات المرزوقين واختلاف أمزجتهم، وكم من رزق يعيش بها مرزوق ويموت بها آخر، كحيوان الماء الّذي عيشه برزق الماء إنّه يموت بالهوى إذا فارق الماء وكذلك حيوان البرّ الّذي يعيش برزق الهواء، فإنّه يموت في الماء لفقد الهواء وإن كان لا يخلو الماء من امتزاج الهواء، ولا الهوى من امتزاج الماء، لكنّ الحكم للغالب، فإذا تحقّق هذا في الأرزاق المحسوسة السّفليّة الكثيفة، فالتّفاوت في حقائق العلويّات أكثر، ومجاله أوسع، «وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا» (سورة الإسراء: ٢١)، فالعارف الكامل من ينزّل المعارف في أهلها، ويشهد حقائق أعيان الأكوان على ما هي عليه من تفاوت درجاتها، وغايات توجّهاتها، ونهاية كمالاتها، ومقتضى خصوصيّاتها، فيعطي كلّ ذي حقّ حقّه». (القونوي، ٢٠٠٨ م، ص ١٨٤)

### ٢-٣. اسم الله الفتاح والسلوك التحققي:

من النماذج على حديث صدر الدين القونوي على دور إحصاء الأسماء الحسنى في

تعديل السلوك التحققي ما ذكره في اسم الله تعالى [الفتّاح]، وقد عرّفه بقوله: «الفتّاح بما فتح من أبواب النّعم والعذاب، يقال للحاكم فاتح وفتّاح، لأنّه يفتح بحكمه ما انغلق من الأمر بين الخصمين، فالحقّ هو الحاكم بين عبيده يوم القيامة، وهو الفتّاح لما انغلق من أمور عباده من أسباب معايشهم، فيغني الفقير، ويفرّج عن المغموم، ويفتح على قلوب المؤمنين أنوار معرفته، وعلى المذنبين أبواب مغفرته بعنايته ينفتح كلّ مغلوق، وبهدايته ينكشف كّلّ مشكل». (المرجع السابق: ص ١٨٨)

ثم ذكر الفتوح المرتبطة بهذا الاسم، بحسب ما يذكره الصوفية، فقال: «اعلم أنّ لفتوح أحكام هذا الاسم ثلاث درجات، أوليها: علم الأسماء وما خصّ به آدم عليه السّلام، وثانيها: علم الأذواق المخصوص بالأولياء، وثالثها: جوامع الحكم الّتي أوتيت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ففتح بمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم أبواب درجات الأسرار والعلوم الإلهيّة، كما فتح بآدم عليه السّلام علم أسماء المظاهر الحجابيّات وإحصاء اختلاف اللّغات، ولمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم كشف حقائق المسمّيات، وشهود أنوار أسرار الإلهيّات، ووسط هذين المرتبتين علم الأذواق والأحوال، الّذي اختصّ به أرباب الطّريقة، ولا نهاية لعلوم هذا [هؤلاء] القوم، لعدم نهاية من تعلّق به علومهم». (القونوي، ٢٠٠٨ م: ص ١٤٩)

ثم ذكر علامات التحقق بمقتضيات هذا الاسم، فقال: «من ذلك: شهود العبد تقلّب الأحوال في بحار الحكمة، وثقته باللّه عند الحاجة، وعدم اضطرابه، وكون فرجه بضمان اللّه أعظم من فرجه بالسبب المعيّن، لعلمه بصدق الوعد الإلهيّ، وامتناع ضمان الحقّ عن تطرّق الآفات إليه، والّذي لا يحصّل سكونه إلى ما بيده من الأسباب يمكن أن يتطرّق إليه الآفات، فمن خصّه اللّه بفتح هذا الشّهود فهو أتمّ ذوقا وأقوى سكونا من صاحب السّبب المزيل لألم فاقته، وهذا من علم الفتح البرزخ بين الدّرجتين».

(المرجع السابق، ص١٨٩)

وذكر من علامات التحقق بهذا الاسم الافتقار الدائم إلى الحق، فقال: (الافتقار إلى الحقّ بالحقّ، وذلك أن يطّلع الحقّ عبده على أسرار الأسماء، فيشهد أنّ حاجتها إلى التّأثير في الأعيان أعظم من حاجة الأعيان إلى ظهور الأثر فيها، لأنّ للأسماء في ظهور آثارها الكبرياء والسّلطان والعزّة والمجد، بخلاف الممكن فإنّه في قبول الأثر على خطر عظيم، فإنّه قد يتضرّر بقبوله الأثر أكثر من انتفاعه به، وقد يساوى مقابلة الحالتين فيه، ولا تخلو عين موجود من الضّرّ والألم ـ قلّ أو كثر ـ كما ترى الشّخص متنعّما في وقت ومتألّما في وقت آخر، وفي الثّبوت كان منعزلا عن تغيير الحال، لتجرّده عن التّركيب الوجوديّ الموجب للتّغيير، فإنّ الألم في الثبوت ما هو في عين المتألّم، بل هو في عينه ملتذّ بثبوته، كما هو ملتذّ بوجوده في المقام، والمحلّ مقام به، وقد كان الحال والمحلّ في أعيانها الثبوتيّة، ولا ألم ولا لذّة لعدم التّأثير والتّأثّر بينهما، وذلك أنّ الثبوت بسيط لا يقوم فيه بشيء، والوجود مركب لا بدّ فيه] من حامل ومحمول، فالمحمول منزلته في وجود الحامل كمنزلته في الثبوت في النّعيم وعدمه، بخلاف الحامل فإنّه بحكم مزاجه». (القونوي، ٢٠٠٨ م: ص ١٩٠)

**٢-٤. اسم الله المعزّ والسلوك التحققي:**

من النماذج على حديث صدر الدين القونوي على دور إحصاء الأسماء الحسنى في تعديل السلوك التحققي ما ذكره في اسم الله تعالى [المعزّ]، حيث عرّفه بقوله: «المعزّ من يشاء بالقناعة واليقين والزّهد في متاع دار الفناء، من عرّفه أعزّ نفسه بخدمته، وقلبه بمعرفته، وبصره بمشاهدته». (المرجع السابق، ص ٢١٢)

ثم ذكر مظاهر تحقق العبد بهذا الاسم، فقال: «اعلم أنّ من آثار هذا الاسم سريان حكم الاعتزاز في العالم، إلّا أنّه يذمّ في موطن ويحمد في موطن، والاعتزاز هو ظهور العبد بصورة الحقّ، سواء تورثه تلك الصورة سعادة أو شقاوة، والمعتزّ المحمود السّعيد باعتزازه

هو العبد المحقّق الكامل القائم به صفة الحقّ في الخلافة، فهو ممّن أعزّه اللّه بمكارم الأخلاق ودرك الحقائق وأنواع المعارف وفنون العلم باللّه، ووفّقه لنصيحة عباده بحسن التّعليم، فيخرجهم من ظلمات الجهالة والمخالفات، وينتزع عنهم نوازع الاستكبار والرّعونات، حتّى تذللوا تحت عزّة الحقّ وكبريائه، وأذعنوا لأوامره ونواهيه، فنصيب مثل هذا العبد من الاسم المعزّ، وحظّه هو الحظّ المحمود، فإنّه حمى قلوب عباد اللّه أن يتحاكم فيهم بما لا يليق بجناب الحقّ، فهو معزّ للحقّ، عزيز بالحقّ». (القونوي، ٢٠٠٨ م: ص ٢١٢)

ثم ذكر الجانب المذموم في التحقق بهذا الاسم، لمنافاته مع مقتضاه، فقال: «وأمّا صاحب الاعتزاز المذموم، هو المحجوب بالصّفات الحجابيّة كفرعون وأمثاله من الجبابرة من الملوك والحكّام المفتخرين بالرّئاسة والاستيلاء، ومن اعتزّ في نفسه على أمثاله جورا وظلما وجهلا لحق بالأخسرين أعمالا، ولا أحد أذلّ منهم في نفوسهم وعند الخلق إذا عزّوا، وعند اللّه في الحالين». (المرجع السابق، ص ٢١٢)

**ثالثا ـ الإحصاء ودوره في تعديل السلوك التخلقي:**

نريد بتعديل السلوك التخلقي ما ذكرناه سابقا من تحول الإيمان بالأسماء الحسنى من معان عقلية وأذواق وجدانية إلى حياة عملية تظهر على الجوارح في عالم الفرد والمجتمع.

والداعي لاعتبار هذا المقصد هو القرآن الكريم، ذلك أنه عندما يذكر الأخلاق العالية يربطها بالمؤمنين، كما قال تعالى في أول سورة المؤمنون: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (سورة المؤمنون: ١ ـ ٢) إلى آخر الآيات التي تبدأ بتقرير الفلاح للمؤمنين، ثم تصفهم بعد ذلك بما تصفهم به من صفات تشمل جميع العلاقات، مع الله، ومع النفس، ومع الخلق.. وكأنها تقول: إن الأساس في صلاح هذه العلاقات جميعا

هو ذلك الإيمان العميق بالله، ومن المعلوم أن الإيمان بالأسماء الحسنى هو من الأسس التي يقوم عليها الإيمان بالله. وهذا من الحقائق البديهية، فالإيمان المقيد بضوابط الشرع المراعي لمقاصده هو المدرسة التربوية الكبرى التي تجعل الإنسان غير محتاج إلى أي رقابة غير رقابته الإيمانية.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة عندما ذكر تأثير الإيمان في الردع عن القتل في الوقت الذي لم يكن هناك شرطة ولا سجون ولا إعدام، فقال تعالى ذاكرا قصة ابني آدم بالحق: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ). (سورة المائدة: ٢٧ ـ ٢٨)

ومن النماذج على الاهتمام بالسلوك التخلقي للأسماء الحسنى أبو حامد الغزالي (توفي ٥٠٥ هـ)، فقد اهتم في كتابه (المقصد الأسنى) بالبعد التربوي لأسماء الله الحسنى، فكان يذكر عند نهاية شرح كل اسم حظ العبد السلوكي منه، فهو يعتبر لكل صفة من صفات الله تعالى أو اسم من أسمائه أثره الخاص به، والذي لا يمكن للإنسان الحصول عليه إذا لم يستول على قلبه معنى ذلك الاسم أو تلك الصفة.

وقد قال في مقدمة كتابه يشير إلى ذلك: «وليس الإحصاء أن يسمع لفظها أو يفهم في اللغة تفسيرها، أو يعتقد وجودها، فإن سماع اللفظ لا يستدعي إلا سلامة السمع، وأما فهم وضعها اللغوي، فلا يستدعي إلا المعرفة بالعربية، وأما اعتقاد ثبوت معناها لله تعالى فلا يستدعي إلا فهم معاني هذه الألفاظ والتصديق بها». (الغزالي الطوسي، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، ص٤٥)

وقال في خاتمة الكتاب يعتذر عن سبب ذكره لحظ العبد من كل اسم من الأسماء: «اعلم أنه إنما حملني على ذكر هذه التنبيهات ردف هذه الأسامي والصفات قول رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تخلقوا بأخلاق الله تعالى)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لله كذا وكذا خلقا من تخلق بواحد منها دخل الجنة)، وما تداولته ألسنة الصوفية من كلمات تشير إلى ما ذكرناه، لكن على وجه يوهم عند غير المحصل شيئا من معنى الحلول والاتحاد، وذلك غير مظنون بعاقل فضلا عن المتميزين بخصائص المكاشفات». (الغزالي الطوسي، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، ص١٥٠)

ثم حكى عن شيخه أبي علي الفارمذي قوله يحكي عن شيخه أبي القاسم الكركاني أنه قال: «إن الأسماء التسعة والتسعين تصير أوصافا للعبد السالك وهو بعد في السلوك غير واصل»، ثم علق عليه بقوله: «وهذا الذي ذكره إن أراد به شيئا يناسب ما أوردناه فهو صحيح ولا يظن به إلا ذلك ويكون في اللفظ نوع من التوسع والاستعارة فإن معاني الأسماء هي صفات الله تعالى وصفاته لا تصير صفة لغيره ولكن معناه أنه يحصل له ما يناسب تلك الأوصاف كما يقال فلان حصل علم أستاذه وعلم الأستاذ لا يحصل للتلميذ بل يحصل له مثل علمه، وإن ظن ظان أن المراد به ليس ما ذكرناه فهو باطل قطعا، فإني أقول قول القائل إن معاني أسماء الله سبحانه وتعالى صارت أوصافا له لا يخلو إما أن يعني به عين تلك الصفات أو مثلها فإن عنى به مثلها فلا يخلو إما عنى به مثلها مطلقا من كل وجه وإما أنه عنى به مثلها من حيث الاسم والمشاركة في عموم الصفات دون خواص المعاني». (الغزالي الطوسي، ١٩٨٧: ص١٥٠)

ولذلك يذكر أن الإحصاء هو أن ينال المؤمن ثلاثة حظوظ من معاني أسماء الله الحسنى:

معرفة معاني تلك الأسماء معرفة كشفية شهودية، ولفظا (المكاشفة والمشاهدة) اللذان يكثر الغزالي من استعمالهما في كتبه لا يريد بهما الرؤية البصرية والحسية، وإنما هما استعارة لغلبة اليقين على البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الحسي. (الغزالي

الطوسي، ١٩٨٢، ٤: ٣١٢)

استعظام ما ينكشف له من صفات الجلال على وجه يشوقه إلى الاتصاف بما يمكن من تلك الصفات، ليؤهله ذلك إلى التقرب من الله تعالى، فالمعرفة ـ كما يرى الغزالي ـ بذر الشوق. (الغزالي الطوسي، ١٩٨٧: ص٣٢)

السعي إلى اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها، والتحلي بمحاسنها، وبذلك يصير العبد (ربانيا) متحققا بالقرب من ربه تعالى.

ومنهم أبو القاسم القشيري، وقد جمع في كتابه [شرح أسماء الله الحسنى] بين المنهجين الكلامي والصوفي، حيث يذكر آراء المخالفين لمدرسته الكلامية، وخصوصا من المعتزلة، ويرد عليها، ثم يذكر السلوك التحققي والتخلقي بحسب ما كان عليه الحال في صوفية عصره، والذين مزجوا بين علم الأخلاق والتصوف، من غير أن يربطوا التصوف بما ربطه به المتأخرون.

وميزة كتابه في هذا احتواؤه على الكثير من الأخبار والروايات التي يستدل بها على كيفية التحقق بالأسماء الحسنى، ونماذج الذين استفادوا منها، وطبقوها في حياتهم، وسنذكر أربعة نماذج عن شرحه هنا، مع ذكر نماذج عن الروايات والأخبار التي يوردها، باعتبارها شارحة لمراده.

### ١-١. اسم الله العليم والسلوك التخلقي:

من النماذج على حديث أبي القاسم القشيري على دور إحصاء الأسماء الحسنى في تعديل السلوك التخلقي ما ذكره في اسم الله تعالى [العليم]، والذي بدأ بتعريفه له بقوله: «العليم اسم من أسمائه تعالى ورد به نص القرآن، وهو عالم وعليم وعلام.. وعلمه سبحانه نعت من نعوته ووصف مختص بذاته، ليس بمكتسب ولا ضروري، دل على ثبوته شهادة أفعاله المحكمة». (القشيري، ١٤٢٢ هـ، ص ٢١٣)

ثم ذكر التأثير التحققي لهذا الاسم، فقال: «فإذا ثبت ذلك فمن شأن من تحققه أن يكون مكتفيا بفعله عند جريان حكمه، ساكنا عن تدبيره وتقديره، فارغا عن اختياره واحتياله، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». (سورة الأنفال: ٦٤» (المرجع السابق)

ثم ذكر ما ورد في الروايات مما يشير إلى ذلك، فقال: «لما أن تعرض جبريل للخليل، صلوات الله تعالى عليهما، وهو في الهواء حين رمى من المنجنيق، قال له: هل لك من حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فقال: فسل ربك، فقال حسبي من سؤالي علمه بحالي». (القشيري، ١٤٢٢ هـ: ص ٢١٣)

ثم ذكر ما ورد في الأخبار مما يشير إلى ذلك، فقال: «وقيل إن رجلا قال لبعض الموفقين: أيطلب الرجل الرزق؟ فقال: إن علم أين هو فليطلب، فقال: أيسأل الله تعالى؟ فقال: إن علم أنه نسيه فليذكره، قال: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة». (القشيري، ١٤٢٢ هـ: ص ٢١٣)

ثم تحدث عن آداب من علم أنه تعالى عالم الخفيات، فقال: «ومن آداب من علم أن الله تعالى عالم الخفيات، خبير بما في الصدور عليم بما في الضمائر والسرائر من الخطرات، لا يخفى عليه شيء من الحوادث في جميع الحالات، فبالحري أن يستحي عن موضع اطلاعه ويرعوى عن الاغترار بجميل ستره، ويخشى بغتات قهره ومعاجلة مكره، قال الله تعالى: «يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ» (سورة النساء: ١٠٨)، وفى بعض الكتب: إن لم تعلموا أني أراكم فالخلل في إيمانكم، وإن علمتم أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم». (القشيري، ١٤٢٢ هـ: ص ٢١٣)

ثم ذكر آداب المتخلقين بهذا الاسم، فقال: «من آدابه أن لا يعارض مخلوقا فيما يحتاج

إليه من مطالبة اكتفاء بعلمه، فإنه إن ساكن بقلبه مخلوقا عوقب في الوقت، إن كان له عند الله قدر) (المرجع السابق)

**١-٢. اسم الله الخافض الرافع والسلوك التخلقي:**

من النماذج على حديث أبي القاسم القشيري على دور إحصاء الأسماء الحسنى في تعديل السلوك التخلقي ما ذكره في اسم الله تعالى [الخافض الرافع]، والذي بدأ بتعريفه له بقوله: «اعلم أنهما اسمان من أسمائه تعالى ورد بهما الخبر، وهما من صفات فعله، يرفع من يشاء بإنعامه، ويخفض من يشاء بانتقامه، وعلى هذا يحمل تصريفه لعباده في حالتي عزهم وذلهم وغناهم وفقرهم، وكذا رفع الحق وحزبه، وخفض الباطل وصحبه، ورفع الدين وشعاره، وخفض الكفر وآثاره، ورفع التوحيد ودليله، وخفض الإلحاد وسبيله، ورفع الإسلام وأنواره، وخفض الأصنام ومن رضى تعظيمها واختاره، ورفع القلوب بتقريبه وخفض النفوس بحكم تعذيبه، ورفع أولياءه بحفظ عهده وحسن رده وجميل رفده وصدق وعده، وخفض الأعداء بصده ورده، وطرده وبعده ورفع من اتبع رضاه، وخفض من اتبع هواه، وقيل من رضى بدون قدره رفعه الله فوق غايته». (القشيري، ١٤٢٢ هـ: ص ٢٢١)

ثم حكى حكاية تدل على سبب الرفعة، فقال: «قيل في بعض الحكايات: إن رجلا رئى واقفا في الهواء فقيل له: بم بلغت هذه المنزلة؟ فقال: أنا رجل جعلت هواي تحت قدمي فسخر الله لي الهواء». (المرجع السابق)

ثم ذكر كيفية التخلق بهذا الاسم، فقال: «ليس المرفوع قدرا، والمعلى شأنا وأمرا، والمستحق مجدا وفخرا، من وضع الطين على الطين، وتكبر على المساكين، وافتخر على أشكاله بكثرة ماله واستقامة أحواله، وإنما المشرف شأنا، والمعلى رتبة، ومكانا من رفعه الله بتوفيقه وأيده بتصديقه وهداه إلى طريقه، صفا مع الله قلبه وخلا له وجهه ولبه، وصعد إلى السماء أنينه، وصدق إلى الله شوقه وحنينه، وروى في الخبر: «كم من أشعث

أغبر ذي طمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبر قسمه». (القشيري، ١٤٢٢ هـ: ص ٢٢١)

ثم ذكر المخفوض بالاعتبار الإيماني، فقال: راعلم أن المخفوض حقا من تنكبه التوفيق والنصرة، وأدركه الخذلان والفترة، وأسرته نفسه، فهو بشهواتها مربوط، وفى وقته تقصير وتخليط وتفريط، إن رجع إلى قلبه لم يجد خبرا من ربه وإن رجع إلى ربه لم يجد خطرا لقدره، فهو بالهجران موسوم، وبين الفترات والأشغال مقسوم، يبيت في فترة، ويصبح على حسرة» (المرجع السابق)

ثم ذكر حكاية تؤكد هذا، فقال: «قيل: إن امرأة كانت تكنس المساجد وكانت تسمى مسكينة، فماتت فرئيت في المنام فقيل لها: ما حالك يا مسكينة، فقالت: هيهات، ذهبت المسكنة وجاء الغنى الأكبر». (المرجع السابق، ص ٢٢٢)

**١-٣. اسم الله السميع البصير والسلوك التخلقي:**

من النماذج على حديث أبي القاسم القشيري على دور إحصاء الأسماء الحسنى في تعديل السلوك التخلقي ما ذكره في اسمي الله تعالى [السميع البصير]، والذي بدأ بتعريفه لهما على منهج مدرسته الكلامية بقوله: «هما اسمان من أسمائه تعالى، ورد بهما النص وانعقد عليهما الإجماع، وسمعه وبصره صفتان له زائدتان على علمه، بخلاف من خالف فيه من القدرية، وهما إدراكان له، فلا يخرج مسموع عن سمعه، ولا موجود عن بصره، وحد ما يحدون أن يسمع ويرى على الحقيقة، فهو الموجود، وليس من شرط سمعه وبصره حلول في عضو واختصاص منه بجزء، لأنه سبحانه أحدى الذات، فردى الحقيقة، غير منقسم في ذاته، ولا متألف بشيء من أمثاله، وسمعه وبصره لا يتعلقان بمعدوم لاستحالة أن يكون المعدوم مدركا، وأنه لا يحجب شيء عن بصره وسمعه، يسمع السر والنجوى، ويبصر ما هو تحت أطباق الثرى». (القشيري، ١٤٢٢ هـ:

ص ٢٢٨)

ثم ذكر آداب التحقق بهذين الاسمين، فقال: «كل من عرّف من عباده أنه هو السميع البصير فمن آدابه دوام المراقبة ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة». (القشيري، ١٤٢٢ هـ: ص ٢٢١)

ثم أورد حكاية في ذلك، فقال: «قيل: إن رجلا من الملوك كان له عبد وكان يقبل عليه أكثر مما يقبل على أمثاله، ولم يكن أحسن منهم صورة ولا أكثر قيمة فتعجبوا منه، وكان قد ركب الأمير يوما في صحراء ومعه ندماؤه وغلمانه، فنظر إلى جبل من بعيد وعليه قطعة ثلج، فنظر الملك نظرة واحدة وأطرق، فركض هذا الغلام دابته من غير أن ينظر الأمير إليه أو أشار بشيء عليه، ولم يعلم الناس لم يركض، فما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء الغلام ومعه شيء من ذلك الثلج، فسئل بم عرفت أنه أراد الثلج؟ فقال: لأنه نظر إليه، ونظر الملوك إلى شيء لا يكون إلا على أصل، فقال الأمير: إنما أقبل على هذا أكثر من إقبالي على غيره بهذا الذي رأيتم، لأن الكل مشتغلون بأنفسهم وهذا مشتغل بمراعاة أحوالي». (المرجع السابق، ص٢٢١)

ثم ذكر علامات المتحققين بهذا الاسم، فقال: «من علامات من يعلم أنه السميع البصير أن يكون مستحييا من اطلاعه عليه وسمعه لما يقول». (المرجع السابق، ص ٢٢٩)

ثم تحدث عن ألطاف الله تعالى على عبده الذي يحفظ سمعه وبصره، فقال: (من ألطاف الله سبحانه بعباده الذين يحفظون له سمعهم وبصرهم أن يكفيهم مئونة أنفسهم ويصونهم في أحوالهم، فتكون أسماعهم مصونة عن سماع كل لغو، وأبصارهم محفوظة عن شهود كل كبيرة ولهو». (المرجع السابق)

ثم ذكر أن هذا «هو صفة الجمع الذي أشار إليه القوم ألا يكون العبد لنفسه بنفسه، بل يكون لربه بربه، وإذا علم أن مولاه يسمع ما يقول ويرى ما يختلف به من الأحوال فإنه يكتفى بسمعه وبصره عن انتقامه وانتصاره، فإن نصرة الحق سبحانه أتم له من نصرته

لنفسه». (القشيري، ١٤٢٢ هـ: ص ٢٣٠)

ثم ذكر ما ورد في القرآن الكريم مما يدل على ذلك، وبدأ بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ» (سورة الحجر: ٩٧)، حيث علق على الآية الكريمة بقوله: (انظر بماذا سلاه وكيف خفف عنه تحمل أثقال بلواهم بما شغلهم به فأمره به حيث قال عز ذكره: «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» (سورة الحجر: ٩٨ ـ ٩٩) أي اتصف أنت بمدحنا وثنائنا إذا تأذيت بسماع السوء فيك، فاستروح بروح ثنائك علينا». (شرح أسماء الله الحسنى، ص٢٣٠)

ثم ذكر مثالا آخر من القرآن الكريم على ذلك، فقال: «ثم إنه سبحانه لما قالوا له صلى الله عليه وآله وسلم إنه مجنون، تولى نفى ذلك عنه ورد عليهم فقال تعالى: «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ» (سورة القلم: ١ ـ ٢) فنفى ذلك عنه بما أقسم عليه تحقيقا لتنزيهه، وتطهيرا لنعمته صلى الله عليه وآله وسلم، ثم عاب قائله بعشر خصال من الذم حيث قال:«وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ» (سورة القلم: ١٠) إلى قوله:«عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ» (سورة القلم: ١٣) فإن رد الحق سبحانه الذي رد به عنه صلى الله عليه وآله وسلم أتم من رده ذلك لنفسه» (القشيري، ١٤٢٢ هـ: ص ٢٣١)

### ١-٤. اسم الله الصبور والسلوك التخلقي:

من النماذج على حديث أبي القاسم القشيري على دور إحصاء الأسماء الحسنى في تعديل السلوك التخلقي ما ذكره في اسم الله تعالى [الصبور]، والذي بدأ بتعريفه له بقوله: «الصبور مما ورد به الخبر في أسمائه تعالى، فإن صح ورود الرواية به فمعناه الحليم في وصفه، لأن معنى الصبر في اللغة الحبس، يقال: قتل فلان صبرا، وسمى شهر

الصوم شهر الصبر أي شهر الحبس، والصابر يكون على وجهين: صابر عن شيء، وصابر على شيء، وكل واحد منهما يحبس نفسه على ما يصبر عليه، ويحبس نفسه عما يصبر عنه، وفى صفة القديم سبحانه لا يصح حبس النفس، ولكن يكون بمعنى تأخير العقوبة عن العباد». (المرجع السابق، ص ٣٩٩)

ثم ذكر كيفية تخلق العباد بهذا الاسم، ومراتب ذلك، وأولها التصبر، حيث قال: (أما رتبة العبادات في الصبر فعلى أقسام، أولها: التصبر وهو تكلف الصبر ومقاساة الشدة فيه، وبعد ذلك الصبر وهو سهولة تحمل ما يستثقله غيره من فنون القضاء وضروب البلاء، وبعد ذلك الاصطبار، وهو النهاية في الباب، ويكون ذلك بأن يألف الصبر، فلا يجد مشقة، بل يجد روحا وراحة». (المرجع السابق)

ثم حكى عن أستاذه أبي علي الدقاق (توفي ٤٠٥ هـ) قوله: «ليس الصبر أن لا تذكر البلاء لفظا ونطقا، إنما الصبر أن لا تعترض على قدرته استقباحا لذلك ونكرا، وشاهده ما أخبر الله تعالى عن أيوب بقوله: (مَسَّنِيَ الضُّرُّ) (سورة الأنبياء: ٨٣) ثم قال تعالى: «إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ» (سورة ص: ٤٤) وكان يقول رحمه الله تعالى: علم الله ضعف هذه الأمة وأنهم لا يطيقون تحمل البلاء فجعل قصة أيوب سلوة لكل ممتحن يخبر عن شدة محنته، ومقاساة صبره». (القشيري، ١٤٢٢ هـ: ص ٣٩٩)

**الخاتمة:**

من أهم النتائج التي نتوصل إليها من خلال هذا البحث:

١. للأسماء الحسنى أهمية بالغة في التعريف بالله تعالى، ولذلك اعتنى به العلماء في مختلف المجالات، سواء كانوا متكلمين، أو مفسرين، أو عرفاء، أو لغويين وغيرهم، ولذلك كثرت المؤلفات في هذا الجانب، وحصل الخلاف في بعضها، وهو ما يحتاج إلى المزيد من التحقيق لتمييز ما وقع فيه البعض من إلحاد حولها، والذي نهى الله تعالى عنه في قوله: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). (سورة الأعراف: ١٨٠)

٢. كما أن للأسماء الحسنى دور في التعريف بالله تعالى، وصفاته، وكمالاته، فلها كذلك دور في تعديل السلوك، سواء السلوك التحققي المرتبط بالصلة بالله، والسلوك التخلقي المرتبط بالعلاقة مع الخلق.

٣. للأسماء الحسنى تأثير كبير في العارف بها، والفاهم لدلالاتها، حيث إنها تزيد معرفته بربه، وتعمق علاقته به، بالإضافة إلى أنها تؤثر في سلوكه، فتجعله يحاول أن يتخلق بما فيها من محاسن وكمالات، وبحسب الطاقة البشرية.

٤. وبناء على هذا نوصي بالمزيد من الاهتمام بشرح أسماء الله الحسنى، ووفق علم الكلام الجديد، والذي يخاطب الواقع الحالي على ضوء المعارف الحديثة، بالإضافة إلى الاهتمام بالجوانب السلوكية والتربوية المرتبطة بها.

## المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، القاهرة، المطبعة السلفية، سنة ١٣٨٠ هـ.

٢. أبو القاسم عبد الكريم القشيري، شرح أسماء الله الحسنى، دار الحرم للتراث، القاهرة، ١٤٢٢ هـ الطبعة: الأولى.

٣. أبو جعفر الكليني، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، ١٣٦٣ هـ ش، طهران.

٤. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت: ٣١٢/٤.

٥. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي الشافعي الدمشقي، الأذكار النووية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان، سنة ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م.

٦. أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، شأن الدعاء، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤.

٧. أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، دار الفكر، بيروت..

٨. جعفر السبحاني، مفاهيم القرآن، مؤسسة الإمام الصادق، مطبعة اعتماد، قم - إيران، ط١، ١٤٢٠ هـ.

٩. جمال محمد الخطيب، تعديل السلوك الإنساني، عمان، مكتب الفكر العربي للنشر والتوزيع، ط ٢٠١٦،٨.

١٠. حمدي عبد الله عبد العظيم، برامج تعديل السلوك وطرق تصميمها سلسلة تنمية

مهارات الأخصائي النفسي، الجيزة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، ط،٢٠١٣.
١١. الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، التوحيد، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابع لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، وط النجف الأشرف ـ العراق.
١٢. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، قم، إيران، دار النشر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط٣، ١٤٣٣هـ.
١٣. صدر الدين القونوي، شرح الأسماء الحسنى، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٨ م.
١٤. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، لبنان، الناشر: مؤسسة الأعلمي، ط ١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.
١٥. عدنان أحمد الفسفوس، أساليب تعديل السلوك الإنساني السلسة الإرشادية، ٢فلسطين، مكتبة أطفال الخليج الالكترونية،٢٠٠٦.
١٦. الكفعمي، تقى الدين ابراهيم بن على بن الحسن الحارثي العاملي، الدعاء في المصباح، نشر الرضى، قم المقدسة.
١٧. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
١٨. المجلسي، محمد الباقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، عليهم السلام، تحقيق عدة من الأفاضل، دار الكتب الإسلامية، طهران.
١٩. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، بدائع الفوائد، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٦ - ١٩٩٦، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا ـ عادل عبد الحميد العدوي.

٢٠. محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دمشق وبيروت: دار ابن كثير واليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ.
٢١. محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، دار الأنوار.
٢٢. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، (٢٠٦، ٢٦١ق)، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨ق، الطبعة الثانية.
٢٣. ناصر مكارم الشيرازي، نفحات القرآن، مؤسسه أبي صالح النشر والثقافة.
٢٤. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي - قبرص، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الأولى.

# مفهوم أمهات المؤمنين في الآية السادسة من سورة الأحزاب

**عبدالرضا الصالح**[1]
**حمزة علي إسلامي نسب**[2]

**الخلاصة**

إن بحث **(مفهوم أمهات المؤمنين في الآية السادسة من سورة الأحزاب)** يُعد من المباحث المهمة التي اعتنى بها المفسرون من الشيعة وأهل السنة، ويهدف إلى دراسة مفهوم "أمهات المؤمنين" الوارد في الآية السادسة من سورة الأحزاب، وبيان معنى أمومة أزواج النبي (ص) للمؤمنين، والبحث في مدى صحة استلزام كون أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين كون النبي (ص) أبًا لهم، ومدى شمول أمومة أزواج النبي (ص) للرجال والنساء، ومدى صحة إطلاق لفظ "أخوال المؤمنين" على إخوة أمهات المؤمنين وإطلاق لفظ "أخوات المؤمنين" على بناتهن، إضافة إلى بيان الموقف الشرعي تجاه أمهات المؤمنين. وقد قسمت البحث بعد المقدمة إلى مبحثين، وتطبيقًا لقاعدة: "الحكم على الشيء فرع تصوره"، فقد بدأت بتعريف مفهوم "أمهات المؤمنين" من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ثم تناولت مفهوم كون أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين، ومعنى أمومتهن للمؤمنين، وهل كونهن أمهات المؤمنين يستلزم كون النبي (ص) أبًا لهم، وهل هنَّ أمهات للمؤمنين فقط أم للمؤمنين والمؤمنات، وهل يقال لإخوتهن أخوال المؤمنين ولبناتهن أخوات المؤمنين؟ النتائج: ذهب أكثر علماء المسلمين إلى المنع من أن يطلق على إخوة أمهات المؤمنين أنهم أخوال المؤمنين، وأن يقال لبناتهن أخوات المؤمنين.

---

١. طالب ماجستير التفسير وعلوم القرآن، جامعة المصطفى (ص) المفتوحة، البريد الالكتروني: alsaleh_one@yahoo.com

٢ . أستاذ مساعد، جامعة المصطفى (ص) المفتوحة، islaminasab@hotmail.com

أجمع المسلمون على نزاهة أمهات المؤمنين من الوقوع فيما ينافي العفة من ارتكاب الزنا والفاحشة. أكد القرآن الكريم على أن أمهات المؤمنين لسن معصومات عن الذنب، ومن الممكن أن يعصين الله ورسوله، عدا ما ينافي العفة.

**الكلمات المفتاحية:** أمهات المؤمنين، الأحزاب، أزواج، أمهات، الآية السادسة.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، الهداة المهديين، الغر الميامين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا، واللعن الدائم على أعدائهم وظالميهم إلى قيام يوم الدين، وبعد:

في إطار المحاولات العديدة التي بُذلت من أجل تطوير الدراسات والعلوم القرآنية، برز الاهتمام بدراسة المفردات القرآنية، وما كان يُعرف سابقًا بـ "علم الوجوه والنظائر"، ثم أطلق عليه لدى المتأخرين اسم المفاهيم أو المصطلحات القرآنية، حيث توجد في القرآن الكريم مجموعة كبيرة من المفاهيم المباشرة وغير المباشرة، كما توجد مفاهيم تحليلية تفضي إلى مفاهيم أخرى.

فالقرآن الكريم ينطوي على العديد من المفاهيم والمصطلحات التي ينبغي اكتشافها من خلال القراءة التدبرية الواعية لآيات الكتاب العزيز، تلك المفاهيم التي تحمل في مضمونها مجموعة كبيرة من الرسائل الإلهية والتوجيهات الربانية التي ينبغي للإنسان أن يتعلمها ويتأمل فيها.

ولا شك في أن دراسة المفاهيم القرآنية، وتحديد أبعادها، ينقلنا من الفهم التعميمي السطحي للقرآن الكريم إلى الفهم والاستيعاب الدقيق، الذي يمكن على أساسه بناء قواعد متماسكة وثابتة، وذلك لأن الكثير من المفردات القرآنية هي في الحقيقة مفاهيم مشبعة بالأبعاد الفكرية.

وقد عاب الله عز وجل على الذين لم يتفاعلوا مع تلك المفاهيم، بل كان جل اهتمامهم هو ترديد ما قاله الآخرون دون معرفة، قال تعالى: «قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنْتَظِرِينَ» (سورة الأعراف: ٧١).

وقد تكون هذه المفاهيم نتيجة للظن وهوى النفس، لا نتيجة لاتباع المنهج القرآني، قال تعالى: «إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ» (سورة النجم: ٢٣).

وسورة الأحزاب - كغيرها من السور القرآنية المباركة - اشتملت على العديد من المفردات والمفاهيم والمصطلحات والمقاصد والغايات التي ينبغي دراستها وتحليلها والتدبر فيها.

حيث قررت أن لأزواج النبي (ص) حرمة الأمهات، وذلك في قوله تعالى: «النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِن أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» (سورة الأحزاب: ٦).

وتكمن مشكلة البحث في أن هناك مسائل تثار لدى المهتمين بشأن تفسير القرآن عند الشيعة وأهل السنة، وهي: هل أن مصطلح "أمهات المؤمنين" له مفهوم خاص؟ وما معنى أمومة أزواج النبي (ص) للمؤمنين؟ حتى أن المعتنين بعلم التفسير كان لهم فهمهم وآراؤهم في هذا الخصوص، حيث انقسموا إلى فريقين في جملة من المسائل، منها: هل إن كون أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين يستلزم كون النبي (ص) أبًا لهم؟ وهل إن أزواج النبي (ص) أمهات للمؤمنين فقط أم أن أمومتهن تشمل المؤمنين والمؤمنات؟ وهل يقال لأخوة أزواج النبي (ص) أخوال المؤمنين، وهل يقال لبناتهن

أخوات المؤمنين؟ وما هو الموقف الإسلامي من أمهات المؤمنين؟ وكل من الفريقين كتب في تأييد مشربه ومنحاه، مما يبرز أهمية دراسة هذا الموضوع بموضوعية، لشدة تعلقه بفهم كتاب الله تعالى والموقف الشرعي من أزواج النبي (ص).

وانطلاقًا من مشكلة البحث نحتاج إلى الإجابة على الأسئلة التالية: ما مفهوم قوله تعالى: «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)؟ وما معنى أمومة أزواج النبي (ص) للمؤمنين؟ وما موقف المسلمين من أمهات المؤمنين؟

وإن أهمية البحث تنبثق من أهمية الموضوع الذي يتناوله، لأن إنجاز أي بحث بلا تحديد هدف منه سيكون أمرًا عبثيًّا لا فائدة منه، فتحديد الهدف يساعدنا في تركيز أفكارنا وطاقاتنا على ما نصبو إلى تحقيقه، ويضمن لنا عدم الوقوع في الإفراط في البحث دون تحقيق النتائج المرجوة والمطلوبة، وكذلك يحدد لنا وجهة سيرنا في الطريق الصحيح وفي تقييم النتائج التي سنتوصل إليها.

والهدف الرئيسي لهذا البحث هو بيان ودراسة مفهوم أمهات المؤمنين الوارد في الآية السادسة من سورة الأحزاب، ومعنى الأمومة عند المفسرين.

وقد تبلورت أهداف البحث في جمع المعلومات المتعلقة بمفهوم أمهات المؤمنين، ودراستها بدقة، والإجابة عن الأسئلة المثارة في مشكلة البحث، بإيضاح المراد من قوله تعالى: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)، والمسائل ذات الصلة بمفهوم الآية الشريفة، وذلك لبيان مفهوم قوله تعالى: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)، وتوضيح مفهوم كون أزواج النبي (ص) أمهات للمؤمنين، واستعراض معنى أمومة أزواج النبي (ص) للمؤمنين، والموقف الإسلامي منهن، إضافة إلى رأي العلماء والمفسرين في مسألة استلزام كون أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين كون النبي (ص) أبًا لهم، ومدى شمول أمومة أزواج النبي (ص) للمؤمنين والمؤمنات، وهل يقال لأخوة أزواج النبي (ص) أخوال المؤمنين؟ وهل يقال لبناتهن أخوات المؤمنين؟

## المبحث الأول: مفهوم قوله تعالى: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ)

### تمهيد

إن مفهوم قوله تعالى: (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) متوقف على معرفة مفرداته ضرورة توقف معرفة الكل على معرفة أجزائه؛ لذلك كان من الضروري تعريف المفردات – أي الأجزاء –، قبل تعريف المركب – أي الكل –؛ لأن الشروع بداية في بيان تعريف مفردات المركبات لغة واصطلاحًا التي تتكون منه حقيقتها، ثم العروج إلى بيان تعريف المركب هو الأقرب لفهم المراد وتصور المطلوب. وكذلك؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره.

والكلام في هذا المبحث يقع في أربعة مطالب:

### المطلب الأول: تعريف المفهوم لغة واصطلاحًا

المفهوم لغة: من مادة "فهم"، فـ «الفاء والهاء والميم علم الشيء» (ابن فارس، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ج٤، ص٤٥٧)، وهو اسم مفعول يدل على: المعرفة، والعقل، والعلم، يقال: فهمت الشيء، أي: عرفته، وعقلته، وعلمته.

و «الفهم: هيئة للإنسان بها يتحقق معاني ما يحس، يقال: فهمت كذا» (الراغب الأصفهاني: ١٤٤١هـ ٢٠٢٠م، ص٥١٤). و«فهمه فهمًا، وفهامة: أحسن تصوره» (المعجم الوجيز، بدون تاريخ، ص٤٨٣).

أما اصطلاحًا فلفظ المفهوم من الألفاظ التي يصعب تحديدها، لأن كل علم ينظر إلى المفهوم من زاويته الخاصة، فتعريفه في أصول الفقه يختلف عن تعريفه في المنطق، وهكذا.

ومن بين ما عُرِّف به المفهوم أنه عبارة عن «مجموع الصفات والخصائص التي تحدد الموضوعات التي ينطبق عليها اللفظ تحديدًا يكفي لتمييزها عن الموضوعات الأخرى» (عبدالحق، ١٩٩٨م، ج١، ص٣١).

## المطلب الثاني: تعريف المصطلح لغة واصطلاحًا

المصطلح لغة: مصوغ على وزن "مفتعل"، ويرجع أصله إلى مادة "صلح"، قال ابن فارس: «الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد. يقال: صلح الشيء يصلح صلاحًا. ويقال صلح بفتح اللام» (ابن فارس، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ج٣، ص٣٠٣).

و «المصطلح: لفظ أو رمز يتفق عليه في العلوم والفنون للدلالة على أداء معنى معين» (المعجم الوجيز، بدون تاريخ، ص٣٦٨).

أما اصطلاحًا فقد ذكر الجرجاني تعريفات كثيرة للاصطلاح، فقال: «الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قام على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، الاصطلاح: إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين» (الجرجاني، بدون تاريخ، ص٢٨).

وبناء على ذلك فالمفهوم يركز على الصورة الذهنية، فهو أسبق من المصطلح، أما المصطلح فهو يركز على الدلالة اللفظية للمفهوم، وهو الذي يعطي للمفهوم وجوده وتحققه اللغوي، كما أن المفاهيم أعم وأشمل من المصطلحات.

## المطلب الثالث: تعريف الأزواج لغة واصطلاحًا

الزوج: «خلاف الفرد. يقال: زوج أو فرد ... قال ابن سيده: الزوج الفرد الذي له قرين. والزوج: الاثنان» (ابن منظور، بدون تاريخ، ج٢، ص٢٩١).

و «يقال للاثنين: هما زوجان، وهما زوج. وزوجته امرأة، وتزوجت امرأة ... وامرأة مزواج: كثيرة التزوج. وكثيرة الزوجة، أي: الأزواج. «وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ»: قرناهم. والأزواج: القرناء» (الفيروز آبادي، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، ص١٤٠).

و «الزاء والواو والجيم أصل يدل على مقارنة شيء لشيء. من ذلك: الزوج زوج المرأة، والمرأة زوج بعلها، وهو الفصيح. قال الله جل ثناؤه: «اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ». ويقال لفلان زوجان من الحمام، يعني ذكرًا وأنثى ... » (ابن فارس، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، ج٣، ص٣٥).

«وجمع الزوج أزواج وزوجه، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ)» (ابن منظور، بدون تاريخ، ج٢، ص٢٩٣).

## المطلب الرابع: تعريف الأمهات لغة واصطلاحًا

الأمهات: جمع مفرده أم، قال الجوهري: «أصل الأم أمهة، ولذلك تجمع على أمهات» (ابن منظور، بدون تاريخ، ج١٢، ص٢٩). والأم معروفة وقد سمت العرب في بعض اللغات الأم إمًّا (ابن دريد، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، ج١، ص٢٠).

«والأم، وقد تكسر: الوالدة، وامرأة الرجل المسنة، والمسكن، وخادم القوم. ويقال للأم: الأمة والأمهة ... وأم كل شيء: أصله وعماده. وللقوم: رئيسهم» (الفيروز آبادي، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م، ص٨٨٢).

قال الراغب: «الأم؛ بإزاء الأب، وهي الوالدة القريبة التي ولدته، والبعيدة التي ولدت من ولدته، ولهذا قيل لحواء: هي أمنا» (الراغب الأصفهاني، ١٤٤١هـ ٢٠٢٠م، ص٧٩).

## المبحث الثاني: مفهوم كون أزواج النبي (ص) أمهات للمؤمنين

### تمهيد

إن مفهوم كون أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين من المفاهيم التي لم ترد إلا في آية واحدة من آيات القرآن الكريم، وهي الآية السادسة من سورة الأحزاب، ولا شك في أننا بحاجة إلى معرفة المراد بمصطلح "الأمومة" وما يلحق به من مسائل، بالإضافة إلى بيان موقف المسلمين من أمهات المؤمنين.

والكلام في هذا المبحث يقع في مطلبين:

### المطلب الأول: معنى أمومة أزواج النبي (ص) للمؤمنين

لقد وصف الله عز وجل أزواج النبي (ص) بأنهن أمهات المؤمنين، «حيث يُعتبرن كأمهات لكل المؤمنين، وهي طبعًا أمومة معنوية وروحية» (الشيرازي، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م، ج٢٠، ص٢٩٥)، ولا شك في أن الأمومة هنا ليست بمعناها الحقيقي، بل المراد ترتيب بعض الآثار والأحكام الشرعية، وليس كل أحكام الأمومة أيضًا، إذ لا شك في أنه لا يجوز لمؤمن أن ينظر إليهن، كما أنه يجوز التزوج ببناتهن ولا يرثهن المؤمنون، ولا يرثن منهم، وغير ذلك من أحكام الأم. وإنما المراد – على الظاهر – ترتيب أثرين، أحدهما: إكرامهن واحترامهن، كما يكرم الإنسان أمه، والآخر: حرمة الزواج بهن بعد الرسول (ص) (المهري، ١٤٣٥هـ ج١، ص٢٤).

فقوله تعالى: «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» «أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع» (ابن كثير،

١٤٢٠هـ ١٩٩٩م، ج٦، ص٣٨٠-٣٨١)، فهو «جعل تشريعي أي أنهن منهم بمنزلة أمهاتهم في وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن بعد النبي (ص) ... » (الطباطبائي، ١٤١١هـ ١٩٩١م، ج١٦، ص٢٨٣).

حيث يعتبرن أمهات لكل المؤمنين، وهي طبعًا أمومة معنوية وروحية، و «إن تأثير هذا الارتباط المعنوي كان منحصرًا في مسألة حفظ احترام أزواج النبي (ص) وحرمة الزواج منهن، كما جاء الحكم الصريح بتحريم الزواج منهن بعد وفاة النبي (ص) في آيات هذه السورة، وإلا فليس لهذه العلاقة أدنى أثر من ناحية الإرث وسائر المحرمات النسبية والسببية، أي إن المسلمين كان من حقهم أن يتزوجوا بنات النبي (ص)، في حين أن أي أحد لا يستطيع الزواج من ابنة أمه، وكذلك مسألة كونهن أجنبيات، وعدم جواز النظر إليهن إلا للمحارم» (الشيرازي، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م، ج٢٠، ص٢٩٥).

فـ «المعنى: إنهن للمؤمنين كالأمهات في الحرمة، وتحريم النكاح. ولسن أمهات لهم على الحقيقة ... فثبت أن المراد به يعود إلى حرمة العقد عليهن لا غير، لأنه لم يثبت من أحكام الأمومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة. ألا ترى أنه لا يحل للمؤمنين رؤيتهن، ولا يرثن المؤمنين، ولا يرثونهن» (الطبرسي، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ج٨، ص١٢٢).

ولعل السبب وراء اعتبارهن بأنهن أمهات المؤمنين هو أن أحد الصحابة كان يريد نكاحهن بعد رحيل الرسول (ص)، حيث قال السيوطي: «وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: بلغنا أن طلحة بن عبيدالله قال: أيحجبنا محمد عن بنات عمنا، ويتزوج نساءنا من بعدنا، لئن حدث به حدث لنتزوجن نساءه من بعده فنزلت هذه الآية»[1] (السيوطي، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، ج٥، ص٤٠٤).

---

١ أي قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لَكُمْ أنْ تُؤذُوا رَسُولَ اللهِ وَلاَ أنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَدًا إنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا) سورة الأحزاب: ٥٣.

## المسألة الأولى: هل كون أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين يستلزم كون النبي (ص) أبًا لهم؟

إن قوله تعالى: «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ» يُفهم منه أن النبي (ص) أبٌ للمؤمنين، ولا شك في «أن النبي (ص) أب روحي ومعنوي للأمة» (الشيرازي، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م، ج٢٠، ص٢٩٥)، وروي ذلك عن أبي جعفر (ع)[١] وأبي عبدالله (ع)[٢]. قال مجاهد: وكل نبي أب لأمته، ولذلك صار المؤمنون أخوة، لأن النبي (ص) أبوهم في الدين (الطبرسي، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ج٨، ص١٢٢).

لكن الغريب هو ما رُوي في المصادر المعتبرة عند أهل السنة مما يستلزم القول بتحريف القرآن – والعياذ بالله –، فقد قال القرطبي: «ثم إن في مصحف أبي بن كعب "وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم". وقرأ ابن عباس: "من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم"» (القرطبي، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ج١٤، ص٨٢-٨٣).

وروى الطبري عن قتادة، قال: «في بعض القراءة "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم" ... » (الطبري، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، ج١٠، ص٢٥٩).

قال السيوطي: «وأخرج عبدالرزاق وسعيد بن منصور وإسحاق بن راهويه وابن المنذر والبيهقي عن بجالة قال: مرَّ عمر بن الخطاب بغلام وهو يقرأ في المصحف "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم"، فقال: يا غلام حكها، فقال: هذا مصحف أبي، فذهب إليه فسأله فقال: إنه كان يلهيني القرآن، ويلهيك الصفق بالأسواق» (السيوطي، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، ج٥، ص٣٥١).

---

١ يعني الإمام محمد بن علي الباقر [ع].

٢ يعني الإمام جعفر بن محمد الصادق [ع].

وقد حاول بعض علماء أهل السنة توجيه تلك الأحاديث، ولا شك في أن الأخذ بهذه الروايات يتنافى مع الاعتقاد بسلامة القرآن الكريم من التحريف، الأمر الذي يرفضه علماء الشيعة وأكثر علماء أهل السنة.

## المسألة الثانية: هل إن أزواج النبي (ص) أمهات للمؤمنين فقط أم للمؤمنين والمؤمنات؟

قال القرطبي: «واختلف الناس هل هنَّ أمهات الرجال والنساء أم أمهات الرجال خاصة؛ على قولين ... قلت: لا فائدة في اختصاص الحصر في الإباحة للرجال دون النساء، والذي يظهر لي أنهن أمهات الرجال والنساء؛ تعظيمًا لحقهن على الرجال والنساء» (القرطبي، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ج١٤، ص٨٢).

وقال السيد مرتضى المهري: «رُوي عن عائشة أنها قالت: "أنا أم رجالكم"، ومعنى ذلك أن هذه الأمومة لا يترتب عليها إلا حرمة الزواج، فهي خاصة بالرجال. ولكن رُوي عن أم سلمة قولها: "أنا أم رجالكم ونسائكم"، ولعلها - على افتراض صحة النسبة - أرادت بذلك التنبيه على أن الأمومة هنا تستلزم الإكرام والاحترام، وهذا لا يختص بالرجال. واحترام الرسول (ص) يستلزم - بالطبع - احترام كل ما يتعلق به، كالأرض والبلد والدار والأولاد والزوجات ونحو ذلك، فالاحترام ليس لخصوصية في هذه الأمور، بل لذلك الشخص الكريم» (المهري، ١٤٣٥هـ، ج١، ص٢٤).

## المسألة الثالثة: هل يقال لأخوة أزواج النبي (ص) أخوال المؤمنين؟ وهل يقال لبناتهن أخوات المؤمنين؟

لما كان أزواج النبي (ص) أمهات للمؤمنين في حكم التحريم دون المحرمية، فهل يقال في إخوانهن أخوال المؤمنين؟ وهل يقال لبناتهن أخوات المؤمنين؟

ذهب الكثير إلى المنع من ذلك، حيث قال القرطبي: «قال قوم: لا يقال بناته أخوات المؤمنين، ولا إخوانهن أخوال المؤمنين وخالاتهم. قال الشافعي: تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي أخت عائشة، ولم يقل: هي خالة المؤمنين ... » (القرطبي، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ج١٤، ص٨٤).

فالتنزيل إنما هو في بعض آثار الأمومة لا في جميع الآثار كالتوارث بينهن وبين المؤمنين والنظر في وجوههن كالأمهات وحرمة بناتهن على المؤمنين لصيرورتهن أخوات لهم وكصيرورة آبائهن وأمهاتهن أجدادًا وجدات وإخوتهن وأخواتهن أخوالاً وخالات للمؤمنين (الطباطبائي، ١٤١١هـ ١٩٩١م، ج١٦، ص٢٨٣).

إذ لو كنَّ كذلك لكانت بنتاه (ص) أخوات المؤمنين على الحقيقة، فكان لا يحل للمؤمن التزوج بهن (الطبرسي، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ج٨، ص٩٣).

وقال ابن تيمية: «ومن علماء السنة من قال: لا يُطلق على إخوة الأزواج أنهم أخوال المؤمنين، فإنه لو أطلق ذلك لأطلق على أخواتهن أنهن خالات المؤمنين، ولو كانوا أخوالاً وخالات لحرم على المؤمن أن يتزوج خالته وحرم على المرأة أن تتزوج خالها ...» (ابن تيمية، بدون تاريخ، ج٢، ص١٩٩).

وعليه، فمن وصف معاوية بن أبي سفيان – مثلاً – بأنه خال المؤمنين فقد خالف جميع علماء الشيعة وأكثر علماء أهل السنة.

## المطلب الثاني: موقف المسلمين من أمهات المؤمنين

يوجد إجماع إسلامي على نزاهة أمهات المؤمنين من الوقوع فيما ينافي العفة من ارتكاب الزنا والفاحشة. نعم نُسب إلى ثلاثة من مفسري أهل السنة القدامى وهم: الحسن ومجاهد وابن جريج القول بأن ابن نوح (ع) لم يكن ابنه على الحقيقة، وإنما وُلد على فراشه من غيره.

قال الفخر الرازي – في تفسير قوله تعالى: «وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ» (سورة هـود: ٤٢) : «اختلفـوا في أنه كان ابنًا له، وفيه أقوال: القول الأول: أنه ابنه في الحقيقة ... القول الثاني: أنـه كـان ابن امرأته ... القول الثالث: أنه وُلد على فراشه لغير رشدة، والقائلون بهذا القول احتجـوا بقوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط "فخانتاهما" وهذا قول خبيث يجب صـون منصـب الأنبياء عن هذه الفضيحة» (الفخر الرازي، ١٤١١هـ ١٩٩٠م، ج١٧، ص١٨٤-١٨٥).

وقال القرطبي – في تفسير قوله تعالى: «قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَـيْسَ مِـنْ أَهْلِـكَ إِنَّـهُ عَمَـلٌ غَيْـرُ صَالِحٍ» (سورة هود: ٤٦) –: «وقال الحسن: معنى عمل غير صالح أنه وُلد على فراشه ولـم يكن ابنه ... وقاله أيضًا مجاهد ... وقال ابن جريج: ناداه وهو يحسب أنه ابنه، وكـان ولـد على فراشه، وكانت امرأته خانته فيه» (القرطبي، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م، ج٩، ص٣٢).

أما علماء الشيعة فهم مجمعـون علـى تنزيـه أزواج الأنبيـاء (ع) ولا سـيما أزواج النبـي الأكرم (ص) عن ارتكاب أية علاقة غير مشروعة كالزنا والفاحشة، وعـن كـل مـا ينـافي الشرف والعفة.

قال السيد الطباطبائي: «إن تسرب الفحشاء إلى أهل النبي (ص) ينفر القلوب عنه، فمـن الواجب أن يطهر الله سبحانه ساحة أزواج الأنبياء (ع) عـن لـوث الزنـا والفحشـاء وإلا لغت الدعوة وتثبت بهذه الحجة العقلية عفـتهن واقعًـا لا ظـاهرًا فحسـب» (الطباطبـائي، ١٤١١هـ ١٩٩١م، ج١٥، ص١٠٣).

وقال السيد محسن الأمين: «وعقيدة الشيعة فـي الأزواج عمومًـا وفـي عائشـة وحفصـة خصوصًا هو ما نزل به القرآن الكريم وجاءت به الآثار الصحيحة، لا يمكـن أن يحيـدوا عنه، وهو أنهن جميعًا أمهات المؤمنين في لزوم الاحترام والتكريم احترامًا للنبي (ص) » (الأمين، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص٥١).

وقال الشيخ جعفر السـبحاني: «إن السـيدة عائشـة مـن زوجـات النبـي (ص) وأمهـات المؤمنين لهـا مـن الشـرف والكرامـة مـا لسـائر نسـائه (ص) ... » (السـبحاني، ١٤١٩هـ ص٢٣١).

لكن الزوجية للنبي (ص) لا ترفع عقاب المعصية، بل تضاعفه، قال تعالى: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ» (سورة الأحزاب: ٣٠)، كما تضاعف ثواب الطاعة، قال تعالى: «وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ» (سورة الأحزاب: ٣١)، والله عز وجل لم يعصم أزواج النبي (ص) عن ارتكاب الذنوب الموجبة للفسق.

ومن الواضح أن فسق الزوجة أو كفرها لا يعيب الزوج ولا ينقصه، بخلاف الزنا والفاحشة، ولهذا صان الله تعالى أزواج النبي (ص) عن الزنا، ووصفهن بأمهات المؤمنين، ولم يصنهن عن الفسق.

لذلك يجب أن يكون موقف المسلمين تجاه أمهات المؤمنين مراعيًا للقواعد والضوابط والأسس التالية:

### * أولاً: عصمة النبي (ص) لا تسري إلى زوجاته:

إن عصمة النبي (ص) ونزاهته عن الذنوب والمعاصي وعن كل ما يشين، هي من القضايا العقدية المتفق عليها بين المسلمين، وأما زوجاته (ص) فلسن معصومات عن الذنب، ومن الممكن أن يعصين الله ورسوله. نعم يوجد ثمة إجماع إسلامي على نزاهتهن من الزنا والفاحشة.

### * ثانيًا: وجوب احترام وتعظيم أمهات المؤمنين:

يلزم التعامل مع أمهات المؤمنين بكل تقدير وتعظيم، وذلك احترامًا لصلتهن برسول الله (ص)، وإكرامًا له، ورعاية لحقه، وحفظًا لحرمته.

*** ثالثًا: الاحترام لا يلغي النقد:**

إن احترام أمهات المؤمنين يقتضي المنع من توجيه الإهانة أو الإساءة لهن، لكنه لا يمنع من دراسة مواقفهن التاريخية دراسة نقدية، وذلك لتقييمها.

## الخاتمة (نتائج البحث)

بعد عرض أهم ما يتعلق بمفهوم أمهات المؤمنين في الآية السادسة من سورة الأحزاب؛ توصلنا من خلال البحث إلى النتائج التالية:

١- أن المفهوم أعم من المصطلح وأسبق منه.

٢- أن المفهوم يركز على الصورة الذهنية، أما المصطلح فيركز على الدلالة اللفظية للمفهوم.

٣- أن المقصود من أمومة أزواج النبي (ص) للمؤمنين هو ترتيب أثرين، أحدهما: إكرامهن واحترامهن، كما يكرم الإنسان أمه، والآخر: حرمة الزواج بهن بعد الرسول (ص).

٤- أن كون أزواج النبي (ص) أمهات المؤمنين يستلزم كون النبي (ص) أبًا روحيًّا ومعنويًّا للأمة.

٥- خصَّ البعض أمومة أزواج النبي (ص) بالمؤمنين فقط، بينهما ذهب البعض الآخر إلى أنها تعم المؤمنين والمؤمنات.

٦- ذهب أكثر علماء المسلمين إلى المنع من أن يطلق على إخوة أمهات المؤمنين أنهم أخوال المؤمنين، وأن يقال لبناتهن أخوات المؤمنين.

٧- أجمع المسلمون على نزاهة أمهات المؤمنين من الوقوع فيما ينافي العفة من ارتكاب الزنا والفاحشة.

٨- أكد القرآن الكريم على أن أمهات المؤمنين لسن معصومات عن الذنب، ومن الممكن أن يعصين الله ورسوله، عدا ما ينافي العفة.

## المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم (بدون تاريخ)، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، بيروت، المكتبة العلمية.
٣- ابن دريد الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن (١٤١٣هـ ٢٠١٠م)، جمهرة اللغة، بيروت، دار صادر، ط١.
٤- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (١٣٩٩هـ ١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الفكر.
٥- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (١٤٢٠هـ ١٩٩٩م)، تفسير القرآن العظيم، الرياض، دار طيبة، ط٢.
٦- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (بدون تاريخ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر.
٧- الأمين، محسن (١٤٠٣هـ ١٩٨٣م)، نقض الوشيعة أو الشيعة بين الحقائق والأوهام، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط٤.
٨- الجرجاني، علي بن محمد بن السيد الشريف (بدون تاريخ)، معجم التعريفات، القاهرة، دار الفضيلة.
٩- الراغب الأصفهاني (١٤٤١هـ ٢٠٢٠)، مفردات ألفاظ القرآن، دمشق، دار القلم، ط٢.
١٠- السبحاني، جعفر (١٤١٩هـ)، رسائل ومقالات، قم، مؤسسة الإمام الصادق، ط١.
١١- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (١٤١١هـ ١٩٩٠م)، الدر المنثور في التفسير المأثور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١.

١٢- الشيرازي، ناصر مكارم (١٤٣٤هـ ٢٠١٣م)، الأمثل في تفسير كتاب اللـه المنـزل، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١.

١٣- الطباطبائي، محمد حسين (١٤١١هـ ١٩٩١م)، الميزان في تفسير القـرآن، بيـروت، مؤسسة الأعلمي، ط١.

١٤- الطبرسي، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسـن (١٤١٥هـ ١٩٩٥م)، مجمـع البيان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ط١.

١٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جريـر (١٤١٢هـ ١٩٩٢)، جـامع البيـان فـي تأويـل القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١.

١٦- الفخر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمـي البكري الشافعي (١٤١١هـ ١٩٩٠م)، التفسـير الكبيـر أو مفـاتيح الغيـب، بيـروت، دار الكتب العلمية، ط١.

١٧- الفيروز آبادي، مجـد الـدين محمـد بـن يعقـوب (١٤٣٦هـ ٢٠١٥م)، القـاموس المحيط، القاهرة، دار ابن الجوزي، ط١.

١٨- القرطبي، أبو عبدالله محمد بـن أحمـد الأنصـاري (١٤١٣هـ ١٩٩٣م)، الجـامع لأحكام القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٩- المعجم الوجيز (بدون تاريخ)، إعداد مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية.

٢٠- المهري، مرتضى (١٤٣٥هـ)، الهادي فـي تفسـير القـرآن الكـريم، قـم، مؤسسـة المعارف الإسلامية، ط١.

٢١- عبدالحق، صلاح إسماعيل (١٩٩٨م)، توضـيح المفـاهيم ضـرورة معرفيـة، مقـال منشور في كتاب "بناء المفاهيم دراسة معرفية ونمـاذج تطبيقيـة"، إشـراف: علـي جمعـة محمد وسيف الدين عبدالفتاح إسماعيل، القاهرة، مطبوعـات المعهـد العـالمي للفكـر الإسلامي، ط١.

# تكامل النفس وحقيقته من منظار العلامة اليزدي

الطالبة: علوية المقبل[١]

**الملخص**

الانسان يسعى دائما الى الكمال ولكي يصل الى كماله المنشود لابد أن يعرف نفسه. فالإنسان لديه نوعين من النفس، هما: النفس الطبيعية والحيوانية التي تنزع نحو الماديات والمعاصي، والنفس القدسية والالهية التي تنزع الى التقرب الى الله. والنفس يمكن أن تتسامى وتصل الى الكمال فتصبح بذلك نفس قدسية والهية كما يمكنها أيضا أن تتسافل وتنحدر فتصبح نفس حيوانية.

نجد أن هناك آراء أو تصورات كثيرة حول مفهوم الكمال فهناك من يرى أن كمال الانسان يكمن في الحصول على المال ومنهم من يراه يكمن في الحصول على الجاه أو المنزلة الاجتماعية المرموقة ومنهم من يراه في القوة الجسدية والعقلية وغيرها.

ولاختلاف مفهوم الكمال لدى الناس قررنا البحث في الدراسات السابقة وخاصة في دراسات العلامة اليزدي للوقوف على المعنى الصحيح للكمال الحقيقي وكذلك معرفة الأمور التي تؤدي الى هذا الكمال.

ففي هذا المقال سنجيب عن سؤالين:

ما هو الكمال النهائي للإنسان؟

كيف يمكن الوصول الى الكمال الحقيقي؟

وذلك من خلال دراسة وصفية للدراسات والبحوث التي قام بها العلامة اليزدي حول هذا الموضوع. حيث وصلنا من خلال تتبعها إلى النتيجة التالية:

[١]. قسم الفلسفة والعرفان- جامعة المصطفى المفتوحة، aabm٤@hotmail.com

أن الكمال الحقيق يكمن في القرب من الله عز وجل وأن الوصول اليه يكون تحت ظل القرآن الكريم والالتزام بكل ما يقرب الى الخالق المولى عز وجل والابتعاد عن الملذات والشهوات. وأن الأمور التي تؤدي حقيقة إلى تكامل الإنسان ورقيّه المعنوي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :الأمور المرتبطة مباشرة بالله سبحانه وتعالى، والأعمال والواجبات التي ترتبط بالإنسان نفسه، والمسائل المرتبطة بسائر الناس، بل وحتى بالحيوانات والأشياء الأخرى. وجميعها على صلة بعلاقة الإنسان مع الله، فتكامل الإنسان ليس سوى القرب من الله وهذه الأعمال تؤدي إلى تكامله لأنها تقربه من الله. لذا فالكمال الحقيقي للإنسان يكمن في القرب من الله عزوجل فكلما زادت معرفة الانسان بالله عزوجل وازداد بذلك قرباً من الخالق تعالى كلما تسامت نفسه واستطاعت ان تخطو نحو كمالها ورقيها.

اذن لابد للإنسان أن يعرف الغاية من خلقه ووجوده في هذه الحياة وأن يبعد عن الملذات المادية الى تجلب له السعادة المؤقتة ويتلذذ بالقرب من الخالق عز وجل ليصل إلى السعادة والكمال.

**الكلمات الرئيسية:** التكامل، النفس، حقيقة النفس، العلامة اليزدي، معرفة الذات

**المقدمة**

يسعى الانسان للتكامل منذ اللحظات الأولى من حياته حيث يبدأ بما يمتلكه من قدرات وامكانيات أودعها الباري عز وجل لديه بالتعرف على نفسه وعلى ما يحيط به في هذا الكون، ثم يزيد استعداده شيئا فشيئا لتلقي المزيد من العلوم والمعارف بتنامي مداركه في هذه الحياة.

فماهي المعرفة؟ وماهي النفس؟ وكيف يمكن للإنسان التعرف على نفسه وعلى ما يحيط به؟

مفهوم المعرفة مفهوم بديهي لا يحتاج الى تعريف، بل لا يمكن تعريفه مطلقاً. وكل التعبيرات التي وردت على إنها تعريف للمعرفة إنما هي عبارة إما عن شكل لفظي أو تعيين لبعض مصاديق المعرفة التي يتناولها فرع من العلوم أو قد يقصد بها بيان رأي صاحب التعريف حول المسائل والخواص التي تطرح للبحث في ذلك الموضوع.

فالمقصود من المعرفة هو مطلق العلم والاطلاع، فهي عبارة عن حضور نفس الشيء أو صورته الجزئية أو مفهومه الكلي عند موجود مجرد.

أما المقصود من النفس فالنفس مفردة عربية استخدمت في القران بمواضع مختلفة ونعني ب "النفس" هوية الانسان. فالإنسان له هوية واحدة اما الأمور المتعددة التي تنسب للإنسان فهي أبعاد مختلفة لهذه النفس أو الهوية الواحدة. فالنفس لها ميول ونزعات وحاجات وقوى متعددة.

نفس الانسان تمتلك قوة اسمها العقل تعود اليها مدركات الانسان ويميز بها الانسان الصح من الخطأ، ولها أيضا رغبات ونزعات فهذان بعدان للهوية والنفس الواحدة لكل انسان.

وأما مفهوم النفس لغويا:

١- النفس: الروح. والنفس: الدم. يقال: سالت نفسه.

٢- والنفس ايضا الجسد. قال الشاعر: نبئت أن بني سحيم أدخلوا أبياتهم تامور نفس المنذر، والتامور الدم.

٣- والنفس: العين. يقال أصابت فلانا نفس. و نفسته بنفس، إذا أصبته بعين.(ابن زكريا، ٢٠٠٨م، ص ٤٩٥)

معنى النفس اصطلاحا: يعرفها الامام العزالي بأنها اللطيفة التي هي الانسان بالحقيقة و هي نفس الانسان و ذاته.(إبن حجر، ١٣٧٩ق، ج٨: ص ٣٨٣)

**المفاهيم:**

**الكمال**: الكمال الحقيقي لأي موجود عبارة عما تقتضيه آخر فعلية له وإن كان هذا الكمال نفسه ذا مراتب ودرجات مختلفة. (اليزدي، ١٩٩٢م، ص ٢٦)

فالكمال الحقيقي هو الذي يقرب من يتصف به من الله عز وجل.

**القرب:** في عالمنا المادي نعرف أنواعاً من القرب أظهرها القرب الجسماني، والقرب المكاني. والقرب من الله ليس قرباً جسمانياً فهو محيط بجميع الأمكنة والأزمنة. فالتقرب من الله والاتصال به ليس اتصالاً جسمانياً ولا مكانيا ولا زمانياً وما إلى ذلك من أنواع العلاقات المادية.

وهناك معنى اعتباري نستعمله فيما بيننا كأن نقول فلان قريب من فلان، أي يأخذ برأيه ويقبل منه مقترحاته. هذا هو القرب الاعتباري، جاء في الحديث القدسي: " لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها كلما دعاني أجبته". فالجملة الأخيرة تشير على ما عبرنا عنه بالقرب الاعتباري.

**التزكية:** مفردة عربية استخدمها القرآن الكريم في مقابل "التدسية" حيق يقول في محكم كتابه:«قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها» (الشمس:٩-١٠). ان لهذه المفردة بعدان أحدهما إيجابي والآخر سلبي، فالبعد الإيجابي نجده في توفير الأسباب الضرورية لنمو الانسان وتكامله أما البعد السلبي فيظهر في عملية إزالة العراقيل الداخلية والخارجية التي تمنع الوصول الى التكامل.

**النفس:** تطلق مفردة " نفس" على هوية الانسان فالإنسان يمتلك هوية واحدة والأمور الكثيرة التي تنسب له انما هي ابعاد مختلفة لهذه النفس الواحدة. فهي نفس واحدة لكنها ذات قوى وميول ونزعات وحاجات متعددة. فالنفس الإنسانية تمتلك قوة اسمها العقل تميز بها الصالح من الطالح ولها أيضا رغبات ونزعات، فهذان بعدان للهوية والنفس الواحدة لكل انسان.

**العبادة:** للعبادة تعبيرات ومعان مختلفة، منها:

- العبادة عمل يؤدى بعنوان تقديم العبودية لله مثل "الصلاة"
- العبادة عمل يؤدى بقصد القربة وتتوقف صحته على هذا القصد كـ "الزكاة"
- العبادة عمل يؤدى بقصد القربة وإن كانت صحته غير متوقفة على هذا القصد كالأعمال التي يكون فيها رضى الله عز وجل

و وهنا تعني أن يقوم الانسان بكافة الاعمال الاختيارية بدافع الطاعة لله والتقرب منه.

**ضرورة معرفة الذات**

من الطبيعي أن أي موجود يحب ذاته حبا فطريا أن يسعى لمعرفة هذه الذات وإدراك كمالاتها وسبل الوصول اليها فلا يحتاج الى الأدلة العقلية أو التعبدية ليدرك ضرورة معرفة ذاته.

ويعتبر التغافل عن هذه الحقيقة أمر غير طبيعي يتطلب البحث عن معرفة علته وسبل الخلاص منه.

إن كافة أنواع السعي الإنساني العلمية او العملية انما هي لضمان اللذات والمنافع والمصالح للإنسان لذا فإن معرفة الانسان لنفسه وكمالاته التي يمكنه الوصول اليها مقدمة على جميع المواضيع.

إن تأكيد الأديان السماوية وعلماء الأخلاق على معرفة النفس وكشف حقيقتها إنما هو إرشاد إلى هذه الحقيقة الفطرية فالقرآن الكريم يعتبر نسيان النفس أمر حتمي ناتج عن نسيان الله، بل أنه كالجزاء لهذا الذنب الكبير حيث يقوله تعالى: «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم»(الحشر: ١٩)

وقد أمر سبحانه بالنظر الى آياته في الآفاق وفي الأنفس كذلك فقال سبحانه: «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» (فصلت:٥٣)

وقد أولى الله سبحانه وتعالى آيات النفس عناية خاصة وعبر عن ذلك بقوله: «وفي أنفسكم أفلا تبصرون» (الذارايات:٢١)

فألقى باللوم على أولئك الذين لا يسعون لمعرفة الآيات الإلهية في أعماق وجودهم.

وقد أعطى النبي صلى الله عليه واله معرفة النفس كذلك أهمية جمة وجعلها سبيل إلى معرفة الله حيث قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»( ابن ابى جمهور،**١٤٠٥**ق؛ ج٤، ص١٠٢؛ **فخررازى، ١٤٢٠ق**، ج١، ص٩١، ج٩، ص٤٦٠ و ج٣٠، ص٧٢١)

فالمقصود هنا من معرفة الذات هو معرفة الانسان من ناحية أن لديه استعدادات وطاقات تمهد له سبيل التكامل الإنساني وتوصله إليه.

**كيف يعلم الانسان بوجوده وبنفسه**

علم الانسان بوجوده وبقواه النفسية وبسائر حالاته النفسية هو علم حضوري شهودي.

فالنفس الإنسانية لديها القابلية للرقي والكمال كما لديها في الطرف المقابل استعدادا للسقوط والانحدار فإن قام الانسان بتزكيتها فإنها تتكامل وترتقي وإن قام بتدنيسها فإنها تتسافل وتتجه نحو الضعف والفساد.

ان كيفية تكامل النفس أو كيفية هبوطها ليس بالأمر المحسوس الذي يمكن أن نراه بالعين، والطريق الوحيد لإدراك صلاح النفس وفسادها انما هو العلم الحضوري. فالذين وصلوا الى مراتب تكامل النفس هم الذين يدركون معنى رقي النفس وكمالها. ان النفس كالجسم، في القرآن، من حيث التلوث والطهارة فمن طهر نفسه نمت وتكاملت كالبذرة التي تكبر لتصبح شجرة قوية مثمرة بالرعاية والاهتمام وكذلك من لوث نفسه وأفسدها فهي كالزرع لكن ذلك الذي تعرض للآفات فذبل ومات نتيجة الإهمال وعدم الرعاية.

ليس من الضروري لإحراق شجرة أن تسري اليها النيران من خارجها فقد تتوفر لها شروط أخرى من البيئة الخارجية كالحرارة مثلا بحيث تحترق الشجرة تلقائيا. وهكذا الحال

بالنسبة الى نفس الانسان فقد تصل النفس الإنسانية الى مرحلة لا تفقد فيها القدرة على الاثمار وحسب، بل تلتهمها النيران من الداخل. يقول الله عزوجل: «فاتقوا النار التي وقودها الناس»(البقره: ٢٤) فهذه النار ليست من الضروري أن يؤتى لها بحطب ونار لكي تشتعل فحطبها ووقودها الناس أنفسهم.

**الكمال**

يعد الكمال صفة وجودية يتصف بها الموجود. فعند قياس أمر وجودي إلى أشياء مختلفة نجده كمالا بالنسبة الى بعضها وفي نفس الوقت ليس كذلك للبعض الآخر، بل لربما اعتبر نقصا وتقليلا في القيمة الوجودية لها.

بالإضافة الى أن البعض لا يمتلك اساسا أي استعداد لبعض الكمالات، على سبيل المثال الطعم الحلو حيث يعتبر كمالا لبعض الفواكه كالبطيخ، في حين يكمن الكمال لبعض أنواع الفواكه في حموضتها. كذلك العلم بالنسبة للإنسان يعد كمالا في حين أن الجمادات كالقلم مثلا لا يمتلك أي استعدادا له.

السر في الأمر إن كل موجود له حد ماهوي خاص به، بحيث يتغير إلى نوع آخر من الوجود إذا تجاوز هذا الحد.

قد تتم التغييرات الماهوية بعد زيادة الذرات وقلتها أو تغيير شكل الجزئيات أو بعد التغييرات الداخلية في تركيب الذرة أو تبذل المادة إلى طاقة أو العكس أو أنها قد تتم على الرغم من وحدة هذ التركيبات كلها.

وعلى أية حال تنسجم الماهية بمقتضى طبيعتها مع بعض الأوصاف ويكون لديها استعداد لقبول بعض الكمالات فقط إلا أن حدوث ماهية جديدة لا يستلزم دائما الخلاص من الكمالات السابقة، فالكثير من الموجودات تتقبل حالات فعلية متعددة تأتي الواحدة منهت بعد الأخرى مع احتفاظها بالكمالات السابقة.

فمن الممكن أن نجد في موجودات كالإنسان والحيوان كمالات سابقة تساعد الى حد ما في حدوث الكمالات الأسمى منها ولكنها لا تقتضي بالضرورة أن يكون ازديادها دائما مؤديا للكمالات الفعلية الأخيرة، أو أنها في الأقل لا تزاحمها بل قد نجد في كثير من الحالات ان الوصول إلى بعض الكمالات يتوقف على تحديد الكمالات السابقة، فعلى سبيل المثال سمنة الحصان الشديدة تمنعه من الوصول إلى كماله اللائق وهو القدرة على الجري السريع.

فالكمال الحقيقي لأي موجود عبارة عن الأوصاف التي تقتضيها فعليته الأخيرة أما الأمور الأخرى فتكون مقدمات لهذا الكمال وذلك بمدى تأثيرها في الوصول إليه.

**مراحل تكامل الإنسان**

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ» (يونس: ٥٧)

بيّن الله تعالى في هذه الآية المباركة أربع مراحل من مراحل تربية وتكامل الإنسان في ضوء القرآن الكريم وهي:

**المرحلة الأولى:** مرحلة الوعظ والنصيحة

الموعظة عبارة عن التذكير بالنعم والطيبات المرتبط برقة القلب، حقيقة أن كل نصح يترك أثراً في نفس الإنسان المخاطب، ويخوفه من الاعمال السيئة ويرغبه في الأعمال الصالحة يسمى وعظاً وموعظة، وليس معنى هذا أن جميع المواعظ يجب أن يكون لها تأثير في نفس الإنسان المخاطب، بل المراد هنا أنها تؤثر في القلوب التي لديها استعداد لها؛ فالوعظ هو النصح والتذكير بعواقب الأمور، والواعظ هو من يمنع المخاطب عن الدخول فيما منعه الله منه وحرّمه عليه، ويدعوه الى ما أمر الله به ورغب فيه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «انتفعوا بموعظة الله وألزموا كتابه، فإنه أبلغ الموعظة وخير الأمور في المعاد عاقبة» (الكليني: ج٣ ص٤٢٣).

إن كتاب الله عز وجل هو أحسن القصص وأبلغ الموعظة، فذِكرُ الله تعالى في القرآن الكريم وهو يحث على الاستماع والإنصات للقرآن الكريم: «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (الاعراف: ٢٠٤).

يحتوي القرآن الكريم على الكثير من المواعظ من وعد ووعيد وضرب للأمثال وتذكير بالقرون الماضية وأحوال الأمم السابقة وآراء محمودة تجذب القلوب القابلة الى سبيل الحق، فالموعظة كهف وحصن وملجأ لمن وعاها وحفظها وتأثر قلبه وعقله بها فهي تدفع شهوات النفس ومكائد الشيطان وتمنع عن السلوك في طريق البغي وموارد العصيان والطغيان الى صراط الحق وطريق الجنان.

وقال تعالى: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الْغَافِلِينَ» (يوسف:٣).

وقال تعالى: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى...» (الحشر: ٢١).

وقال تعالى: «كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ...» (إبراهيم: ١)

الله سبحانه هو وأحكم الوعّاظ، فهو سبحانه لم يعظ أحداً بمثل هذا القرآن، فهو حبل الله المتين، وفيه ربيع القلوب، وينابيع العلم، وبه جلاء القلب.

**المرحلة الثانية:** مرحلة تطهير روح الإنسان من مختلف أنواع الرذائل الأخلاقية:

بعد أن وعظ القرآن الكريم الإنسان بدأ بالمرحلة الثانية ألا وهي مرحلة غسل القلوب من تبعات الذنوب والصفات السيئة القبيحة وذلك من خلال العلم الذي هو نور يستضيء به الإنسان الى طريق الحق فالقرآن دواء لإزالة كل جهل.

ويوضح أمير المؤمنين عليه السلام هذه الحقيقة في نهج البلاغة، حيث قال: «فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق، والغي والضلال» (خطبة: ١٧٦)، وهذا يبين أن القرآن وصفةٌ ربانية لتحسين حال كلا من الفرد والمجتمع، وصيانتهم من كافة أنواع الأمراض الأخلاقية والاجتماعية، وهذه الحقيقة نسيها المسلمون، وبدل أن يستفيدوا من هذا الدواء الشافي أخذوا يبحثون عن الدواء والعلاج في المدارس الفكرية الأخرى، وجعلوا هذا القرآن العظيم كتاب للقراءة فقط، لا كتاب للتفكر والعمل.

وهذه المرحلة هي مرحلة علاج للإنسان فلا بد له من أن يعالج ما في قلبه من أمراض أخلاقية واجتماعية لكي يتهيأ الى المرحلة الثالثة من مراحل التهيئة.

**المرحلة الثالثة:** الهداية التي تجري بعد مرحلة التطهير

إن الإنسان عندما يتطهر من الذنوب ويزول عنه الجهل تنفتح أمامه أبواب المعرفة، وبواسطة المعرفة يبدأ الانسان بتشخيص الطريق الصحيح من السقيم، فيعرف الحق وأهله فيبدأ في القيام بالأعمال الصالحة التي بيّنها القرآن الكريم قال تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ.....» (الاسراء:٩).

فتحت ظل القرآن الكريم ورعايته يسير الإنسان نحو التكامل والرقي في كافة الجوانب الإيجابية.

**المرحلة الرابعة:** المرحلة التي يصل فيها الإنسان إلى أن يكون لائقاً لأن تشمله رحمة الله تعالى ونعمته.

إن هذه المراحل الأربعة تتم جميعها في ظل هدي القرآن الكريم وتوجيهاته. فالقرآن هو الذي يعظ ويهدي الانسان، وهو الذي يغسل قلبه من تبعات الذنوب والصفات السيئة

القبيحة، وهو الذي يشعل نور الهداية في القلوب، وينزل النعم الإلهية على الفرد والمجتمع.

فبقوله تعالى: (رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ) بين سبحانه أن القرآن الكريم هو نعمة لمن تمسك به وعمل بما فيه، القرآن موعظة ورحمة لجميع الخلق وخص هنا المؤمنين بالذكر دون غيرهم لأنهم هم الذين ينتفعون به.

## حقيقة تكامل النفس

إذا لم يمر الانسان بمراحل من تكامل النفس فإنه لن يتمكن من فهم وإدراك حقيقة ومعنى رقي النفس وتكاملها. ومثل هذا نراه في الآمور المحسوسة فالإنسان الذي يفقد بعض الحواس منذ الولادة كالذي يولد فاقد البص مثلا لا يدرك مفهوم الألوان ومهما حاولنا إيصال المفهوم له لا فائدة من ذلك فلا يمكنه فهم ما هو اللون الأخضر او اللون الأحمر مثلا.

فلتوضيح شيء معلوم لدينا من خلال الوصف لشخص آخر لابد أن يكون هذا الشخص قد أدرك سابقا نموذج من هذا الشيء أو شيء شبيها له، وإلا فإن لم تكن لهذا الشخص تجربة وإن كانت بسيطة في ذلك المجال فلن يستطيع فهم وصفنا وإدراك المراد منه. كذلك مسألة تكامل النفس فالإنسان الذي لم يدرك مرتبة من كمال النفس لن يستطيع فهم شيئا حتى وإن قمنا بتكرار الحديث معه عن عروج الروح وسيرها في الملكوت والقرب من الله مثلا ويمكن أن تأنس روحه بمثل هذا الحديث لكنه لن يفهم منه شيئاً، فلابد من أن يكون قد استمتع مسبقا بلذة اقل كي يمكن وصف وايصال مفهوم لذة أسمى منها له، فيقال له: ان هذه اللذة أسمي وأرقى من تلك اللذة التي كنت تعرفها.

فلربما لا معنى لـلذة كـ "لذة المناجاة" او " لذة الأنس بالقرب من الله" مثلا لدى أشخاص عاديين مثلنا وذلك بسبب عدم وجود مثل هذه اللذات في مداركنا من قبل.

فاللذة مفهوم عام له مصاديق متعددة ونحن ندرك المفهوم العام للذة لكننا لا نحيط علما بجميع مصاديقها. فربما لم يذق الكثير منا ولو لمرة واحدة في حياته لذة المناجاة أو الانس بالله، حتى لو كانت ضعيفة لذلك لا يمكننا الوصول الى حقيقة هذه اللذة وكنهها، ولكن يمكننا معرفتها بوجه عام كما يمكننا العمل والسعي للوصول اليها واستشعارها في أنفسنا. وكما توجد لذات تتعلق بالأمو المادية توجد كذلك لذات تتعلق بعالم المعنى.

يستخدم القران الكريم هذا الأسلوب لتشجيع الناس ودفعهم لاكتساب نعم الجنة فالإنسان لربما ذاق من شراب الدنيا وعرفه لذلك يقول الله في كتابه العزيز: «وأنهار من خمر لذة للشاربين»(محمد: ١٥) غير أن خمر الدنيا ضار يسبب السكر وذهاب العقل وهنا يأتي القرآن ويصرح بأن شراب الجنة ليس كذلك «لا يصدعون عنها ولا ينزفون»(الواقعه: ١٩).

**النفس والقرب من الله**

يستخدم مفهوم القرب والبعد في الأمور المادية كما يستخدم في الأمور المعنوية. فهناك معنى لـ "القرب" و "البعد" في الأمور الحسية والمادية، فعندما نقول إن شخصا ما قريب من شخصا اخر على سبيل المثال فإننا لا نقصد بذلك القرب المكاني وانما نقصد به منزلة هذا الشخص.

نرى لإنسان يشعر بالفخر لقربه من الشخصيات الكبيرة سواء كانت كبيرة في المرتبة العلمية أو المنصب المادي، فنجده مثلا يفخر ويشعر بالسعادة لقربه ممن يحتل مكانة اجتماعية مرموقة. كذلك هنالك من يشعر بالفخر والسعادة عندما يحظى بالعناية الإلهية فإذا ما نظر له الخالق طار فرحا أوليس القرب من الخالق مدعاة للفخر وأي فخر؟ فهو الخالق المبدع المالك لكل شيء وهو الجمال المطلق.

إن الفخر الحقيقي هو القرب من مثل هذا الوجود، والسعادة الحقة هي ان يمسح هذا الوجود بيد العناية على الانسان ويكرمه بلذة مناجاته والقرب منه.

من هنا نرى أن القرب من الله عز وجل هو المحور للمعارف التوحيدية، هذ المحور الذي أكدت عليه جميع الأديان السماوية. فقد ركز الأنبياء على مر الأزمان والدهور على هذا المفهوم فنرى هذا المفهوم يرد في ادبيات الكفار والمشركين أيضا "ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى" هذا ماورد على لسان مشركي مكة فحتى عبدة الأوثان كانوا يسعون إلى القرب من الله لكنهم سلكوا الطريق الخطأ فلقد ظنوا بما أنهم لا يستطيعون رؤية الخالق عزوجل ولا التواصل معه فإنه لابد من الارتباط بالأصنام المحسوسة. غافلين بذلك عن إمكانية رؤية الله عزوجل، حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: لم أكن أعبد ربا لم أره. فالله سبحانه لا يرى بالعين الباصرة وانما يرى سبحانه بعين البصيرة، لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان.

**الكمال النهائي للإنسان " القرب من الله"**

قال تعالى: «ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها»(الشمس: ٧-١٠)

يستفاد من الآيات أن في نفس الانسان قابلية للرقي والكمال واستعدادا للسقوط والانحدار فإن قام بتزكيتها فإنها ترتقي وتتكامل وإن قام بتدسيتها فإنها تضعف وتتسافل. والانسان دائما ينشد الكمال بشكل فطري فهو يسعى بشكل فطري لأن يزداد كمالا يوما بعد يوم فلا نجد أنسان يرغب في أن يتوقف تكامله ورقيه. فإذا علم الانسان بأن هناك إمكانية لبلوغ مرتبة من الكمال فإنه يتمنى أن يبلغها ويسعى لها وهذه الرغبة الفطرية أودعها الله سبحانه وتعالى في الانسان وهي من أعظم النعم الإلهية. تصوروا لولا وجود هذه الرغبة لدينا لنطوينا على أنفسنا ولسيطر علينا الخمول والكسل. فهذه النزعة نحو الكمال هي المحرك والدافع للعمل وان غاية الباري عز وجل من خلق الانسان هي أن يتكامل بإرادته لذلك أودع في نفسه مثل هذه النزعة.

قد يخطئ الانسان أحيانا عند تشخيص مصداق الكمال في مقام العمل. ومن الطبيعي ألا نرى انسان يوظف طاقته أو أمواله أو امكانياته وقابلياته كي يلقي نفسه بيده في التهلكة ويتجه نحو مزيد من النقص، بل العكس فان جميع الجهود الإنسانية تبذل من أجل التقدم والتكامل، فالموجود قد يخطئ أحيانا في تحديد المصداق وتمييز ما يكامله مما يؤدي به الى الهاوية. ولغرض حماية الانسان من الأمور التي تؤدي إلى انحطاطه وهب الله سبحانه له العقل. والعقل مرشد للإنسان لكنه لا يجدي نفعا من دون المدد والعون من الله عزوجل. من هنا بعث الله الأنبياء ليبينوا للناس الطريق الصحيح. فنجد الأنبياء يستخدمون وسيلتي "التبشير" و" التنذير" لغرض اثارة الحوافز لدى الناس من أجل سلوك الطريق الصحيح القويم والابتعاد عن الهاوية: «فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين». (البقره: ٢١٣)

هناك مصاديق واضحة للكمال لا يشوبها أي يشك والعلم أحد هذه المصاديق، فالجميع يعلم أن العلم كمال وحسن والجهل نقص وسيء ولا أحد يشك في ذلك ومن هنا فإن الناس قد جبلوا على حب العلم وطلبه لأنهم كلما ازدادوا علما ازدادوا كمالا وجمالا. ولا نجد انسان يطلب الجهل، بل العكس فهو يبتعد عنه ما استطاع.

القوة كالعلم أيضا ومن المعروف للجميع أن القوة كمال والضعف عجز ونقص. وليس هناك من يرغب بأن يكون عاجزا أو ضعيفاً، فالناس يطلبون القدرة والقوة وهما أكثر صفات الله الكمالية قطعا ويقينا.

ومن الأمور التي ينشدها الانسان أيضا بفطرته " السعادة" فالإنسان مجبول على حب السعادة فلا نجد أحد يحب البؤس والشقاء وليس هنالك من يرغب بالألم والعذاب، وجل ما يسعى إليه الانسان هو الطمأنينة والسكينة، وبناء على هذا فقد جعل الله عز وجل في الانسان النزعة نحو الكمال من ناحية والنزعة نحو مصاديق الكمال من الناحية الأخرى.

## القرب من الله الكمال النهائي للإنسان

ما هو الكمال النهائي والحقيقي للإنسان؟ ومتى نستطيع أن نقول بأن وجود الانسان أصبح متكاملا حقاً؟ تبين تعاليم الأنبياء والرسل أن تكامل الانسان في القرب من الله عز وجل وهذا ما علمه الأنبياء والرسل لأتباعهم ويمكن اعتباره أمرا فطرياً. وهذا ينطبق على الانسان المؤمن والمشرك أيضا فالمشرك الذي يعبد الوثن يطلب القرب لكنه أخطأ المسار كما ذكرنا سابقا.

لقد اعتدنا استخدام مفهوم القرب من الأمور المادية ومرادنا من ذلك القرب المكاني او الزماني لكن هل هذا القرب ممكن أن تصوره فيما يتعلق بالله عز وجل؟ فعندما نقول اننا نقترب من الله فهل نقصد القرب المكاني أو الزماني منه سبحانه؟

من المعروف أن لا معنى للقرب والبعد الزماني والمكاني فيما يخص الله سبحانه وتعالى. فلا علاقة لله عز وجل بالمكان أو الزمان فالبعض يتصور ان الله في السماء وكلما ازداد ارتفاعا في السماء ازداد قربا من الله وهذا التصور ناتج عن ضعف المعرفة بالله عز وجل ومثل هؤلاء عندما يتحدثون عن ذلك يشيرون إلى معراج الرسول صلى الله عليه واله وسلم تأييدا لكلامهم حيث أرتقى الله برسوله الى السماوات ثم عرج به من هناك حيث يقول تعالى:" ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى" فيقولون أن القرآن صور البعد بعدا مكانيا وصرح أن النبي صلى الله عليه واله فد اقترب من الله بحيث كانت المسافة بينهما أقل من قوسين.

ويعد هذا الكلام باطلا في ظل الأدلة القطعية فيما يخص عدم جسمية الله وعدم محدوديته بزمان أو مكان. ومن المتيقن أن المراد من القرب في هذه الآية ليس بالقرب المكاني أو الزماني و انما هذا التعبير من قبيل " تشبيه المعقول بالمحسوس".

## حقيقة القرب الى الله

هناك معنى آخر للقرب من الله قد يبدو أنه تعريفا صحيحا ودقيقا في الوهلة الأولى لكنه لا يخلو من الاشكال، وهو: إن وجود الانسان ناقص ويعاني من حالات نقص وضعف كثيرة في بداية خلقه وعلى امتداد حياته كلما عمل الانسان على تبديل حالات الضعف والنقص وحقق لنفسه المزيد من الصفات الوجودية ازداد قربا من المولى عز وجل لأن الله هو الكمال المطلق. بمعنى ان الانسان كلما ازدادت حصته من الوجود كلما زاد قربا من الله فعلى سبيل المثال كلما قويت صفة العلم وهي من الصفات الوجودية كلما زاد الانسان قربا من الله.

الرد عليه: ليست جميع الصفات الوجودية تؤدي الى التقرب من الله، فزيادة وزن الجسم من الصفات الوجودية فهل إذا زاد وزن الانسان مثلا زاد قربا من الله؟ كذلك امتلاك القوة البدنية الجسمانية أيضا صفة وجودية، فهل اذا اصبح الانسان بطلا في رفع الاثقال يصبح أكثر قربا من الله عز وجل؟ حتى ما يتعلق بالعلم نجد أن طلب وتعلم بعض أنواع العلم حرام أو محل شبهة فهل تعلم مثل هذه العلوم تزيد من قرب الانسان من خالقه؟

من هنا نرى أن هذا المعنى المطروح من قبل البعض ليس دقيقا وليس صحيحا أيضا. وانما نجد أن التفكر في الروايات الواردة بخصوص القرب من الله هو الذي يساعد الانسان على إدراك المعنى الحقيقي للقرب من الله عز وجل.

توجد رواية مشهورة في أصول الكافي وقد تحدث عنها الشيخ البهائي في كتابه "الأربعين" وهذه الرواية تتضمن معارف سامية وقد أهتم بها علماء الأخلاق كثيرا، وهذه الرواية كما ورد نصها نقلا عن المرحوم الكليني في أصول الكافي ورواها الامام الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه واله كما يلي:

«قال الله عز وجل: من أهان لي وليا فقد أرصد لمحاربتي وما تقرب إلي عبد بشيء أحب الي مما افترضت عليه وانه ليتقرب الي بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه

الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ان دعاتي أجبته وإن سألني أعطيته» (أبو لحية، دون التاريخ، ج١، ص ٩٩)

هذه عبارات والفاظ سامية جدا حيث يصبح الله هو سمع وبصر ولسان ويد هذا العبد فبأي طريق يصبح الله عز وجل سمع وبصر هذا العبد؟

لقد وردت تفسيرات كثيرة لهذا الحديث، والمسلم به أن المراد منه ليس المعنى الظاهري لهذه الالفاظ، حيث إن المعنى الظاهري هو أن الله عز وجل يصبح يد وعين وأذن ولسان هذا العبد وهذه مخلوقات مادية محسوسة ومظاهر وضيعة ضعيفة من سنخ وجود الانسان بينما الله تعالى شأنه موجود غير مادي لانهاية لعظمته ولا حدود له.

ان أحد التفاسير والمعاني الصحيحة لهذا الحديث هو: إن هذه الالفاظ انما هي كناية عن شدة القرب من الله، قرب العبد من خالقه، هذا العبد الذي وصل الى مرتبة وكأن الله معه في كل مكان وزمان. ومثل هذا العبد هو موضع عناية خاصة من الله في كل أن وحين. إن عنايات الله الخاصة محدودة جدا بالنسبة للناس العاديين البسطاء غير أن لطف الله يشمل هذا العبد دائما.

لا نجد أحد يخلوا من العنايات الخاصة للبارئ عز وجل. فثمة موارد لم يكن الانسان مخطط لها لكن الأعمال دبرت فيها كما يشاء أو أفضل مما يشاء ويتوقع وهناك الكثير من الأمثلة عليها.

اننا نقرأ في دعاء عرفة: الهي أغنني بتدبيرك لي عن تدبيري وباختيارك عن اختياري، لا يعني هذا الدعاء أن يتكاسل الانسان وأن لا يفكر ويخطط لأموره وشؤونه بل في الحقيقة هو طلب لتشمله تلك الرعاية الخاصة من المولى عز وجل، وذلك قوله تعالى:«ومن يتوكل على الله فهو حسبه» (الطلاق: ٣)

فالعبد المتوكل على الله وإن كان يسعى بنفسه لإنجاز اعماله لكنه مؤمن ومعتقد في أعماق نفسه بأن الله خالقه وهو الذي يصلح الأمور وينجز المهام ولا جدوى أو فائدة

من جهوده دون مشيئة الله، فهذا الانسان عندما يقول:" وأفوض أمري إلى الله" (غافر: ٤٤ ) فإنه يودع أموره كلها الى المولى عز شأنه.

ولعل المراد من هذه الرواية التي نقلناها عن أصول الكافي ان العبد قد وصل الى مرتبة بحيث يرى ان كل تأثير وتأثر انما يتم بمشيئة الله سبحانه وارادته عز وجل. هكذا انسان يرى ويشعر بكل ذرة في وجوده بان لله حضور في افعاله.

وأخيرا نجد أن هذا الحديث يقول بأن العبد إذا وصل لهذه المرتبة يكون دعاؤه مستجابا: إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته.

**القرب أم آثاره**

ما ذكرناه ليس القرب وانما آثار القرب، ان أثر القرب هو ان العبد اذا أراد شيئا فان الله سبحانه يحقق له ما أراد. إذا كان هذا هو الأثر فما هو المؤثر؟ لقد اكتفوا بذكر آثار المؤثر لأنه لا يمكن أن يوصف. هذا هو القرب الذي دفع بآسيا زوجة فرعون بأن تدعوا الله " رب ابن لي عندك بيتا ي الجنة" لم تكن آسيا امرأة عادية، بل كانت مؤمنة عالمة بحيث أنها ثبتت على الايمان على الرغم من التعذيب الذي تعرضت له.

بإمكان الانسان ان ترتقي روحه وتصل الى الكمال بحيث تصبح كالشعاع المتصل بنور الوجود. لم يعد هذا الانسان مستقلا بذاته فهو يشعر بأن ذاته وكيانه مرتبطين بشكل كامل بذلك الوجود المقدس، فيقال لمثل هذه المرتبة - كما يصطلح لدى العرفاء- " مقام الفناء" المرتبة التي يكون فيها الانسان مرتبط بخالقه وكأن "الأنا" لم يعد لها وجود.

فنجد امير المؤمنين وائمة الهدى عليهم السلام في المناجاة الشعبانية يطلبون هذه المرتبة من الله سبحانه وتعالى، المرتبة التي يكون فيها الانسان مطمئنا "فتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك" نعم هذه هي السعادة وهذا هو الفلاح الذي يناله من يزكي نفسه " قد أفلح من زكاها" وهذا هو مقام القرب من الله.

## غاية التكامل

ان لروح الانسان كما ذكرنا استعداداً للتكامل كما لديها استعداداً للانحدار ايضا " فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها" وان تكامل العبد في قربه من خالقه جل شأنه. فكلما ازداد العبد رقيا في مراتب القرب كلما تزداد روحه تكاملا في نفس المستوى. إن أسمى مراتب القرب هي أن يصل العبد الى منزلة بحيث ألا يرى حجاباً بينه وبين الله تعالى. بحيث يلتحق ويرتبط الانسان بنور الله وينقطع عن كل ما سواه عز وجل.

ولا يتسنى إدراك حقيقة هذه المرتبة للناس العاديين امثالنا، وهو ألا يرى الانسان استقلالية لنفسه، بل يستشعر بكامل التبعية لله خالقه. ويدرك أن الوجود الحقيقي لله ويلتمس فقره الوجودي امام الله تعالى، فالله هو الغني بالذات وكل شيء دونه عدم.

هذه المرتبة هي أعلى مراتب وجود الانسان وهي الوقت نفسه مرتبة "الفناء" الكامل للإنسان في الله.

ان أشد وأقوى مرتبة وجودية للإنسان هي عندما يدرك انه لا استقلالية له وهو متعلق وتابع تماما لله، فإدراك غاية التبعية هي بلوغ قمة الكمال الإنساني.

إذا ما وصل الانسان لمثل هذه المعرفة وهي أن يطلب حاجته المطلقة لخالقه حينها يكون قد وصل الى أعلى مراتب الكمال الإنساني وهذ المعرفة لا تحصل الا عن طريق العلم الحضوري.

## طريق الوصول إلى مقام التعلق

كيف يتمكن الانسان من الوصول إلى أعلى مراتب القرب من الله ويصل إلى التعلق به سبحانه " معلقة بعز قدسه"؟

يستفاد من الآيات والروايات أن هناك طريق واحد لبلوغ مثل هذا الكمال " العبودية"، قال تعالى: «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» (الذاريات: ٥٦). فاذا عبد الانسان خالقه فانه يكون بذلك قد وصل الى الهدف النهائي الذي يريده الله من خلق الانسان.

والعبادة هنا تعني أن يقوم الانسان بكافة الاعمال والتصرفات الاختيارية بدافع الطاعة لله ومن أجل رضاه والتقرب منه سبحانه. هذا هو الطريق القويم الأوحد وما عداه فهو طريق الشيطان والضلال:" ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذ صراط مستقيم" فالصراط المستقيم الذي يوصل الانسان الى الكمال هو طريق واحد لا أكثر وهو العبادة " أن اعبدوني" وإذا لم يكن لعبادة الله فهو سبيلا لعبادة الشيطان.

فاذا أراد العبد الوصول إلى أعلى المراتب وأن يكون مؤهلا لتلقي الفيوضات الالهية فان طريقه الأوحد هو أن يكون متبعا لأوامر الله ويتحرك وفق مشيئته سبحانه وارادته.

## التأسيس القرآني لسير الإنسان نحو الكمال

يجب على الانسان أن يمتلك دور الموجّه المستفيد من القوى الإنسانيّة الخاصّة التي يمتلكها، وأن يقوم عبر نشاطاته وأفعاله الإرادية بتحريك واستغلال كلّ الطاقات الداخلية والخارجية في الطريق الصحيح، بل وتوجيهها نحو الهدف والكمال النهائيّ فلا يمكن أن يكون الإنسان مجّرد متفّرج على العوامل الطبيعيّة والاجتماعيّة والتضادّ بينها فقط.

إنّ القوّة العقليّة هي إحدى الطاقات الإنسانيّة التي يمكنها أن تقود الإنسان لتحقيق هذا السعيّ الموّجه، ولتقويتها الأثر الهامّ في السير التكامليّ للإنسان، حتّى أنّ سقراط اعتبر أصل الفضيلة هو العقل والعلم والحكمة، إلاّ أن أرسطو أشكلَ عليه بأنّه لا يمكن اعتبارهما أصل كلّ الفضائل لأن الإنسان الذي يمتلك علماً وحكمة ولا يعمل بهما ليس واجداً للفضائل الأخلاقية.

إن القوى الإدراكيّة والهدايات الإلهية السماويّة والأنوار فوق العقليّة لا تستطيع بنفسها أن تحرّك الإرادة ولا يمكنها أن تضمن وصول الإنسان إلى الكمال المطلوب: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ..» (الأعراف:١٧٥-١٧٦).

والضّامن لسّعادة الانسان هو تقهقُر النَّزَعَات المنحطّة النفسيّة والشيطانيّة، والعبوديّة لله تعالى، وفي الوقت نفسه الدور المهم للقوة الإنسانيّة المفكّرة في توجيه الإرادة، فهذه القوة هي نفسها التي تساعد الانسان على تهيئة مقدّمات الاختيار والتنظيم والتوجيه لها.. وعلى هذا يجب على الانسان دائماً أن يشخّص السبيل في ظلّ هدايات العقل، ويهيّئ نفسه لتقبّل الأنوار الإلهيّة.

إنّ قوّة العقل لها أهميّة كبرى في تشخيص الهدف ومعرفة طريق الحق، إلاّ أنّها لا تكفي لمعرفة جزئيّات هذا الطريق والطروح الدقيقة، ومن هنا يحتاج الانسان إلى الوحي والاستعانة بنُظمه الشاملة.

فمن الضروري جدا تقوية التصوّر الديني وتوسعة الوعي النابع من المصادر الدينية الحقة، وأيضا تقوية الإدراك الفطريّ بواسطة التوجّهات القلبيّة والتمرّس في مجال تركيزها عبر العبادات المختلفة وذا هو أشدّ العوامل تأثيراً للوصول الى التكامل الحقيقيّ. إنّ معرفة كلّ هذه الحقائق انما تتم ببركة العقل والتفكير العقلانيّ السليم.

## توجيه النفس نحو التزكية

ماهي الأعمال التي يجب القيام بها لكي تتوفر لدى الانسان المقدّمات الازمة لإثارة المتطلّبات الإنسانيّة الساميّة والميل للوصول إلى مقام القُرب الإلهيّ؟ وكيف تقوى هذه المتطلّبات والميول وتغلب على غيرها؟

تتم اثارة أي ميل عن طريق بعض التفاعلات داخل البدن كما قد تتم الاثارة والتوعية على أثر التماس مع المواد الخارجية وقد تتم أيضا نتيجة النشاطات النفسية التي تتحرك بدورها بواسطة المحركات الخارجية.

اما الغرائز فتثار عادة بواسطة العاملَين الأول والثاني، والحكمة من كون إثارتها غير منوطة بالفعّاليات الشعورّية للإنسان فتكمن في أنّ الحياة الفردية والاجتماعيّة للإنسان في هذا العالم منوطة مباشرة بفاعليّة هذه الغرائز، فإذا كان عملها منوطاً بإرادة الإنسان واختياره فقد تتعطّل على أثر غفلته أو أفكاره المغلوطة، وحينئذ تنعدم الأرضيّة المساعدة للسير التكامليّ، ولكنّه بعد توفّر الأرضيّة المساعدة يصل الدور للنشاط الإرادي باتّجاه الكمال، ولأنّ التكامل الحقيقي للإنسان إرادي فكلّما كانت دائرة الاختيار الحرّ أوسع كان إمكان التكامل الإراديّ أكثر، ومن هنا فإنّ إيقاظ مسيرة إشباع الشّعبة الثانية من الغرائز أُوكلت إلى الإنسان بشكل كبير لكي يوفّر بدوره المقدّمات اللازمة لتحقيق النتائج التكامليّة. فعندما تصبح حاجة مّا فعلية في الإنسان بحيث تُشبَع هذه الحاجة فتَحصل لذّة أو يرتفع ألم، تحصل النفس على توجّه أكبر إليها، وفي المرحلة التالية تظهر تلك الحاجة لكن بشكل أشدّ إلحاحاً. وهكذا، ونتيجة التكرار، تَأنس وتألف بها النفس وتتعلّق بالموضوع الخارجيّ الذي يتعلّق بهذا الفعل، ويشكّل بنحوٍ ما وسيلةً لإشباع تلك الحاجة، وفي مثل هذه الحالة نقول إنّنا نحبّ هذا الفعل أو الشيء أو الشخص، ولازم حبّنا هذا هو توجّه النفس المستمرّ للمحبوب والقيام بالأعمال المناسبة له، فإذا أردنا أن نعبّئ كلّ قوانا في سبيل الوصول إلى هدف معيّن، فإن علينا أن نسعى لتحقيق استمراريّة توجّه النفس للهدف وأُنسها به. والتَّمَركزُ في خطّ واحد مشروطٌ بعدم التوجّه إلى الجهة المخالفة وعدم الالتفات إلى أيّ مطلب آخر، بل تُسَخّر كلّ الغرائز

لخدمة الميل الأعلى والمتطلّب للكمال، وجعل إشباعها تابعا الى إشباع هذا الميل العالي.

## توجيهات معنوية من العلامة اليزدي

التوفيق في هذا العمل يتوقف على البرنامج العمليّ المشتمل على السعي الإيجابيّ والسلبيّ المعيّن في مجال تقوية الميل نحو الكمال وعبادة الله تبارك وتعالى، وأهمّ الموادّ الإيجابيّة في هذا البرنامج هي كما يلي:

**١ - العبادة:**

أ) أداء الصَّلوات الواجبة في وقتها، مع حضور القلب، والإخلاص الكامل: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ» (المؤمنون:٢).

ب) تخصيص وقت معين للتوجّه القلبيّ إن أمكن، بأن يكون ذلك في وقت ومكان مناسبَين: «وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً..» (الأعراف:٢٠٥). والاستدامة على هذا العمل توجب أُنس القلب بالله، والحصول على لذّة المناجاة مع الخالق سبحانه، والبعد عن اللّذائذ المادّية.

ج) الإنفاق والإيثار، فهما أفضل الوسائل للإعراض عن اللّذائذ الدنيوّية والزّهد فيها وتطهير النفس:

- «.. وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الحشر:٩).

- «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ..» آل عمران:(٩٢).

- «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا..» (التوبة:١٠٣).

إنّ الصلاة والإنفاق يُكمّل بعضهما البعض الآخر، وربّما هذا هو سرّ وجود تقارن بينهما في القرآن الكريم: «.. وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا» (مريم:٣١).

**٢- التفكّر:**

وَلْنُخَصّص كلّ يوم مقداراً من أوقاتنا للتفكير في: صفات الله عزّ وجلّ، والآيات الإلهيّة، وهدف الخِلقة، والنِّعَم المتوالية غير المتناهية منه تعالى، وكذلك في تشخيص السّبيل الصحيح، وطول المسير، وقلّة الوقت والطاقة، وكَثرة الموانع، وسُخف الأهداف الدنيويّة المحدودة، وكَون لذائذها مشوبة ومسبوقة وملحوقة بالآلام والمصائب، وَلْنُفكِّر أيضاً في كلّ الأشياء التي تُشجِّع الإنسان في طَيّ طريق العبوديّة وتمنعه من عبادة الذّات والدنيا: «.. إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الرعد:٣).

**٣- قراءة القرآن الكريم:**

ولْيَكن لنا برنامج يوميّ لقراءة القرآن الكريم، بتوجّه، وتدبّر، وتمعُّن. ومطالعة الروايات، والمواعظ، والكلمات المَليئة بالحكمة، والأحكام الفقهيّة، والتعليمات الأخلاقيّة، ليبقى الهدف وسبيله الصحيح ماثلاً في أعماقنا، ولتَتِمّ توعية حُسن طلب الكمال وتذكّره دائماً: «وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» (القمر:١٧).

**الجوانب السلبية التي ينبغي على السالك نحو الكمال اجتنابها**

أهمّ الجوانب السلبيّة التي يجب الحذر منها هي ما يلي:

**١- الإسراف في إشباع حاجات البَدن:**

يجب علينا عدم الإسراف في إشباع اللذائذ المادّيّة التي تُوجب أُنس النفس باللّذّات الحيوانية الشهوانية، ولابد أن نسعى لكي يكون الباعث على الاستفادة من النِّعَم الدنيويّة هو تهيئة المقدّمات للسَّير، ونعني بذلك القوة والنشاط البدنيّ للعبادة والشّكر للمنعم، ويعد الصّوم، وقلة الأكل والكلام، والنوم، مع رعاية الاعتدال وحفظ السلامة، أجزاء لهذا:

- «وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» (المؤمنون:٣).

- «.. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ..» (البقرة:١٨٤).

**٢- إطلاق العنان للخَيالات:**

يتوجّب علينا السيطرة على القوى الحسيّة والخياليّة التي يمكن أن تكون منشأً للميول الحيوانيّة الشهوانية، وبالخصوص العين والأُذن فلابد من منعهما من رؤية المناظر الشّهوانية وسماع الأصوات الباطلة المُلهية، وبشكل عامّ منع النظر عن كلّ ما لا يرضى الله سبحانه وتعالى: «..إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» (الإسراء:٣٦).

**٣- الانحراف الفكريّ:**

لابد لنا من صيانة تفكيرنا عن مهاوي الانحراف الفكريّ، وأن تمتنع عن المطالعة والبحث في الشُّبهات التي لا نستطيع الجواب عليها، وإذا ما طُرِحَت أمامنا مثل هذه الشبهات أو سمعناها يجب علينا السعي لتحصيل الجواب المُقنع عنها: «وَقَدْ نَزَّلَ

عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا» (النساء:١٤٠).

وعن الإمام الباقر عليه السّلام: «مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَه، فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ فَقَدْ عَبَدَ اللهَ، وإِنْ كَانَ النَّاطِقُ يُؤَدِّي عَنِ الشَّيْطَانِ فَقَدْ عَبَدَ الشَّيْطَانَ».

**٤- التّسرُّع والإفراط:**

لابد عند تنظيم هذا البرنامج وتنفيذه من رعاية أصل التدرّج والاعتدال، بمعنى عدم تحميل أنفسنا ما لا تتحمّله، إذ أنّ ذلك قد يؤدّي إلى العصيان وعدم الطاعة من قِبَل النفس، كما يمكن أن يسبب لنا أضراراً بدنيّة أو روحيّة لا تُجبَر، وعلى هذا فمن الأفضل اخذ المشورة من شخص واعٍ خبير يمكن الاعتماد عليه في وضع مثل هذا البرنامج.

**٥- التّسويف والتَّسَاهُل:**

ينبغي عدم التّسويف والتّساهل في تنفيذ البرنامج والتزام به وعدم التماس الأعذار، لأنّ أثر هذا البرنامج يتوقّف على الاستدامة، فيجب أن نتوكّل على الله تعالى دائما ونلتَمس منه العون والتوفيق.

**النتيجة**

من خلال الدراسة التي قمنا بها توصلنا إلى النتائج التالية:

أولاً: إن روح الانسان لديها استعداد للتكامل إلى جانب استعدادها للتسافل والانحطاط.

ثانياً: إن الكمال مطلب فطري للإنسان.

ثالثاً: إن الطريق الوحيد الموصل للكمال يكمن في معرفة الله عز وجل والقرب منه سبحانه والفناء فيه، فكلما زاد الانسان قرباً من الله كلما ارتقى في سلم الكمال.

رابعاً: إن سلوك هذا الطريق يتوقف على اختيار الانسان ورغبته وارادته.

خامساً: هناك مراحل عدة لتكامل الانسان

سادساً: تحت ظل القرآن الكريم ورعايته يسير الإنسان نحو التكامل والرقي في كافة الجوانب الإيجابية

## المصادر


١. أبو لحية، نور الدين(دون التاريخ)، الإمام الحسين وقيم الدين الأصيل، دارالانوار للنشر والتوزيع، ج١، ص ٩٩

٢. اليزدي، محمد تقي مصباح، (١٩٩٢م)، العودة إلى الذات وبناؤها من جديد، ترجمة الشيخ محمد علي تسخيري، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان: دار الأمير

٣. اليزدي، محمد تقي مصباح، (٢٠٠٩ م)، السير الى الله، ترجمة ماجد الخاقاني، الطبعة الثانية، بيروت- لبنان: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع

٤. اليزدي، محمد تقي مصباح، (٢٠٠١م)، أصول المعارف الإنسانية، اعداد مركز نون للتأليف والترجمة، بيروت- لبنان: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

٥. إبن حجر(١٣٧٩ق)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة.

٦. ابوالحسين أحمدبن فارس بن زكريا(٢٠٠٨م)، مقاييس اللغة، القاهرة، دارالحديث

٧. ابن ابى جمهور، محمد بن زين الدين(١۴٠۵ق)، عوالى اللئالى العزيزة فى الأحاديث الدينية، قم، دار سيدالشهداء، چاپ اول.

٨. فخررازى، محمد بن عمر(١۴٢٠ق)، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، بيروت، دار احياءالتراث العربى، چاپ سوم.

# في رحاب الوحدة والتقارب بين المسلمين

د. محمد أكديد[1]

## الملخص

في هذا المقال توقفنا عند أبرز محطات التواصل بين السنة والشيعة قديما وحديثا، لنعرج على التجربة المغربية، التي توقفنا من خلالها على حب المغاربة لأهل البيت ع ونصرتهم لقضيتهم من خلال تسليط الضوء على عدد من المحطات التاريخية التي عرفت قيام دول علوية بالمغرب كالدولة الإدريسة والدولة الفاطمية، وبمساندة وترحيب من المغاربة الأمازيغ حينها. حيث لازالت الكثير من التقاليد والطقوس والآثار المتواترة عن أهل البيت (ع) ماثلة في عدد من المواقع خصوصا في الزوايا المنتشرة في ربوع المملكة المغربية، والتي اشتهرت بأسماء عدد من الشرفاء العلويين.

من جانب آخر، فقد توقفنا أيضا عند علاقة الجمهورية الإسلامية في إيران بالدول العربية والتي كانت على الدوام متوترة خصوصا مع دول الخليج خلال حرب العراق. حيث تراوحت هذه العلاقة بين مد وجزر خلال السنوات التي تلت هذه الحرب، إلى أن وصلت إلى حد القطيعة خلال الأزمة السورية قبل أن تتعافى وتعود من جديد إلى سكة المصالحة، خصوصا بعد الاتفاق الأخير مع المملكة العربية السعودية والذي توج بوساطة صينية بعد سلسلة من المفاوضات التي أشرفت على إنجاحها أيضا عدد من الدول العربية كالعراق وسلطنة عمان. كما أشرنا إلى بعض أبرز شروط التواصل والتقارب

---

١ . دكتوراة في القانون العام والعلوم السياسية-مختبر العلوم الاجتماعية، جامعة الحسن الثاني، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية عين الشق- الدار البيضاء، البريد الإلكتروني: mohamed.akdid@gmail.com، الهاتف المحمول: ٠٦٢٩٦٨٨٨٤٥ ٢١٢+

بين الشيعة والسنة من أجل تجاوز الخلاف الطائفي واستثمار المشترك بينهم، ولسد الباب أمام مخططات الهيمنة الاستعمارية وتحقيقا للأمر القرآني حيث يقول تعالى في سورة آل عمران-الآية ١٠٣: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا" صدق الله العلي العظيم.

ختاما فإن الرهان على التقريب بين الشيعة والسنة هو رهان على وحدة المسلمين وتقدمهم من خلال التنسيق بينهم على كافة الأصعدة بعد تجاوز خلافاتهم الطائفية واستثمار المشترك بينهم، الأمر الذي سيحول الدول العربية والإسلامية من مطايا للدول الاستعمارية ومشاتل للأجندات المشبوهة إلى رقم صعب ومؤثر في ظل التحولات الكبرى التي باتت تعرفها المنطقة والعالم.

**الكلمات المفتاحية:**

الشيعة، السنة، أرضية مشتركة، الخلاف الطائفي، نبذ الفرقة، الحوار، التعاون الاقتصادي.

**المقدمة:**

يتحد المسلمون على اختلاف مذاهبهم حول الكثير من الشعائر المشتركة، حيث توحدهم الشهادتين كركن أساسي من أركان الإسلام، ويتجهون يوميا في صلاتهم إلى نفس القبلة، وفي رمضان تراهم يترصدون هلاله لصيام هذا الشهر المبارك والقيام بأعماله في تنافس عجيب، كما يتحرون تأدية الزكاة بقيمتها وفي وقتها، وعندما يأتي أوان الحج تجد المسلم السني والشيعي يزاحم بعضهم بعضا في الطواف والسعي والكل

يرفع شعار التلبية، كما يقفون جميعا على جبل عرفة في مشهد يبعث أمل وحدتهم من جديد، ليحتفل الكل بعد ذلك بعيد الأضحى مع الحجاج كل سنة..

ومع ذلك فقد استطاع بعض المتطرفين دفع المسلمين إلى الطعن في دين إخوتهم وتكفيرهم، بل وشهر السلاح في وجوههم خلال السنوات الأخيرة التي شهدت عودة الخلافات الطائفية التي كادت تغير خريطة المنطقة لصالح أجندات استعمارية مشبوهة. فكيف يمكن تدارك هذه الانزلاقات وإعادة تصحيح مسار الأخوة الإسلامية للخروج من بوثقة المواقف والأحكام الجاهزة ووقف هذه الصراعات التي تؤجل اتحاد المسلمين وتطور بلدانهم؟

## ١- من تاريخ التواصل والتقارب بين الشيعة والسنة:

لقد تعايش الشيعة والسنة جنبا إلى جنب في كنف الحضارة الإسلامية المزدهرة، وكانوا حاضرين في كل المجالات والفضاءات. في مواطن الإجتهاد والفتوى، وفي ميادين العلم والأدب، وفي ساحات الجهاد والنضال. حيث تتلمذ عدد من علماء السنة الأفاضل على أيدي عدد من أئمة الشيعة مثل أبي حنيفة النعمان (رض) الذي لازم الإمام جعفر بن محمد الصادق (ع) لسنتين صحح خلالهما الكثير من مواقفه وأحكامه في الفقه والعقيده، وكان يقول: «لولا السنتان لهلك النعمان» يريد السنتين اللتين صحب فيها الإمام جعفر الصادق (ع) لأخذ العلم(الدهلوي، ١٨١٢: ص ٨). وقد شهد له بالأعلمية قائلا: "ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد الصادق".

وكذلك الإمام مالك بن أنس (رض) الذي أخذ الحديث عن الإمامين محمد الباقر وابنه الصادق (ع)، وقد كان يقدمهما ويحبهما كثيرا. ومن أقواله في الإمام الصادق:

اختلفتُ إلى جعفر بن محمد زماناً فما كنت أراه إلاّ على إحدى ثلاث خصال: إما مصلّياً وإما صائماً وإما يقرأ القرآن، و ما رأيته قط يُحدِّثُ عن رسول الله إلاّ على الطهارة، و لا يتكلم بما لا يعنيه، و كان من العلماء العبّاد و الزهاد الذين يخشون الله(خولي، ١٩٥١م: ص ٩٤). كما درس الإمام الشافعي (رض) عند مقاتل بن سيلمان وهو من أكابر علماء الشيعة الزيدية، وكان يقول فيه: «من أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان».

كما أن هناك الكثير من العلماء والشعراء والقادة ممن خلد التاريخ أسماءهم كانوا على مذهب أهل البيت (ع) الذي يدين به الشيعة، كالفرزدق والكميت بن زيد ودعبل الخزاعي وصفي الدين الحلي والأمير أبو فراس الحمداني والشريف الرضي.. ومن الفلاسفة والعلماء ابن سينا وجابر ابن حيان ويعقوب بن إسحاق وأحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه.. ومن القادة التاريخيين المعز لدين الله الفاطمي الذي بنى مدينة القاهرة بمصر واتخذها عاصمة للدولة الفاطمية، كما شيد بها جامعة الأزهر الشريف، والتي فتحت أبوابها لكل المذاهب الإسلامية دون تمييز، والمولى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) الذي لجأ إلى المغرب بعد معركة فخ التي دارت بين الشيعة والعباسيين بالمشرق، وأسس هناك أول دولة مستقلة عن الخلافة العباسية في هذا القطر، وفي عهد الأدارسة بنيت جامعة القرويين التي كانت تعد مفخرة علمية بأرض المغرب، وتعد من أوائل الجامعات في العالم..

## ٢- حلقات التواصل والتقارب في التاريخ الحديث والمعاصر:

ومن أبرز حلقات التواصل بين الشيعة والسنة خلال الفترة الحديثة نذكر محاولات رائد النهضة السيد جمال الدين الأسد أبادي المشهور بالأفغاني، والذي حاول التوفيق بين وجهات النظر المختلفة بين علماء المسلمين بغض النظر عن مذاهبهم واجتهد في السعي من أجل وحدتهم وتجاوز خلافاتهم السياسية والعقدية الضيقة. وخلال فترة الثلاثينيات جرى حوار شيق بين شيخ الأزهر سليم البشري والذي كان يمثل العالم السني آنذاك نظرا لموقع مؤسسة الأزهر الريادي في الفقه والإجتهاد عند السنة، والسيد شرف الدين الموسوي الذي كان يعد من أبرز مراجع الشيعة بلبنان والعالم حينها. حيث توج هذا الحوار بإصدار كتاب "المراجعات" الذي كان له دور كبير في التقريب بين الشيعة والسنة.

يقول الدكتور حامد حفني داود في مقدمة هذا الكتاب: "وليس أدلّ على أثر هذا الكتاب في جيلنا السالف وجيلنا المعاصر، من ظهور جماعة من قادة الفكر في مصر والعراق وايران وغيرها من البلاد الاسلامية دعوا إلى التقريب بين المذاهب"، وقد كان يقصد بذلك جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية التي كانت من بين أبرز ثمار هذا الحوار الهادف والمسؤول.

وخلال فترة الخمسينات عقدت مجموعة من اللقاءات المتواصلة بين فقهاء السنة والشيعة كان من بينهم الشيخ محمد تقي الدين القمني والشيخ محمود شلتوت وأساتذة أجلاء من الأزهر، حيث انكبوا على تدارس نقاط الخلاف الحاصلة بين المذهبين من أجل تجاوزها وبناء أرضية مشتركة للتواصل والاجتهاد، وقد استطاعوا فعلا التلاقي في الكثير من القضايا، ليصدر شيخ الأزهر آنذاك محمد شلتوت فتواه الشهيرة بجواز التعبد بالمذهب الجعفري الذي يدين به أغلب الشيعة اليوم، حيث عد ذلك حينها اعترافاً رسمياً من الأزهر وأهل السنة عموماً بصحة هذا المذهب، كما خصصت كراسي في الأزهر لتدريس هذا المذهب. ولا يفوتنا أن نستحضر في هذا الإطار قول الدكتور محمد

سيد طنطاوي ـ شيخ الأزهر: "أنه لا فرق بين السنة والشيعة وأن كل من يشهد أن لا إله إلا الله فهو مسلم، وأن الخلاف، إن وُجد، فهو خلاف في الفروع وليس في الثوابت والأصول، والخلاف موجود في الفروع بين السنة أنفسهم والشيعة أنفسهم".

ومن أبرز الجهود العلمية التي شكلت أرضية للانفتاح بين العالمين نذكر كتابات الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (ق س) من العراق، والذي استفاد المسلمون بمختلف طوائفهم من أبحاثه القيمة خاصة في الفلسفة من خلال كتاب "فلسفتنا" في مواجهة الأطروحات المادية الليبرالية والإشتراكية، والإقتصاد من خلال كتابي "إقتصادنا" و"البنك اللاربوي الإسلامي" الذي تبنت رؤيته فيما بعد عدد من الدول الإسلامية لإطلاق مبادرة الأبناك الإسلامية، وكذا جهود الشهيد الدكتور علي شريعاتي من إيران في التأسيس للوحدة الإسلامية من خلال كتاباته ومحاضراته القيمة في عدد من الدول الإسلامية، وجهود الإمام المغيب السيد موسى الصدر الذي قام بتعبئة الشيعة والسنة وحتى المسيحيين في حركة المحرومين بلبنان، وأخرج من هاته الحركة أفواج المقاومة اللبنانية (أمل) لصد العدوان الإسرائيلي على البلد ليشعل بذلك شرارة المقاومة اللبنانية، كما أسس لمشروع وطني لازال ماثلا في ذاكرة اللبنانيين إلى اليوم على اختلاف مذاهبهم وأطيافهم، فضلا المبادرات التي قام بها مع عدد من الرؤساء والملوك العرب قبيل اختطافه من أجل التأسيس للانفتاح بين العالمين السني والشيعي. لكن لوثة الجهل والطائفية كانت على الدوام حاضرة[١]. إذ لولا تدخل بعض الطائفيين وأصحاب

١ من الطرائف في هذا الباب أنه عند إصدار هذه الفتوى جاء أحدهم إلى الشيخ محمد الغزالي مستنكرا أمرها، فأجابه سائلا: ماذا تعرف عن الشيعة؟ فسكت السائل قليلا، ثم أجاب قائلا "ناس علي غير ديننا". فقال الشيخ الغزالي رحمه الله للرجل: ولكني رأيتهم يصلون ويصومون كما نصلي ونصوم. فتعجب السائل وقال "كيف هذا؟"، فقال الشيخ "والأغرب أنهم يقرأون القرآن مثلنا ويعظمون الرسول (ص) مثلنا ويحجون إلي البيت الحرام".

المصالح الخفية لإفشال هذا المشروع وتقزيمه لقطع المسلمون أشواطا في طريق التقارب والوحدة ولعم التوافق كل بلاد العالم الإسلامي، ولما عشنا هذه الصراعات والحروب الطائفية التي أعادت المسلمين سنينا إلى الوراء..

### ٣- التجربة المغربية وآفاق التقارب:

تاريخيا، لعبت البعثات العلمية المغربية إلى المشرق وما نتج عنها من احتكاك واتصال مباشر بأئمة أهل البيت (ع) وأخذ مبادئ الدين عنهم دورا كبيرا في تهيئ الأرضية لدى المغاربة للقبول بحاكم علوي عليهم. وخلال فترة حكم الأدارسة للمغرب كان لهم فضل كبير في تعزيز وتعميق الولاء لآل بيت الرسول (ص)، حيث يرى عدد من المؤرخين بأن هذا الأمر سوف يمتد إلى خارج المغرب الأقصى من خلال دولة الأدارسة الحموديين الشيعية التي قامت بالأندلس، والتي تعتبر امتدادا فكريا وعقديا للدولة الإدريسية بالمغرب ونتيجة من نتائج الدعوات الشيعية التي سبقتها(السعداني، ٢٠٠٢: ص١٥٤-١٥٥). كما عرفت منطقة سوس ظهور حركة شيعية تزامنت مع فترة حكم الأدارسة واستمرت مع مرحلة الحكم الفاطمي للمغرب الأقصى تزعم هاته الحركة عبد الله البجلي حيث تبنت المذهب الشيعي فقها وعقيدة(الجراري، ٢٠٠٦، ص ٩٠)..حيث سيستغل الداعية أبو عبد الله الشيعي هذه الأرضية عند وصوله لمنطقة افريقية ببلاد المغرب الأدنى، بالإضافة إلى حالة الضعف والوهن التي كانت تعرفها الخلافة العباسية و سياسات ولاتهم الجائرة في بلاد المغرب (حسن ، ١٩٨٩: ص ٤٣)ليقنع أمازيغ قبيلة كتامة بدعوته الجديدة، حيث سيقضي على حكم الأغالبة فيها، ويقوم بطلب قدوم عبيد الله المهدي من المشرق، والذي سيكون وراء تأسيس الدولة الفاطمية.( خميس وآخرون، ٢٠٠٧ : ص ١١)

بعد ذلك ستعرف بلاد المغرب الأقصى مرحلة حكم دولة ثار خلالها الكثير من الخلاف حول الأسس العقدية والمذهبية التي قامت عليها، وهي الدولة الموحدية التي تأسست بجهود محمد بن تومرت سنة ٤٧١ه، والذي كان يقدم نفسه كعلوي فاطمي من سلالة أهل البيت (ع). وقد سافر من أجل طلب العلم إلى بلاد الأندلس والمشرق كما زار المهدية بتونس، وأرض الحجاز والإسكندرية بمصر، ليستقر به المقام لمدة متوسطة بالعراق واظب خلالها على حضور حلقات العلماء والنظار والاستماع لأصحاب النحل والمذاهب من الشيعة والمعتزلة والأشاعرة. وبعد عودته إلى المغرب نزل بمدينة فاس سنة ٥١١ه وجمع حوله مريدين توجه إليهم بالدرس والوعظ والدعوة له سرا على أنه المهدي الذي تنتظره الأمة،(ضيف، ١٩٩٦: ص ١٧٧) ليتوجه بعد ذلك إلى مراكش ويعقد بها مناظرات مع علماء الدولة المرابطية وينتصر عليهم مما ساهم في زيادة أعداد أتباعه، مما مكنه من إعلان ثورته على المرابطين سنة ٥١٥ه وبأنه المهدي المنتظر،(ضيف، ١٩٩٦: ص ١٨٠) وهي العقيدة التي تتمسك بها معظم فرق الشيعة على اختلاف أمر تعيينها لهذا الشخص. إذ سيستمر الحضور الشيعي في المغرب وإن بشكل باهت بعد الدولة الموحدية التي تسامحت مع بعض معتقداتهم التي استثمرها المؤسس محمد ابن تومرت لإنجاح دعوته. حيث بقيت الكثير من مظاهر هذا التسامح بارزة من خلال عدد من الممارسات الشعبية والاعتقادات الرائجة بالمغرب انطلاقا من طقوس الاحتفال بعيد المولد النبوي التي سنها الفاطميون خلال فترة حكمهم للمغرب، والكثير من العبارات التي يتميز بها الشعر والملحون الأندلسي المغربي إلى جانب الإنتاجات الأدبية والتعبيرات العامية التي تدلل على حب المغاربة العميق لأهل البيت (ع).

ومن بين أبرز مظاهر حضور التراث الشيعي في الإسلام الشعبي المغربي منح المغاربة لـ"لخميسة" في بعض التعبيرات اسم "يد لالة فاطمة الزهراء"، والتي تحيل أيضا إلى الخمسة، عدد أصحاب الكساء الذين نزلت فيهم الآية الكريمة :"إنما يريد الله

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" (الأحزاب: ٣٣) حسب التفسير الشيعي[١]..ومن ذلك إطلاق المغاربة خصوصا منهم الأمازيغ أسماء أهل البيت (ع) على مواليدهم، من محمد وعلي وفاطمة الزهراء والبتول والحسن والحسين والمهدي وزينب وسكينة..وتسمية التوأمين بالحسن والحسين.ومن تقاليدهم أنهم يسّيدون اسم محمد وعلي وفاطمة، وقلّ ما يفعلون في غيرها[٢].

ويبقى إحياء المغاربة في الكثير من المناطق لذكرى عاشوراء الأليمة من أبرز هذه المظاهر التي يجسدون من خلالها تضامنهم مع أهل البيت (ع) ومشاركتهم أحزان هاته المأساة[٣]، حيث يؤكد الدكتور الجراري نقلا عن والده الفقيه عبد الله الجراري عند جوابه عن سؤال استفتي فيه عن رأي الدين في جماعة من الناس ما بين رجال ونساء وأطفال يقفزون فوق لهيب النار وكذلك في نساء يرددن بلفظ واحد "بابا عيشور دليت عليك شعوري". فأجابهم الفقيه عبد الله الجراري أن هذه عادات أحدثها الشيعة كحزن منهم على مقتل الحسين بكربلاء وقد دخلت المغرب نتيجة استيطان عدد من الدول الشيعية فيه حيث نقلت معها عوائدها وممارساتها(الجراري ١٩٩٩: ص ٤٢ -٤٣).

---

١ أورد ابن كثير بخصوص هذه الآية طرقا لحديث الكساء. منها عن الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي (ص) كان في بيتها، فأتته فاطمة (رض)، ببرمة فيها خَزيرة، فدخلت بها عليه فقال لها: "ادعي زوجك وابنيك". قالت: فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامةٍ له على دكان . تحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله، عز وجل، هذه الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ). قالت: فأخذ فضل الكساء فغطاهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء، ثم قال: "اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا"، قالت: فأدخلت رأسي البيت، فقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ فقال: "إنك إلى خير، إنك إلى خير".

٢ أنظر مقال"التشيع كمكون سوسيو-ثقافي مغربي" للباحث المغربي في الشأن الشيعي إدريس هاني. نشر بجريدة هيسبريس الإلكترونية بتاريخ الأربعاء ٠٢ شتنبر ٢٠٠٩. بتصرف

٣ تزامنا مع ذكرى عاشوراء خلال السنوات٢٠١١/٢٠١٢/٢٠١٣ قام عدد من الشيعة المغاربة بتنظيم زيارات لضريح مولاي ادريس زرهونمؤسس دولة الادارسة في ضواحي مدينة فاس،وتلاوة لطميات شيعية تعبر عن الحزن والأسى.

ومن بين الأسر العريقة التي اشتهرت بدفاعها عن ثرات أهل البيت (ع) من داخل وسط سني صوفي بالأساس، نجد أسرة الحافظ بن الصديق الغماري من طنجة، وذلك بعد أن زار شيخ الطريقة، مولاي أحمد بن الصديق، المشرق، في عز تصاعد المد المعتزلي، وتأثر بكتابات محمد بن عقيل الحضرمي مؤلف كتاب "العتب الجميل لأهل الجرح والتعديل" وبعد عودته من مصر قام بنشر هذا الفكر، حيث خلفه عبد العزيز من الصديق، الذي كان يميل إلى آل البيت[١]. كما ويعتبر الدكتور عبد اللطيف السعداني من أوائل المتشيعين الذين تخرجوا من جامعة طهران سنة ١٩٦٤، أي قبل قيام الثورة في إيران، والذين اهتموا أساسا بتاريخ وتراث أهل البيت (ع) خصوصا في المغرب.

ومن بين أبرز الأسماء التي سطعت في سماء التشيع بالمغرب نذكر؛ السيد حسن الإغيري من مكناس، والذي اشتهر بلقب الشيرازي، وقد درس بلبنان وكان يساعد الطالبات للانتقال إلى هناك والاشتغال بمجلة عفاف اللبنانية، والأستاذ إدريس هاني الحسيني الذي خاض غمار الدراسة الحوزوية في سوريا حيث تخصص في الفلسفة، وألف عددا من الكتب سلط من خلالها الضوء على تجربته وقراءته الخاصة لأسباب تحوله إلى المذهب الشيعي مثل كتاب "لقد شيعني الحسين"، وأخرى حاول من خلالها تقديم الجانب المعتم عليه في الفكروالفلسفة والعرفان داخل الثرات الشيعي، نذكر من أبرزها "محنة التراث الآخر" و" الملا صدرا رائد الحكمة المتعالية"..

ويبقى تفاعل المغاربة مع أحداث وشعارات الثورة الإيرانية التي أطاحت بالشاه رضا بهلوي سنة ١٩٧٩، ومكنت فقهاء الشيعة من إنجاح أول تجربة لهم في الحكم خلال

---

١ أنظر أركيولوجياالتشيع في المغرب- منتصر حمادة.

العصر الحديث لتفتح آمالا للإسلاميين السنة في بلدان أخرى للمسير على نفس خطواتهم، من أبرز مداخل التشيع في المغرب كما في باقي الدول العربية والإسلامية، دون أن ننسى الدور الذي لعبته فيما بعد الانتصارات المدوية التي حققها حزب الله اللبناني في حربه ضد إسرائيل سنتي ٢٠٠٠ و٢٠٠٦. وقد كان من جملة من تأثر بشعارات الثورة الإيرانية مجموعة من الشباب الذين خرجوا عن الشبيبة الإسلامية، ليؤسسوا ما سمي بتنظيم "جند الإسلام" في بداية الثمانينات والذين حاولوا المزج بين الأفكار الماركسية وبين المرجعية الدينية من خلال نموذج الثورة الإسلامية في إيران في إطار ما سموه بـ"نظرية التغيير" ، وقد كانوا عمليا منفتحين على المشاركة السلمية في مختلف الميادين السياسية والدينية والثقافية والإعلامية وغيرها، لكن توجس السلطات من الطابع السري لهذا التنظيم سوف يدفعها إلى الضغط عليه ليخرج إلى العلنية في أواخر الثمانينات بمشروع جديد حمل اسم "الاختيار الإسلامي" تحت قيادة كل من محمد المرواني والمصطفى المعتصم[١].

في نفس السياق، سوف يتأثر عدد من أتباع جماعة "العدل والإحسان"[٢] بما كتبه شيخهم الراحل عبد السلام ياسين حول عدد من رموز الشيعة كالإمام الحسين في ثورته

---

[١] من بين أبرز الأسماء التي ساهمت بمفاهيمها ورؤاها في صياغة هذه التجربة من داخل الفكر السياسي الشيعي آية الله الشهيد محمد باقر الصدر، والعلامة الراحل السيد محمد حسين فضل الله، والشهيد الدكتور علي شريعاتي.أنظر "إرهاصات تسييس الشيعة المغاربة : حذر الدولة ورغبة الانفتاح السياسي" من إنجاز الباحث محمد قنفودي، المعهد المغربي لتحليل السياسات، دجنبر ٢٠١٨.

٢ يروي أحد الناشطين السابقين في هذه الجماعة عن جزء من تجربته الحركية ابتداء من سنة١٩٨١ مع الشبيبة الإسلامية قبل انتقاله إلى "أسرة الجماعة" التي ستتحول فيما بعد إلى جماعة "العدل و الإحسان" حيث اعتنق مذهب أهل البيت (ع) في فترة لاحقة ليتعرض لسلسلة من المضايقات من طرف بعض الأعضاء داخل الجماعة بتهمة التشيع وإنشاء تنظيم داخل تنظيم. مما سيدفعه إلى مغادرة الجماعة بصفة نهائية سنة ١٩٨٩، الأمر الذي لم يجبنه الاعتقال في مدينة الرباط خلال الاعتصام الذي أنجزته الجماعة احتجاجا على اعتقال مجلس الارشاد في نفس السنة، حيث سيلتحق بعدها بنشطاء "الاختيار الإسلامي".

على يزيد بن معاوية، وزيد بن علي وأخوه محمد النفس الزكية وأخوه إدريس وإبراهيم ويحيى وكلهم واجهوا الحكام الظلمة من بني أمية وبني العباس، وقاتلوا حتى استشهدوا، وهم جميعا من أهل البيت (ع)(ياسين، ١٩٨٩م: ص٢٧-٢٨-٣٢). وما ذكره حول ثورة الإمام الخميني في معرض حديثه عن القومة في كتابه المنهاج النبوي: تربية وتنظيما وزحفا، والذي يعتبر دليل الجماعة، وقد التمس العذر لبعض الأخطاء التي ارتكبت خلال هذه الثورة في كتابه الاحسان: «تصدر فتاوى مأجورة بتكفير الشيعة عامة وان كان الثوار الإيرانيون سجنوا علماء السنة واضطهدوا السنيين...فالهيجان الثوري كان ولا يزال في كل مكان»(ياسين، ١٩٩٨:ص ٦٦).

على المستوى الرسمي، عرفت العلاقات المغربية الإيرانية مجموعة من فترات المد والجزر. فقد كان الملك الراحل الحسن الثاني صديقا لشاه إيران رضا بهلوي إلى حد منحه اللجوء السياسي بعد الإطاحة به خلال ثورة ١٩٧٩. هذه الثورة التي ستكون سببا في قطع العلاقات بين المغرب والجمهورية الإسلامية الوليدة آنذاك، خاصة بعد نهج الراحل الإمام الخميني (ق.س) سياسة ما عرف بتصدير الثورة، والتي وصلت تداعياتها إلى المغرب حيث تحمس مجموعة من الشباب الحركي من داخل الشبيبة الإسلامية لأفكارها ومواقفها مما سيدفع الملك الراحل الحسن الثاني رحمه الله إلى إبداء مشاعر العداء لهذه الثورة وتحذير المتعاطفين معها من التربص باستقرار البلد، بل ذهب إلى حد الإشراف على إصدار فتوى لتكفير الخميني سنة ١٩٨٠، وإبداء استعداده، لمساعدة العراق خلال حربه ضد إيران.

سوف تعود العلاقة بين البلدين سنة ١٩٩١، بعد تجميد إيران اعترافها بما يسمى بالجمهورية الصحراوية في نفس السنة، ودعمها لتسوية هذا الملف من خلال قرارات الأمم المتحدة، كما سيقر المغرب من جانبه بحق إيران في استعمال الطاقة النووية

لأغراض سلمية، حيث ستشهد هذه المرحلة نشاطا دبلوماسيا متزايدا بعد إعادة فتح السفارة الإيرانية في المغرب خاصة على المستويين الفكري والسياسي، حيث استقبل المغرب حينها الندوة العالمية الثانية في موضوع : "التقريب بين المذاهب الإسلامية" والتي انعقدت شهر غشت ١٩٩٦، بمدينة الرباط، عاصمة المملكة المغربية، تحت إشراف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، حينها أدلى المرحوم الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري وقد كان حينها وزيرا للأوقاف بالمغرب خلال حوار مع أحد الصحفيين بتصريح مهم على هامش هذه الندوة قال فيه: "إن التقريب بين المذاهب الإسلامية يؤدي بالتأكيد إلى تخفيف حدة الخلاف السياسي بين الدول الإسلامية الذي يعتبر من العوائق الكبرى التي تحول بين هذه الدول وبين توحيد صفوفها.. إن التقريب يساعد الأمة الإسلامية على مواجهة التحديات التي تواجهها من الدول الأخرى، وإن مجرد الحوار حول التقريب فيه خير كثير للإسلام والمسلمين، وخطوة على طريق وحدة الصف الإسلامي، وجمع كلمة المسلمين".

كما تم استدعاء العلامة الشيعي آية الله المرحوم محمد علي التسخيري من طرف الملك محمد السادس خلال الدروس الحسنية في شهر رمضان من سنة ٢٠٠٦، حيث ألقى درسا بعنوان "حركة التقريب بين المذاهب، منطلقاتها وآفاقها المستقبلية"، دافع فيه عن ضرورة التقريب بين المسلمين. وقد سبق وأن استدعى الملك الراحل الحسن الثاني المرجع الديني في لبنان آنذاك الإمام موسى الصدر سنة ١٩٧٨ للمشاركة في الدروس الحسنية الرمضانية، وكان قد استدعاه قبل ذلك ليلقي محاضرة في جامعة القرويين بمدينة فاس سنة ١٩٦٨.

## ٤- إيران والعرب..بين الإستعداء ومساعي التقارب:

إن الحديث عن الوحدة الإسلامية والتقارب بين الشيعة والسنة لم يعد من الممكن فصله اليوم عن مصير العلاقات بين إيران والدول العربية، خاصة منها دول الخليج التي ما فتئ عدد منها يستعدي الجمهورية الإسلامية منذ نجاح ثورتها بقيادة الإمام الخميني (ق.س) سنة ١٩٧٩ وإسقاط نظام الشاه الصفوي الذي كان شرطيا للولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة. حيث لم تتردد هاته الدول في دعم صدام حسين ماديا وبشريا للتدخل عسكريا ضد الجمهورية الإسلامية الوليدة آنذاك، وإصدار فتاوى لتكفير الأغلبية الشيعية في هذا البلد لدفع المتطوعين من أهل السنة للمشاركة في هاته الحرب التي تم إضفاء طابع القداسة عليها آنذاك.

ومنذ ذلك الحين، لم يتوقف مسلسل شيطنة إيران الذي كان من بين أبرز أهدافه تحويل الصراع العربي الإسرائيلي إلى صراع سني شيعي، وخلط الأوراق بنسبة التشيع إلى أصول فارسية في استغلال مبيت لجهل عوام المسلمين بدور الفرس الكبير في إشعاع الحضارة الإسلامية. ولو أن التشيع كمذهب لا يرتبط بدولة بعينها، إلا أن تبني الجمهورية الإسلامية في إيران رسميا للمذهب الجعفري الذي يدين به غالبية الشيعة بعد نجاح الثورة قد بوأها موقعا لدعم هذا المذهب والدفاع عنه.

لقد استطاعت إيران أن تقدم نموذجا متقدما لتفوق المسلمين بعد أن تجاوزت آثار الحرب مع العراق. كما استطاعت الحفاظ على مشروعها القومي والدخول إلى النادي النووي مع تطوير منظومتها العسكرية والتقدم في كل المجالات العلمية والتقنية رغم الحصار الاقتصادي الذي فرضه عليها الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك

دون أن تخل بمبادئ الديمقراطية من خلال تنظيم الانتخابات في مواعدها ليتعاقب أكثر من ستة رؤساء على الحكم منذ تأسيس الجمهورية الحديثة.

ورغم كل استمرار العداء من طرف عدد من الأنظمة العربية وبعض أبناء شعوبها المغرر بهم، فإن الجمهورية الإسلامية في إيران لم تتوان عن تقديم يد العون ومساندة قضايا العرب والمسلمين الأساسية. حيث قدمت كل أشكال الدعم والمساندة لفصائل المقاومة الفلسطينية (خاصة حركتي حماس والجهاد الإسلامي)، واللبنانية (حزب الله) خلال مواجهتهم للكيان الصهيوني، كما أبدت رغبتها غير ما مرة للتقارب وبناء العلاقات الودية مع عدد من الدول العربية التي كانت تختلف معها في الرؤى والرهانات الاستراتيجية كمصر إبان حكم الرئيس المخلوع محمد مرسي، والمغرب بعد أن جمدت اعترافها بالجمهورية الوهمية على حدوده سنة ٢٠٠٩، والسعودية التي تراجعت في النهاية عن سياساتها ضد الجمهورية الإسلامية وانخرطت معها في مساعي المصالحة.

لقد آن الأوان ليتجاوز العرب خلافاتهم مع إيران بعد السقوط المريع لمشروع الشرق الأوسط الجديد وانكشاف مخططات الإمبريالية والصهيونية في المنطقة، واستسلام أدواتهما التكفيرية بعد استبسال أبناء الشعوب المستهدفة والمقاومة في الدفاع عن الأوطان والمقدسات، حيث لا يمكن إنكار الدور الإيراني في تحرير كل من سوريا والعراق من قبضة داعش، والتمهيد لصعود محور جديد، رفقة قوى إقليمية وعالمية صاعدة كروسيا والصين، سوف يخلص العالم حتما من الهيمنة الأمريكية في إطار عالم متعدد الأقطاب. ولعل التقارب الأخير الذي حصل بين السعودية وإيران قد يشكل منعطفا حاسما في العلاقات بين الجمهورية الإسلامية وكل الدول العربية بالمنطقة، وسيدفع حتما هذه الدول إلى مراجعة حساباتها مع هذا اللاعب الجديد الذي استطاع أن يفرض احترامه بالمنطقة على أصدقائه كما على أعدائه، حيث نأمل أن يساهم هذا التقارب في إنجاح مشروع التقارب المذهبي الكبير بين السنة والشيعة، ولم لا التعجيل

بحلم الوحدة الإسلامية الذي لن يتم دون مراجعة العلاقات السياسية والاقتصادية بين هذه الدول على أساس رابح-رابح.

## ٥- من شروط إنجاح مبادرات التقريب والتواصل بين السنة والشيعة:

إذا كانت الممالك المسيحية في أوروبا قد تجاوزت خلافاتها التاريخية لكي تؤسس لصرح الوحدة والتعاون في كل مجالات التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ولتحقق خلال فترة وجيزة ما عجزت عن تحقيقه خلال قرون من التناحر باسم الدين والطائفة والعرق رغم اختلاف لغاتها وأعراقها وأديانها ومذاهبها، فإنه ليس من المستحيل تحقيق ذلك بين العرب والمسلمين الذين تجمع أغلبهم نفس اللغة، ويوحدهم نفس الدين، خاصة وأن معظم أوطانهم تزخر بالثروات الطبيعية والبشرية التي يتم استنزافها بين جشع القوى المتكالبة ضدهم ورعونة عدد من حكامهم و مسؤوليهم.

ولإنجاح هذا المشروع، ينبغي أولا فتح حوار جاد و مسؤول بين علماء السنة والشيعة وذلك عبر مراحل يتم البدء في أولها بالأمور المشتركة والمتفق عليها، قبل معالجة القضايا العالقة، وذلك باستحضار حكمة العلامة المرحوم السيد رشيد رضا المشهورة: "نتعاون مع بعضنا في ما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا عليه"، وخلافا لما يتم على بعض الفضائيات الطائفية التي تحاول الانتصار لمذهب على الآخر مستغلين في ذلك جهل المشاهد بالكثير من التفاصيل التاريخية والفقهية والسياسية، حيث لا يكون هدفهم من هذا التهريج إلا زيادة عدد المشاهدين وما يرافق ذلك من إذكاء للنعرات الطائفية..

كما لابد الاعتراف المتبادل ونبذ عقلية الإقصاء والتكفير بإعادة النظر في مبرراتها من المتون الموضوعة والتأويلات المعوجة والاجتهادات والفتاوى المختطفة من سياقاتها التاريخية، حيث يبقى الاطلاع على تاريخ الآخر والانفتاح على تجاربه بصدر رحب من أهم مستلزمات هذا التواصل المنشود. ذلك لأن البناء السليم لأرضية هذا الحوار يقتضي أولا الاعتراف المتبادل ونبذ عقلية الإقصاء والتكفير بإعادة النظر في مبرراتها من المتون الموضوعة والتأويلات المعوجة والاجتهادات والفتاوى المختطفة من سياقاتها التاريخية.

من جانب آخر، فالوحدة المطلوبة لا تعني تنازل كل فريق عن مبادئه وطقوسه أو التنازل عن بعض الحقائق الدامغة إرضاء للفريق الآخر. ولكنها تتطلب تبني الحياد الموضوعي في التعاطي مع الأحداث التاريخية والمرويات والتفاسير لدى الفريقين مع تفادي المعالجات الطائفية التي ترتبط عادة بمواقف ذاتية لبعض الفرق والمذاهب والأنظمة التاريخية التي سعت إلى ترسيخ رؤى ومواقف مغلوطة لدى جمهور المسلمين، وكذا تلافي الكثير من أحكام القيمة المناقضة للواقع والناتجة أساسا عن حساسيات طائفية وحسابات سياسوية تلبست بلباس الدين فأثمرت فتنا وحروبا تاريخية مازالت للأسف لم تضع أوزارها إلى اليوم. إذ يقول الراحل السيد محمد حسين فضل الله (ق.س) في هذا المقام: "ليس المطلوب من الشيعي أن يتسنن أو من السني أن يتشيع بقدر الدعوة إلى الحوار والتواصل والتسامح"..

كما يقتضي الأمر فتح نقاش حول الكثير من الطابوهات التي يتم التعتيم عليها عن قصد أو عن غير قصد من طرف عدد من المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي. فلقرون طويلة حاول فقهاء السنة مثلا تفادي نقاش الخلافات التي جرت بين الصحابة (رض)، فكانوا يصرفون الناس بفتاوى صارمة عن الدخول فيما شجر بينهم بدعوى النأي بالنفس عن الطعن في بعض الصحابة الذين تورطوا في عدد من المخالفات الصريحة

لكتاب الله وسنة رسوله (ص)، حيث تم إسدال إزار القداسة على كل تصرفاتهم والتي كان بعضها سببا في المواجهات الدامية التي اندلعت بينهم بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان لتستمر أطوارها وتداعياتها مع الأجيال اللاحقة. وهو ما نتج عنه في النهاية تحريف مسار نموذج الدولة الإسلامية التي عمل على ترسيخها الرسول الأكرم (ص)، وحاول قبل وفاته ضمان استمراريتها على نفس المنهج النبوي الرسالي، لولا تدخل بعض الأجندات القبلية التي أربكت هذا الترتيب مما أسهم في صعود نموذج استبدادي متسلط استأثر بحكم المسلمين طيلة القرون اللاحقة.

وفي نفس السياق يتوجب على الشيعة أيضا إعادة النظر في بعض المسائل العقدية كمسألة العصمة التي أثقلها الغلاة والمفوضة منهم بتأويلات انحرفت كثيرا عن إطارها الموضوعي وتسببت في انتشار آفة الغلو التي حاربها أئمة أهل البيت (ع)، حتى جعلهم البعض فوق مراتب الأنبياء والملائكة بل أشركوهم مع الخالق في تدبير الكون وأرزاق العباد، بحيث لم تخل مراجعهم الحديثية المعتمدة من روايات تؤيد هاته الأوهام والتجاوزات رغم كل الجهود التي بذلها علماء الطائفة ومازالوا يبذلونها لتنقية هذا التراث المتناقض من كل مظاهر الدس والافتراء، هذا بالإضافة إلى تهذيب ومراجعة شعائر المناسبات (خصوصا عاشوراء) والتي ارتبطت للأسف بعدد من الطقوس الدامية التي يستنكرها الكثير من علماء ومراجع الطائفة لأثرها في تشويه المذهب والدين بصفة عامة.

من جهة أخرى يتوجب على كل طرف أن يدرك بأن أتباع الطرف الآخر ليسوا على قلب رجل واحد. وبأن كل فريق له نصيب من التطرف والغلو كما أن له أيضا نصيبا من الاعتدال والتسامح. لذلك فالاحتجاج بأفعال بعض المتطرفين والغلاة للطعن في أتباع هذا المذهب أو ذاك وتشويه صورته لا تخدم بأي حال من الأحوال هذا التقارب.

فالجماعات التكفيرية التي خرجت من رحم السلفية الوهابية لا تمثل في توجهاتها المدارس السنية العريقة في الاجتهاد والتربية والتعليم، كما أن بعض أتباع الخط الشيرازي الذين يسبون بعض صحابة الرسول (ص) ويعرضون بأهل السنة لا يمثلون كل الشيعة الذين يدين أغلبهم بالولاء لمرجعياتهم الرشيدة، حيث يحرم هؤلاء الخوض في هاته المسائل درءا للفتن الطائفية.

لقد طال هذا الصراع المذهبي أكثر مما يجب وهو لا ولم ولن يخدم في أي وقت من الأوقات ديننا الحنيف، بل على العكس من ذلك كان سببا لبث الفرقة والتناحر بين أبناء الدين الواحد والوطن الواحد ومنفذا يسيرا لأعداء الإسلام والمسلمين. فمتى يحين الوقت لندع هذا التعصب الأعمى، ونترك للعقل المتنور والفكر الحر بحيادية وتجرد إيجاد الحلول المناسبة للخروج من هذا المأزق التاريخي؟

إن الوحدة اليوم مطلوبة أكثر من أي وقت مضى، بالنظر إلى ما وصل إليه العالم الإسلامي من تشتت في الرأي وتناقض في المواقف والخيارات السياسية والاستراتيجية، واندحار على مستوى القيم الإنسانية التي دعا الإسلام، وتراجع في كل المجالات العلمية والتقنية والأدبية والفنية ليسقط في مواجهات عقيمة لا تخدم إلا مصالح الاستعمار الأجنبي وبعض الأجندات المشبوهة في المنطقة. وذلك استجابة لقوله تعالى في سورة آل عمران: «وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (آل عمران: ١٠٣) ولقوله تعالى في سورة الأنبياء: «وأن هذه أمتكم واحدة وأنا ربكم فاعبدون»( الأنبياء : ٩٢).

ومن يسعى إلى إشعال الفتن بين المسلمين بتكفير هذه الطائفة أو تلك، أو تشويه صورتها بما قد يصح في بعض الحالات ولا يصح في أغلبها، إنما يسعى إلى الطعن في

الإسلام وتفكيك وحدة المسلمين. لأن الآخر يرى بأن هؤلاء على قلب رجل واحد ما داموا ينتسبون جميعا إلى الإسلام، وهو بذلك يخالف الأمر القرآني بالوحدة والاعتصام بحبل الله ونبذ الفرقة والخلاف. وعلى عكس ما يردده بعض المتطرفين والجهلة فإن أرضية التقريب والوحدة بين المسلمين تبقى متاحة إذا ما تنازل كل فريق عن أناه الطائفية ومد يده للطرف الآخر بمودة وإخاء، خاصة وأن الخلاف في الأصول غير وارد، وكل من يدعي ذلك فهو إنما يستند إلى بعض النصوص الموضوعة أو المواقف والتأويلات المنحرفة مما لم تكن يوما محط إجماع بين علماء كل مذهب.

## المصادر والمراجع


١. حسن إبراهيم حسن(١٩٨٩)، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، مكتبة النهضة المصرية.
٢. ساعد خميس وآخرون(٢٠٠٧)، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، دار بهاء الدين، الجزائر.
٣. شوقي ضيف(١٩٩٦)، عقيدة الموحدين بين التشيع والاعتزال، مجلة مجمع اللغة العربية عدد ٧٦.
٤. عبد السلام ياسين (١٩٨٩)، نظرات في الفقه والتاريخ، ط١، دار الخطابي للطباعة والنشر.
٥. ---------- (٢٠١٨)، رجال القومة والإصلاح، دار لبنان للطباعة والنشر.
٦. ----------(١٩٩٨)، كتاب الاحسان، دار لبنان للطباعة والنشر.
٧. عبد اللطيف السعداني(٢٠٠٢)، حركات التشيع في المغرب ومظاهره، المنهاج عدد ٢٧.
٨. شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي(١٨١٢)، مختصر التحفة الاثني عشريّة، المطبعة السلفية، القاهرة.
٩. عباس الجراري (٢٠٠٦)، لماذا لم يتشيع المغاربة، مجلة الأكاديمية عدد ٢٣.
١٠. ----------(١٩٩٩)، عاشوراء عند المغاربة، منشورات النادي الجراري.
١١. إدريس هاني، "التشيع كمكون سوسيو-ثقافي مغربي". نشر بجريدة هيسبريس الإلكترونية بتاريخ الأربعاء ٠٢ شتنبر ٢٠٠٩.

١٢. خولي، أمين، (١٩٥١م)، مالك بن أنس، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية

# تجلي الإنسان الكامل من منظر العرفان المنطلق من فكر الإمام الخميني(ره)

على شميل پور[1]

## الملخص

للعرفاء آراء كثيرة في الانسان الكامل خاصة في تجليه في الكون. الامام الخميني هو من العرفاء الذين طرح اراء خاصة في هذا الصدد. سؤال المقال هو ما تجلي الإنسان الكامل من منظر العرفان المنطلق من فكر الإمام الخميني(ره)؟ للاجابة على هذا السؤال تطرقنا الى كتب الامام الخميني و العرفاء عبر التحليل التوصيفي ووصلنا الى نتائج منها: مصدر وينبوع الخلافة والولاية للإنسان الكامل في الأسماء الإلهية. توجد وحدة وجودية بين الحقيقة المحمدية والعلوية، ولا يوجد اختلاف بينهما إلا في المظهر والظهور. أي أن الولاية والخلافة العلوية، سواء في نشوة الخلق أو في عالم التشريع، هي مظهر من مظاهر الخلافة والولاية المحمدية، وهذه حقيقة ثبتت في مكانها بالأسباب والبراهين الكثيرة.

يعتقد الامام الخميني أن ضرورة الوجود وسائر الأمور المذكورة كلها ثابتة بالنسبة للإنسان الكامل الذي هو تجلي الاتمّ الإلهية؛ والفرق الوحيد بين ما هو للإنسان الكامل وما هو موجود لله من حيث وحدة الجوهر هو نفس الفرق بين الظاهر والمظهر، والوحدة والاختلاف، والغيب والشهادة. ولذلك فإن جميع الأسماء، سواء أكانت متأصلة أم لا، ستظهر في ظهور الاتمّ- الإنسان الكامل.

---

١. الاستاذ المساعد فى جامعة المصطفى العالمية

الكلمات الرئيسية: التجلي، الإنسان الكامل، العرفان، الإمام الخميني، الانسجام الوجودي، القرآن الناطق.

**مقدمة**

**١.** إن المسألة الأساسية في العرفان الإسلامي بعد التوحيد هي مناقشة "الإنسان الكامل"؛ ويمكن القول: إن البنية الأساسية للقضايا العرفانيه تتشكل من هاتين المسألتين (مناقشة التوحيد والإنسان الكامل)، وتعتبر قضايا العرفان الأخرى من متطلبات هاتين المسألتين أو ملحقاتهما.

ولذلك يبدو أن معرفة الإنسان الكامل هي من أهم الحاجات الفكرية والسلوكية (العلمية والعملية) لكل مؤمن ومسلم، بل لكل إنسان أيضاً؛ ولأن معرفة الإنسان الكامل، فضلا عن أنها توفر التغذية الفكرية والعلمية للإنسان في البعد الأنطولوجي وبعد التوحيد، تلعب دوراً هاماً في النظرة العالمية للإنسان، فإن نتيجة هذه المعرفة هو في الواقع إيجاد مثال مثالي ونموذج يحتذى به، وهو أمر عملي وتعليمي.

وبما أن أفكار الإمام الخميني.ره. تلعب دوراً مهماً وعميقاً في نشر وفهم التعاليم الإسلامية الواضحة، كما كان لقضية «الإنسان الكامل» تجليات جديدة وواضحة في المنهج العرفانى لذلك المتصوف الكبير، معرفة الصورة. الإنسان الكامل في مرآة الفكر الإلهي يجد حاجة خاصة.

ولذلك فقد تناولنا في هذا المقال تلك المواضيع المتعلقة بالإنسان الكامل والتي كانت محل اهتمام في فكر الإمام رحمه الله.

٢. ومن المواضيع التي لها قيمة بحثية كبيرة ويجب ذكرها هو شرح المسار التاريخي وبداية مصطلح "الإنسان الكامل".

ما يتم الحصول عليه من جميع الأبحاث والاستكشافات للنصوص الصوفية هو أن التفسير العميق والرائع لـ "الرجل الكامل" تم اقتراحه لأول مرة في القرن السابع من قبل عارف المشهور محي الدين عربي وعطار النيشابوري وقبل تلك العارفان، على الرغم من ان لقد دارت مناقشات حول الإنسان الكامل في الأدب الإسلامي وأثار كبار المتصوفة المسلمين مناقشات كثيرة حول الإنسان ودوره في الكون والعلاقة بين الإنسان وأصل الوجود والمثال الإنساني الأسمى، لكنه لم يستخدم مثل هذا الكلمة هى.

لقد طرح الفيلسوف العربي موضوعات الأنثروبولوجيا الرائعة تحت عنوان "الإنسان الكامل" وقدمه على أنه جوهرة خاتم الوجود وقال عنه ما يلي:

الإنسان الكامل هو جوهرة خاتم عالم الخلق، الذي نصبه الله تعالى خليفته وخليفته في حفظ العالم، ونظام الخلق محفوظ في ظل وجود الانسان الكامل. (قيصرى، دون التاريخ، ص٧٣)

**ضرورة وجود إنسان كامل في الكون**

ومن المسائل المهمة مناقشة ضرورة وجود إنسان كامل في نظام الوجود. تعتبر هذه المناقشة، التي يمكن اقتراحها وشرحها بأبعاد مختلفة ومن وجهات نظر متعددة، واحدة من أهم المواضيع الصوفية والنصوص الدينية الأساسية (القرآن والأحاديث)؛ بحيث إن كثيراً من عقائد أهل العلم وسلوكهم البديهي تقوم على هذه المسألة وهي فروع هذا البحث ونتائجه.

**أسباب ضرورة وجود الإنسان الكامل من وجهة نظر الإمام الخميني:**

بما أن الهدف الأساسي من هذا المقال هو بيان وجهة النظر الصوفية للإمام الخميني رحمه الله في الجوانب الوجودية للإنسان الكامل، فإن هناك سببين رئيسيين لضرورة وجود الإنسان الكامل في العالم. نظام الوجود مذكور من وجهة نظر الامام رحمه الله.

**السبب الأول: الإنسان الكامل ومظهرية الاسم الأعظم**

وما يمكن الحصول عليه من الفكر الصوفي للإمام (ره) أنه كغيره من أهل العلم أثار ضرورة وجود الإنسان الكامل في أفق أعلى من رؤية الحكماء والمتكلمين. ومن الطرق التي سلكوها في هذا الصدد عملية تجلي وظهور الاسم الإلهي العظيم في صورة بشرية كاملة. وفي هذا السياق كتبوا:

فالهدف الدائم للإنسان الكامل في مقام الظهور على المستوى الشامل وفي مقام التعبير عن الأشكال الإلهية في النشوة العلمية هو الخليفة الإلهي الأعلى؛ لأنه بما أن الاسم الاعظم مملوء جلالاً وجمالاً، مظهراً وحضوراً، فإنه لا يمكن أن يظهر في أي مظهر من مظاهر مكانته الجماعية – لأنه عظيم، فلا ينبغي أن ينظر إليه في مرآة صغيرة– ولذلك لا بد من ظهور ومرآة تكون تجلياً لروحه وتنعكس فيها أنوار الحق المقدسة، حتى تتوفر الأرضية لظهور عالم العدل الإلهي. (امام خمینی، ١٣٧٦ ش، ص ٣٥)

ويتضح من هذا الفكر أن الإمام رحمه الله سعى وآمن بضرورة وجود إنسان كامل في نظام الوجود قبل أي شيء آخر، ليظهر أسماء وصفاته. الله وظهور الاسم الأعظم أنه من بين ظواهر الوجود هو الوحيد الذي يمكن أن يكون تجلياً للإله العظيم؛ لأنه من وجهة نظر الصوفيين، في الهوية الواحدة التي تتميز بالوحدة الحقيقية، فإن قواعد الوحدة تسود

تماما على قواعد التعدد؛ بل استناداً إلى طغيان أحودي، فإن أحكام التعدد انقرضت تماماً وهلكت في وحدة القاهرة.

ولذلك عندما شاءت هذه الهوية الواحدة أن يظهر جوهره في كامل تجلياته، ويكون له كل تجليات النور والظل، ويشمل كل الحقائق الظاهرة والخفية، ويرافق أيضاً جميع طبقاته الداخلية والخارجية، تتحقق هذه الحقيقة. إلا في ظهور الكون الكامل الشامل، أي الإنسان الكامل؛ لأنه هو الوحيد الذي يستطيع الجمع بين ظهور الطبيعة المطلقة وظهور الأسماء والصفات والأفعال؛ لأن نشوزه فيه الشمولية والاعتدال من الكمالات الواسعة. إن الإنسان الكامل وحده هو الذي يستطيع الجمع بين الحقائق والصفات الضرورية للأسماء الإلهية من جهة، والحقائق الممكنة والصفات الطبيعية من جهة أخرى.

ولذلك فإن الإنسان الكامل هو مجموع وتفصيل وبيئة كل الأشياء التي تتحقق في سلسلة نظام الوجود؛ ولذلك تجلت هوية الإنسان في هذا الشكل ورأى جوهره فيه؛

**السبب الثاني: الانسان الكامل كونه واسطة للفيض الالهى**

ومن الأسباب الأخرى لضرورة وجود الإنسان الكامل في نظام الوجود، والتي لاحظها المنهج البديهي عند أهل العلم، وخاصة الإمام الخميني، أن الإنسان الكامل هو واسطة النعمة. إلى العالم وآدم، ونظام الوجود بأكمله هو قناة وجود الإنسان الكامل، تتلقى النعمة الإلهية؛ ولذلك فإن وجوده في النظام العالمي سيكون ضروريا.

ولهذا جاء في زيارة الجامعة الكبيرة حول الأئمة المعصومين عليهم السلام:

«بكم فتح الله، وبكم أختام، وبكم ينزّول الغيث، وبكم يمسك السماء ان تقع على الأرض، وبكم ينفّس الهمّ ويكشف الضرّ »(مفاتيح الجنان، زيارت جامعه الكبيره)

وقد ذكر الإمام رحمه الله في بيان نعمة الإنسان الكامل ما يلي: إذا لم تكن العين الثابتة للإنسان الكامل، فلن يظهر أي عين ثابتة؛ وإذا لم يكن ظهور الاعيان الثابتة، لم يظهر أي من الكائنات العينيةالخارجية ولا يستطيع أن ينال نعمة الوجود. ولذلك فإن الإنسان الكامل هو المتصل بالأول، والآخر متصل بالأول؛ وهذه العين الثابتة نفسه هو الإنسان الكامل الذي له علاقة قيّوميّة مع جميع الكائنات. (امام خمینی، ١٣٧٦ ش، ص ٣٥)

ووفقًا لوجهة النظر هذه، لتحقيق الوجود وتدفق النعمة في العالم، ليس فقط مصدر النعمة وإله الوجود جزءًا ضروريًا، ولكن أيضًا وجود قناة النعمة هو ضرورة لا يمكن إنكارها. .

ولذلك جاء في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أنه «إذا لم يكن هناك دليل على الحق لفسدت الأرض واندثرت»(کلینی، ١٣٦٤ ش، ج١: ص ١٧٩) وفي بعض الصلوات بعد ذكر اسم النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) وكل من الأئمة (عليهم السلام) موجهة إلى المهدي المنتظر (ع): «المهدي المرجي الذي ببقائه بقيت الدنيا، وبِيُمنِهِ رُزِق الورى،وبوجوده ثبت الارض والسماء». (مفاتيح الجنان دعای عدیله)

## مكانة الإنسان الكامل في نظام الوجود

ومن المواضيع المهمة حول الإنسان الكامل هو شرح وتحديد مكانته في النظام العالمي. وفي هذا الصدد هناك مجالات مختلفة للمناقشة، ولكن وفقا لموضوع هذا المقال، سيتم مناقشة الأجزاء التي تعتبر في المؤلفات الصوفية للإمام الخميني رحمه الله فقط.

### ١. الإنسان الكامل هو مرآة الله

إن المسألة الأساسية فيما يتعلق بمكانة الإنسان الكامل في نظام الوجود هي أنه في عالم الوجود كله والنشوة الممكنة، لا يمكن إلا للإنسان الكامل أن يكون مرآة الحق سبحانة الكاملة؛ لأنه وإن كانت حقيقة الوجود لها مظاهر ومرايا كثيرة، إلا أن أياً منها لا يمكن أن يكون مرآة لكامل رؤية أسماء الله تعالى وصفاته؛ لأن كمال ظهور الأسماء والصفات الإلهية هو الوجود المبارك الوحيد للإنسان الكامل.

قال الامام الخميني (ره) في وصيته:

صلى الله على محمد وآل محمد مظاهر الجمال والجلال وكنوز أسرار كتاب الحق. ذلك الكتاب الذي تجلت فيه وحدانية جميع الأسماء والصفات، حتى الأسماء المترابطة، التي لا يعرفها أحد إلا الحق سبحانه. (امام خمینی، ١٣٧٨ ش، ج٢١: ص٣٩٣)

ولا يعرف معنى كلام الإمام رحمه الله إلا بناء على اعتقادات أهل العلم العالية ؛ لأنهم يعتقدون أن حقيقة محمد هي جوهر الوحدة من حيث العزم الأول. (ومع ذلك، فإن الحقيقة المحمد يةعند الإمام هي النعمة والفيض الاقدس وهي التجلى و الظهور الأول، وليس العزم والتعيّن الأول). و"الله" اسم ذاتي وجميع الأسماء والصفات تندرج تحت اسم "الله".

فكما أن اسم "الله" متقدم على جميع الأسماء في نظام الوجود ويتجلى في جميع الأسماء، فإن الإنسان الكامل - الذي هو مظهر هذا الاسم - سابق على سائر المظاهر وهو الوحيد. الذي يستطيع ميرات تماماً يجب أن يكون عادلا. (تركه اصفهانى، ١٣٧٥ش: ص ٢٣)

**٢. فالإنسان الكامل هو هدف الخلق**

إن أشمل كائن في الكون وهدف الخلق هو الإنسان الكامل. ويرى شيوخ أهل العلم أن الله تعالى يعتبر الإنسان الكامل هو هدف الخلق ونفس غرض خلق عالم الوجود. كما أن الهدف من خلق جسم الإنسان هو روحه الناطقة. ولهذا السبب، بعد انحطاط الإنسان الكامل وانتقاله من العالم، يتفكك عالم الدنيا، كما يفنى جسد الإنسان ويموت بتناقض روحه. (جامی، ١٣٧٠ش: ص٩٦)

### ٣. الإنسان الكامل؛ الحقيقة الموضوعية والعينية للاسم العظيم

واعتبر حضرة الإمام الإنسان الكامل ليس فقط مظهراً للاسم الأعظم، بل أيضاً حقيقته الموضوعية.

وفي كلام الإمام العرفانی رحمه الله الاسم الأعظم هو الإنسان الكامل من حيث الحقيقة العينية وهي الحقيقة المحمدية؛ لأن جوهر ذلك الإمام الثابت متحد مع الاسم الأعظم في مقام الألوهية، والمعاني الأخرى الثابتة، وهي الأسماء الإلهية، هي تجليات لتلك الحقيقة؛ ولأن الأسماء الثابتة هي تعينات الأسماء الإلهية، وبما أن التعيّن في الحقيقة هي عين المتعيّن، فإن االعين الثابت المحمدي هو نفس الاسم الاعظم وغير ذلك من الأسماء والصفات والأسماء من تجلياته ومظاهره. (امام خمینی، ١٣٧٤ ش: ص٧٧)

بينما في معظم المؤلفات الباطنية لشيوخ اهل المعنا لا يذكر إلا تعبير "المظهرية"، وفي كلام الإمام يذكر "العينيّة" لحقيقة الإنسان الكامل مع الاسم الاعظم، و وهذه قصة عمق المعرفة والمبادرة الفكرية لذلك الرجل الإلهي، وتدل على رقيه العلمي والصوفي النبيل.

### ٤. تطابق افق الإنسان الكامل مع المشيةالالهية

يعد البحث المشية الإلهية أحد الموضوعات الأساسية في التصوف الإسلامي. قال الامام الصادق (عليه السلام) عن المشية:

«خلق الله المشيئة قبل الأشياء، ثم خلق الأشياء بالمشية» (ابن بابويه قمى، ١٤١٦ ق: ص٣٣٩) ورسالة هذا الحديث من وجهة نظر أصحاب السرّ وابناء الطريقة والحقيقة أنه لا وجود في جميع مستويات عالم الخلق إلا الإرادة الإلهية، وهي هذه الإرادة الذي فيه وحدة حق الظلّ – وهو مظهر من مظاهر وحدة حق الله عز وجل.

يقول حضرة الإمام رحمه الله بعد الحديث عن المشية الإلهية عن ارتباطها بالإنسان الكامل:

وبعد أن تعرّف تأثير المشية الإلهية وامتدادها وتطويقها، سيكون من السهل عليك أن تفهم هذه الحقيقة وهي أن ظهر الوجود بالإرادة، والإرادة هي الخيط القوي الذي بين سماء الخلق وأرض الخلق، والذي خلق الأفق بالإرادة الإلهية وهو بداية عالم الخلق ونهايته هو عبارةعن الحقيقة المحمدية و العلوية –عليهما السلام– (امام خمينى، ١٣٧٤ ش، ص١٠٠)

### ٥. ظهور الولاية الإلهية والخلافة في الإنسان الكامل

ويرى الامام الخميني رحمه الله أن بداية ظهور الخلافة هو ظهور الهوية الغيبية، وهذه الخلافة من أعظم الأمور الإلهية وأشرف سلطات الله، ومفتاح الغيب. والشهود، وباب الظهور والوجود. وهذه الخلافة هي روح الخلافة الإنسانية الكاملة وأصلها وأصلها؛ ومن هذه الخلافة يبدأ سريان الخلافة في عوالم الوجود.

يقول حضرة الإمام بعد هذه المناقشة:

وهذه الخلافة ليست فقط روح وجذر وبداية الخلافة المحمدية، بل هي أيضا أساس الخلافة في عوالم الوجود كافة، ومبدأ سريان الخلافة والخليفة والاستخلاف ينبع من هذه الخلافة. (امام خمينى، ١٣٧٦ ش، ص ٢٧)

لقد تحدث حضرة الإمام رحمه الله بأفصح وأوضح وأشمل من غيره عن ظهور الولاية الإلهية والخلافة في الإنسان الكامل فقال في هذا السياق: لا يتجلى الله تعالى بكل شؤونه إلا على الإنسان الكامل؛ لأن سائر مخلوقات الوجود كل منها مظهر لاسم معين؛ لكن يثرب بشرية ومدينة النبوة، لأنها لا تتوقف عند أي منصب خاص، ولذلك أصبحت صاحبة السلطة العلوية المطلقة، وهي الأمور الإلهية كلها وتستحق الخلافة الشرعية. (امام خمينى، ١٣٧٤ ش، ص١٤٩)

و قال في موضع آخر:

... وهذه الخلافة التي تعرفتم عليها هي حقيقة الولاية التي هي رب الولاية العلوية، والولاية العلوية تتحد مع حقيقة الخلافة المحمدية في الأمور والأشخاص. (امام خمينى، ١٣٧٦ ش، ص ٣٦)

**الانسجام الوجودي للإنسان الكامل مع حقيقة القرآن الكريم**

وهناك مسألة أخرى بارزة جداً في معالجة الإمام الخميني الصوفية للإنسان الكامل، وهي مسألة الانسجام والتوافق الوجودي للإنسان الكامل مع القرآن الكريم. والنقطة التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار أولاً في هذا السياق هي أنه إذا قيل إن "حقيقة كلمة الله لا تعلو على حقيقة إنسان كامل"، فهذا يعني أن درجة الوجود الخارجي لكلمة الله ليست أعلى من حقيقة الإنسان الكامل. الكلمة تعلو على درجة وجود خليفة الله، وهي غير موجودة، وكل واحد منهم من الوجود الغيبي مرّ بمراحل ومنازل حتى وصل إلى نشوة الطبيعة.

قال الامام الخميني رحمه الله: وكما قلت عن القرآن فإن القرآن – وهذا في الأحاديث – نزل على منازل مختلفة، مجموعه سبعة أو سبعون أو أكثر، حتى وصل إلينا في كتاب. وحضرة امير عليه السلام كذلك؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا. لقد مر بمراحل، نزل، نزل من الوجود المطلق، نزل من الوجود الشامل، نزل حتى وصل إلى عالم الطبيعة. (*امام خمینی*، ١٣٧٨ ش، دفتر ١٢: ص٢١٠)

وهذا الكلام للإمام رحمه الله في الواقع قد روى معنى ومضمون ذلك الحديث الخفيف الذي قاله النبي الكريم صلى الله عليه وسلم:

وقد أخبرني الله تعالى أن القرآن والعترة لن ينفصلا عن بعضهما أبدا.

ثم، لكي يشرح ويفهم هذا الانسجام الوجودي بين الإنسان الكامل والقرآن الكريم، جمع بين إصبعيه السبابة وقال: إن القرآن والعترة مثل أصبعي هاتين، متساويان. وليس مثل السبابة والوسطى، ففيهما فضل على الآخر. (مجلسی، ١٤٠٣ ق، ج ١٣: ص١٠٣)

ومن حالات الانسجام بين الإنسان الكامل والقرآن الكريم ما ورد في كلام بعض الحكماء من أن القرآن الكريم نزل على الناس من قبل الله عز وجل بألف حجاب و ولو فرضاً لم ينزل على العرش إلا حرف الباء "بسم الله" بنفس عظمته كما هو في اللوح المحفوظ، لذاب العرش وهدم بسبب نور حقيقته الوجودية؛ ناهيك عن سماء الدنيا. (صدرالدين شيرازی، ١٣٦٨ش، ج٧: ص٣٠)

وبعد هذا القول كشف الإمام رحمه الله المزيد عن حقيقة وملكوت وجه القرآن الكريم وكشف وجه الإنسان الكامل فقال:

كما نزل من عالم الغيب كتاب الخلق الإلهي والقرآن الناطق – الإنسان الكامل – بسبعين ألف حجاب، وحملوا معهم كتاب الحق، وقاموا لهداية البشرية وإنقاذها. وتضمن سعادته، وإذا كان هذا الكتاب –إنسان كمال– إذا سقط حجاب من النور عن

وجه الوجود، فلا شك أنها انهارت أركان السماء والأرض، وتفكك وجود الملائكة الإلهية؛

ولا يخفى على أهل الفكر أن نتائج علمية كثيرة – مباشرة وغير مباشرة – يتم الحصول عليها من هذه النظرة العميقة للإمام رحمه الله في الانسجام الوجودي بين القرآن والإنسان الكامل.

ومن هذه النتائج أن القرآن الكريم والإنسان الكامل، باعتبارهما تجليين إلهيين كاملين في نظام الوجود، ليسا متماثلين من حيث الوجود فحسب، بل كل منهما مفسر ويظهر حقيقة الآخر. أي أنه لو لم يكن قلب الإنسان الكامل، لما كان هناك مكان لظهور وإعلان الحقائق المنزلة؛ لأن الوجود بين الملك ومكان ظهوره ونزوله شرط لنزول الوحي ومجيء الملك الإلهي، وليس كل قلب يمكن أن يكون مكان نزول الملك واستقبال حقائق الوحي ; ماذا لو لم يكن الشخص كاملاً، فلن يتم تلقي رسالة الوحي بشكل جيد. ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ذلک القرآن، فاستنطقوه؛ ولن ينطق و لكن أُخبركم عنه»(نهج البلاغه: الخطبه١٥٨)

**النتائج:**

والذي يظهر من مجمل فكر الإمام رحمه الله، وخاصة هذين المقطعين من كلامه، هو أن:

**أولاً:** ليس فقط مصدر وينبوع الخلافة والولاية للإنسان الكامل، أسماء حق سبحانه وصفاته، بل أصلها في الأسماء الإلهية.

**ثانياً:** كما أن هناك وحدة وجودية بين الحقيقة المحمدية والعلوية، فإن هناك أيضاً هذا الانسجام بين الولاية والخلافة بينهما، ولا يكون اختلافهما إلا في المظهر والظهور. أي

أن الولاية والخلافة العلوية، سواء في نشوة الخلق أو في عالم التشريع، هي مظهر من مظاهر الخلافة والولاية المحمدية، وهذه حقيقة ثبتت في مكانها بالأسباب والبراهين الكثيرة.

ولم يكتف حضرة الإمام رحمه الله بهذا المستوى من إسناد الإنسان الكامل إلى الصفات الإلهية وأبدى رأياً مدهشاً في هذا الصدد فقال:

وفي رأيي أن ضرورة الوجود وسائر الأمور المذكورة كلها ثابتة بالنسبة للإنسان الكامل الذي هو تجلي الاتمّ الإلهية؛ والفرق الوحيد بين ما هو للإنسان الكامل وما هو موجود لله من حيث وحدة الجوهر هو نفس الفرق بين الظاهر والمظهر، والوحدة والاختلاف، والغيب والشهادة. ولذلك فإن جميع الأسماء، سواء أكانت متأصلة أم لا، ستظهر في ظهور الاتمّ- الإنسان الكامل. (امام خمينى، ١٤١٠ ق: ص٢٥٩)

## المصادر:


١. امام خمینی (١٣٧٤ ش)، *شرح دعاء السحر*، مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی.

٢. امام خمینی (١٤١٠ ق)، *تعلیقات علی شرح فصوص الحکم و مصباح الانس*، امام خمینی، مؤسسه پاسدار اسلام، ١٤١٠ ق.

٣. امام خمینی(١٣٧٨ ش)، *صحیفهٔ امام*، امام خمینی، مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی.

٤. ابن علی بن بابویه قمی، محمد(١٤١٦ ق)، *التوحید*، شیخ صدوق، قم، مؤسسة النشر الاسلامی.

٥. جامی، ملاعبدالرحمن جامی(١٣٧٠ش)، تهران، مؤسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی، تهران، مؤسسه مطالعات و تحقیقات فرهنگی.

٦. امام خمینی (١٣٧٨ ش)، *سیمای معصومین در اندیشه امام خمینی*، تبیان، دفتر دوازدهم، مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی.

٧. صدرالدین شیرازی، محمدابراهیم(١٣٦٨ش)، *الحکمة المتعالیة في الأسفار العقلیة الأربعة*، محمد بن ابراهیم، منشورات مصطفوی.

٨. قیصری، محمد داود(دون التاریخ)، *شرح فصوص الحکم*، چاپ سنگی.

# منشأ الرؤيا عند ابن عربي

ريم جورية[1]

حمزة على إسلامي نسب[2]

**ملخص**

تحتل الرؤيا مكانة هامة في القرآن والسنة و الفلسفة والعرفان و لكونها موجودة في صنف البشر على الاطلاق. تعتبر الرؤيا جزءًا من أجزاء النبوة في حقِّ الأنبياء، فالرؤيا الصادقة مبدأ الوحي و ما هي بأضغاث أحلام و لا تكون إلا في حال النوم حيث كان الانبياء يوحَى إليهم في منامهم، كما يوحى إليهم في اليقظة. ورد عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأن رؤيا المؤمِن جزءٌ من ستَّة وأربعين جزءًا من النبوة، وما كان من النبوَّة فإنَّه لا يكذب. اما في القرآن الكريم فقد وردت لفظة الرؤيا بمشتقاتها المختلفة (١٤) مرة و سرد القرآن الكريم عدة رؤى للأنبياء و الصالحين و تناول تفسيرها و تعبيرها مبيناً بأن الرؤى وتفسيرها هو احد العلوم الشريفة. و لان الرؤيا في الاصل مسالة قرآنية مرتبطة بالوحي وتلقي الحقائق الغيبية، انتقلت أهميتها الى العرفان وتناول العرفاء تفسيرها وتحليلها لكونها من جهة مرتبطة بعوالم الوجود و عالم الخيال خاصة و لعلاقتها الوثيقة بالجهاز المعرفي عند الانسان و قوى النفس و خاصة قوة الخيال من جهة أخرى و دورها بتلقي الامور الغيبية من جهة ثانية. الرُؤْيَا في اللغة يعني ما يراه النائم و الرؤيا الصادقة في الاصطلاح العرفاني هي أول طريق لكشف الغيب، فهي نوع من الكشف المرتبط بصفاء القلب ولا شكّ أنّ جميع كرامات (الأولياء) و مكاشفاتهم من

---

[1] . طالبة في قسم التفسير وعلوم القران، ماجستير

[2] . استاذ مساعد في جامعة المصطفى العالمية. islaminasab@hotmail.com

ظلال النبوّة. و من حيث أن ابن عربي من كبار العرفاء الذين تركوا العديد من الآثار و التي بحثت و فسرت هذه المسألة و مدى ارتباطها بعالم الغيب. فإن هذا المقال سوف يتناول تبيين منشا هذه المسالة بجانبها العرفاني من وجهة نظر ابن عربي.

الكلمات المفتاحية: منشأ، الرؤيا، منشأ الرؤيا، ابن عربي.

**مقدمه**

تحتل الرؤيا موقعاً هاماً في حياة الإنسان بشكل عام وفي مختلف العلوم كالفلسفة والعرفان بشكل خاص، حيث تعتبر الرؤيا في العرفان نوعاً من انواع التمثل (كتمثل الملائكة، والشياطين، الوحي، الكشف وتجسم الاعمال) الذي لا ينفصل بدوره عن النظرية المعرفية من جهة والوجودية من جهة اخرى وذلك في العرفان بشكل عام وعرفان ابن عربي بشكل خاص. يرتبط التمثل من الناحية الوجودية بعالم المثال ارتباطًا وثيقًا، كما يتعلق من الناحية المعرفية بالحواس الظاهرية والباطنية للإنسان، وخاصة قوة الخيال والمتخيلة. لذلك، من أجل فهم منشا الرؤيا من وجهة النظر العرفانية لابن عربي كان لا بد من تبيين التمثل من الناحية المعرفية ومن الناحية الوجودية على حد سواء. ما يراه النائم في نومه يختلف باختلاف منبع الرؤيا فقد يكون ربانياً متعلقاً بعالم الغيب، وقد يكون شيطانياً، أو حديث نفس. من خلال بحثنا في آثار ابن عربي وباتباع التحليل النظري والتوصيفي عن الرؤى الصالحة وجدناها تتحقق من خلال تمكين الاتصال بعالم الغيب الذي لا يمكن ان يتم بدون تطوير أداة معرفية عند الإنسان ألا وهي عالم الخيال المتصل او المقيد او ما يطلق عليها قوة الخيال، تمكنه من تلقي ما يتنزل من حقائق غيبية تظهر في عالم الخيال المطلق او المنفصل.

**الرؤيا:**

يقضي الإنسان ثلث حياته في النوم، والذي فيه تسكن حواس الإنسان الظاهرة وينخفض فيه نشاط الإنسان الذي يمارسه وهو مستيقظ إلى أدنى حدوده سواء من الناحية الحركية أو من الناحية الفكرية الذهنية. يرى الإنسان أثناء نومه كل يوم منامات مختلفة وذلك من خلال انقطاع حواسه الظاهرية عن العالم الخارجي وتفرغ نفسه إلى ماقد يراه من عالم الغيب والتي يعبر عنها بالرؤيا الصالحة أو مايره في نومه من حديث نفس أو وسوسة شيطان. الرؤيا لغة: مشتقة من فعل رأى والرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ والحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالرُّؤْيَا والحُلْمُ عِبَارَةٌ عَمَّا يَرَاهُ النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ مِنَ الأَشياء، وَلَكِنْ غَلَبت الرُّؤْيَا عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّيْءِ الْحَسَنِ، وَغَلَبَ الحُلْمُ عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْقَبِيحِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: أَضْغاثُ أَحْلامٍ.(ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١٤: ص ١٤٥) عَبَرَ الرُّؤْيا يعبرها عَبْراً وعِبارة، ويُعبِّرُها تعبيراً ،إذا فسَّرَها، ومفسِّر الرُّؤيا يأخُذُ بها من وجهٍ إلى وجهٍ، كأن يُسأل عن الماء، فيقول: «حياة. فهو في هذا قد عبر من شيء إلى شيء آخر».(ابن فارس، ١٤٠٤ق ، ج٤: ص ٢٠٨) الرؤيا في الاصطلاح القرآني هي ما يرى في المنام وروي : «لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ اَلرُّؤْيَا ». كما جاء في كلام الحق تعالى قوله: لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ اَلرُّؤْيا بِالْحَقِّ(الفتح: ٢٧)، وَما جَعَلْنَا اَلرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْناكَ.(الإسراء:٦٠) (راغب اصفهاتي، ١٤١٢ق، ص ٣٧٥) في الاصطلاح العرفاني، يرى ابن عربي بأن الرؤيا هي واقعة من الوقائع التي هي المبشرات و الرؤيا الصادقة فهي ليست بأضغاث أحلام، بل جزء من أجزاء النبوة وبذلك يحصل للمكاشف كشف الميزان الذي بيد الحق الذي يخفض به و يرفع.

منشأ الرؤيا:

تاتي كلمة المنشا في اللغة من نشأ، والنشأ: أحداث الناس الصغار. يقال للواحد: هو نشأ سوء، وهؤلاء نشأ سوء، والناشئ: الشاب، يقال: فتى ناشئ، ولم يقال هذا في

الجارية، والفعل: نشأ ينشأ نشأ ونشأة ونشاءة. (فراهيدي، ١٤٠٩، ج٦: ص ٢٨٧) المنشا كذلك له معنى آخر، يقال: أَنْشَأَه اللَّهُ: خَلَقَه. ونَشَأَ يَنْشَأُ نَشْأً ونُشُوءاً ونَشَاءً ونَشْأَةً ونَشَاءَةً: حَيِيَ، وأَنْشَأَ اللهُ الخَلْقَ أَي ابْتَدَأَ خَلْقَهم. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرى؛ أَي البَعْثةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١: ص ١٧٠) من خلال ما تقدم من معاني المنشأ في اللغة نستخلص معنى المنشا العلية والإيجاد من جهة والبداية والابتداء والتربية من جهة ثانية، وهذا الامر لا يختلف عن المعنى الاصطلاحي فالمنشأ في الاصطلاح ياتي من نشأ ونَشَأَ فلان، واَلنَّاشِئُ يراد به الشَّابُّ، وقوله: إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً(المزمل: ١١) يراد به القيامَ والانتصابَ للصلاة، ومنه: نَشَأَ السَّحابُ لحدوثه في الهواء، وتربيته شيئاً فشيئاً. بالتالي وبحسب ماورد من المعاني اللغوية والاصطلاحية يكون المعني بمنشأ الرؤيا هو علية وأصل الرؤيا وتحققها. تعتبر الرؤيا في العرفان نوعاً من أنواع التمثل وبالتالي لمعرفة منشأ الرؤيا لا بد لنا من معرفة التمثلوآلية تحققه.

التمثل في العرفان وعوالم الوجود:

يشتق التمثل في اللغة من الفعل الثلاثي مَثُلَ وتمثّل شيء لشيء آخر بمعنى تصور او تشخص.(الطباطبايى، ١٣٥٢ش، ج ١٤: ص ٣٦) أما التمثل في الاصطلاح فهو تشخص المعاني و تجسّد الحقائق والأرواح من قبل الحق تعالى في خيال المشاهد والرائي. (جندى، ١٤٢٣ق: ص ٥٧٢) بعبارة أخرى، إن التمثّل هو تنزّل الحقائق الإلهية بصور خياليه حتى تعرفها الناس بقدر وسعتهم ومقامهم. (التلمسانى، ١٣٧١ش، ج٢: ص ٣٦٦)

وفقًا للعرفاء، فإن عوالم الوجود وعوالم الوجود الإنساني هي ثلاثة. فكما أن عوالم الوجود تقسم إلى عالم المادة، وعالم المثال ، وعالم الغيب ، كذلك عوالم الوجود الانساني تقسم إلى عالم الحس ، وعالم المثال ، وعالم الغيب. يعتقد العرفاء ، كما الفلاسفة ، بأن عالم المثال يعد عالماً وسيطاً بين عالم المادة وعالم الغيب أي أنه ليس مجردًا ولا ماديًا ، وبالتالي ليس خالياً بالمطلق من آثار المادة.

إضافة إلى ذلك، توجد علاقة بين عوالم أو مستويات الوجود الإنساني وعوالم الوجود، بحيث تُدرك عوالم الوجود من قبل عوالم الوجود الإنساني، ووسيلة الاتصال بين هذه العوالم هي حواس الإنسان الذي يملك خمس حواس ظاهرية وأخرى باطنية يعتمدها السالك دائماً في سيره إلى الحق تعالى.

فيما يتعلق بالتمثل يؤخذ عالمين بعين الاعتبار، أحدهما في الإنسان (عالم المثال الإنساني) والآخر في عالم الوجود (عالم المثال). يسمى عالم المثال الإنساني "المثال أو الخيال المتصل" أو "المثال المقيد" أو "الابدان المعلقة" وعالم المثال يسمى "المثال أو الخيال المنفصل" أو "المثال المطلق" .. عالم الخيال أو المثال المتصل هو القوة الخيالية للإنسان ومن حيث أن هذه القوة مرتبطة بالإنسان سمي هذا العالم بالمتصل ، أما عالم الخيال المنفصل فهو يتعلق بعالم الوجود ومنفصل عن الإنسان.

يشمل عالم المثال المطلق أو المنفصل، جميع الآثار الدنيوية والأخروية، وذلك لوجود كل موجودات عالم المادة في عالم المثال المنفصل وكذلك تجسد الاعمال في الآخرة تتحقق فيه.

اما عالم المثال المتصل او المقيد فهو على نوعان: أحدهما مقيد بالنوم والآخرغير مقيد به، ولكنه مشروط بغياب أو ضعف الحس. في النوع الأول يرى الإنسان في منامه الصور المثالية، وفي النوع الثاني تحدث الواقعة للسالك وهو في حال بين النوم واليقظة وفيها

يشاهد اموراً غيبية بحيث تختفي معها الامور المحسوسة. فالواقعة هي ما يرد إلى القلب من عالم الغيب سواء كان كلاماً أو مثالاً. (ابن عربى، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ١٣٠) بالنسبة لما يراه للأنبياء انما هو الصور المثالية المرئية فى النوم والخيال ثم يترقون الى أن يروا الملك في المثال المطلق او المقيد فى غير حال النوم لكن مع نوع فتور فى الحس.

إن عوالم الوجود الإنساني مرتبطة بعوالم الوجود، ويتحقق هذا الارتباط من خلال السير والسلوك وتقوية الحواس الباطنية للسالك. يرى السالك في البداية صوراً ومدركات مثالية في نفسه ( عالم الخيال المتصل)، وعندما يترقى في مراتب سيره وسلوكه يرى الموجودات المثالية في عالم المثال المطلق. لذلك فإن نقاء وطهارة الحواس الباطنية هي سبب في ترقي الإنسان ومعه ينتقل الإنسان من مقام إلى آخر. إنه يصعد من عالم الخيال المتصل إلى عالم الخيال المنفصل، وينتقل من رؤية الصور والمدركات المثالية في العالم المثال المتصل إلى مشاهدة الموجودات المثالية المستقلة في عالم المثال المنفصل. وبالتالي يتحقق التمثل في كلا عالمي المثال سواء المتصل أو المنفصل. تجدر الإشارة إلى أن عالم المثال المنفصل على نوعين؛ أحدهما هو البرزخ النزولى في السير النزولى والآخر البرزخ الصعودى في السير الصعودى، حيث يختلف موقع كل من هذين العالمين في نظام الوجود، ليختلف معها منشأ الصور المثالية في كلا السيرين، فمثلاً، يرتبط كل من الثواب والعقاب ، النار والجنة، والتكامل بالبرزخ الصعودي، بينما تتعلق الأحلام والرؤى والمعجزات بعالم المثال النزولي ولا يطرح أي منها كقضية تبحث بالارتباط مع عالم المثال الصعودي. (حسن زاده آملى، ١٣٨٧ش، ج ٣، ص ٦٨٤)

يؤكد قيصري في مقدمته على تفاوت عالمي المثال المنفصل وينقل عن ابن عربي اختلاف البرزخ الذي ياتي بعد الانفصال عن النشاة الدنيوية عن ذلك البرزخ الذي يقع

بين الارواح المجردة والأجسام المادية أي عن عالم المثال المنفصل الموجود بين عالم الغيب وعالم الشهادة. يطلق ابن عربى، على البرزخ الصعودى (الغيب المحالي) كما يسمي البرزخ النزولي (الغيب الإمكانى)، ذلك أن كل ماهو موجود في البرزخ النزولي من الممكن أن يظهر في عالم الشهادة في حين أنه من المحال ماهو موجود في البرزخ الصعودي أن يعود ويظهر في عالم الشهادة ولذلك كثير من الناس شاهدوا عالم المثال المنفصل وقليل جداً من رؤوا عالم المثال العروجي. (قيصرى، ١٣٨٧ش: ص ٩٢)

الحواس الظاهرية والباطنية في العرفان

الحواس الظاهرية والباطنية هي الادوات الانسانية لاكتساب المعارف ودراسة العلوم. في هذا الصدد ، يعتقد العرفاء، كما الفلاسفة، بأن النفس مجردة ذات قوى والتي من خلالها تقوم بعملها، لكن العرفاء لم يولوا اهتمامًا كبيرًا لكيفية الإدراك وسيره ولم يطوروا أبحاثاً مفصلة حوله، بل بالأحرى كان تركيزهم على شرح دور قوى النفس في الكشف، الإلهام والشهود، لأنها لا تتحقق من خلال القوة العاقلة الانسانية. (تبعه ايزدى، ١٣٨٣ش: ص ٢٣)

يشير ابن عربي في كتاب الفتوحات المكية إلى الحواس معتبراً العقل والحواس الظاهرية مصادراً للمعرفة. يعرف مصادر وجذور العلم بستة حواس؛ البصر والسمع والشم واللمس والذوق والفكر. من وجهة نظره فآن العقل لا يحتاج إلى أي قوة للإدراك، حيث تعتمد هذه القوة العاقلة على عدة امور للإدراك؛ فهي تدرك بجوهرها وتعتمد التفكير الصحيح القائم على الحواس الخمس والضروريات والبديهيات.(ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ١: ص ٢٢٠)

في مكان آخر من نفس الكتاب، يسمي ابن عربي قوى النفس الأخرى، مثل القوى الطبيعية المدبرة للبدن والقوى الروحية الباطنية مشيراً إلى القوى الغاذيه، الماسكه، الهاضمه، الدافعه، الناميه، الحاسه، الخيال، الوهم، الحفظ والذكر، ويؤكد على

الاشتراك القائم بين الإنسان والحيوان في كل هذه القوى، وهذا يدل على الجانب الحيواني للإنسان وليس إنسانيته. من وجهة نظر ابن عربي، على الرغم من هذا الاشتراك بين الحيوانات والبشر في تلك القوى، لكن هناك بعض الاختلاف وهو أن قوى الخيال والوهم والتذكر والحفظ أقوى في الإنسان منها عند الحيوانات، والمهم هو أن ما يميز الإنسان عن الحيوان ليس هذه القوى المذكورة، بل القوى الثلاثة التالية التي وضعها الله في اصل خلقة الإنسان ألا وهي: المصورة، المفكرة والعاقلة. لقد خلق تعالى تلك القوى في الإنسان ليصل إلى إنسانيته، وهذه الإنسانية تميز الإنسان عن غيره من الكائنات. يعتقد ابن عربي أن الإنسان يصل إلى إنسانيته عندما تشبه روحه العاقلة خالقه وذلك بواسطة قواه. أي أن القوى هي أدوات النفس العاقلة للوصول إلى الكمال. لقد جعل الله تعالى جميع القوى في البدن كأدوات للنفس العاقلة لتحقيق جميع المنافع المادية والمعنوية، ليتبعها بخليقة أخرى في الإنسان ألا وهي الإنسانية. لقد جعل الله هذه القوى في الإنسان حتى يكون حياً، سميعاً ، مريداً ، متكلماً، بصيراً. يؤمن ابن عربي بوحدة النفس وقواها، وهذه القوى في نظره هي النفس ذاتها والحق تعالى قد جعل لمطلق الانسان والانسان الكامل (الخليفة) ثلاث قوى كل منها لها حضرة خاصة بها وهي: الوهم، العقل وقوة الفكر. يبين ابن عربي العلاقة بين القوى الخاصة بالإنسان (المصوّرة ، المفكرة ، والعاقلة) بطريقة تجعل القوة المصوّرة الموجودة في الخيال تعمل تحت إمرة قوّتي العقل والوهم. أي أن القوة المصورة إما تعمل بأمر العقل بواسطة قوة الفكر أو بأمر وحكم الوهم. ينقل الحس ما يدركه إلى الخيال، وتركب القوة المصورة ما تريد تركيبه حتى لو لم يكن موجودًا في الحس. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٣: ص ٣٦٤) يثبت ابن عربي ان العقل لا يكفي لفهم الأشياء المجردة في هذه النشأة الدنيوية، معتقداً بأن الوهم أقوى من العقل في هذه النشاة لأن العقل لا يقبل أي معنى مجرد دون تصور، والتصور ليس إلا الصورة الذي يحكم فيها الوهم. لذلك، فإن العقل متعلق بالوهم في

عملية الإدراك. ونتيجة لذلك، لا يدرك العقل الامور المجردة عن المادة (المعاني)، ولهذا السبب أرسل الحق تعالى الأنبياء عليهم السلام حتى يكونوا في حضرة الخيال ليجمعوا بين المعاني المجردة والمادة في المحسوسات. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٣: ص ٣٦٤)

من وجهة نظر العرفان، لا تكفي القوى الظاهرية والباطنية للإدراك، بل يحتاج الإنسان إلى أداة تسمى القلب يصل من خلالها إلى الحقيقة. لا يحتل القلب في العرفان مكاناً معرفياً وإمارة على الأعضاء وملكها فحسب، بل هو حقيقة روح الإنسان ومقرُّ معرفة الله تعالى، فالقلب ليس تلك المضغة المشكلة من لحم ودم، لشراكة الإنسان فيه مع الموتى والماشية، بل هو ذلك الجوهر النوراني البرزخي بين النفس الناطقة والروح التي هي باطن القلب وحاملها النفس الحيوانية الظاهرة. القلب عند ابن عربي هو رئيس البدن الذي يُخاطب به الإنسان ويتلقى ويدرك ويتعقل الامور الإلهية. القلب هو الملك المطيع الذي يتمتع بولاية عامة على جميع القوى الروحية والحسية، وبهذه الولاية يحفظ العبد حق الله تعالى ويعبده، ويبتعد عن المحرمات التي لا ترضيه جل وعلا. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٣: ص ٣٣٦)

يعرّف ابن عربي وسيلتين لتطهير القلب ورفعته في العالمين. الأولى، الإيمان الذي يزيل الحجاب، والثانية المعرفة التي تنقذ القلب وتحرره من الجهل والشك والرياء. وفقًا لابن عربي، فإن القلب لا يعد فقط مقاماً للمعرفة الإلهية في الإنسان، ولكن الإنسان عندما يصل إلى الكمال (الانسان الكامل) يصبح قلباً بحد ذاته. بمعنى أن الإنسان الكامل هو موقع السعة الإلهية والذي يحتل المكانة بين الله تعالى والكون وهو المقصود في الحديث القدسي للحق سبحانه وتعالى بقوله: «لا يسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن». (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٣: ص ٢٩٥)

قوة الخيال والمتخيلة وعلاقتها بالرؤيا عند ابن عربي

إن للخيال عند ابن عربي استخدامات مختلفة ومتنوعة نجملها بقسمين: الاول، وهو الخيال بمعنى ماسوى الله والذي لا يعنى به بأن كل ما في هذا العالم ليس إلا وهم أو خيال، بل هو الوجود الظلي للحق تعالى، فيما ينحصر الوجود الحقيقي بالحق جل وعلا. فيما يتعلق بالقسم الثاني فيقسمه ابن عربي إلى أربعة أقسام: الخيال المطلق (العماء)، الخيال المحقق، الخيال المنفصل (وهو العالم الوسيط بين عالم الغيب والشهادة) والخيال المتصل (هو إحدى قوى الإدراك الحسي عند الإنسان). (حكيم، ١٩٨١م: ص ٤٤٩) مايهمنا في بحثنا ومايتعلق بالرؤيا هو الخيال بشقيه المتصل والمنفصل، فالأول يعمل كقوة إدراك إنسانية والثاني يشكل عالماً منفصلاً عن النظام الإدراكي عند الإنسان. فالخيال المنفصل هو عالم له حضور ذاتي متجلي في الحس، فيما يعرف الخيال المتصل بأنه قوة من قوى الإدراك الإنساني القادرة على خلق الصور.

أما فيما يتعلق بعلاقة القوى الإدراكية الانسانية بالعوالم، يرى ابن عربي بأن قوة الخيال والمتخيلة هي من بين القوى الإدراكية للإنسان اللتان تشكلان وسيلة الاتصال مع حضرة الخيال، ولكن معظم الناس لا يستطيعون دخول تلك الحضرة إلا إذا كانوا نائمين، لأن قوة الخيال والمتخيلة تعملان في النوم بشكل صحيح. أما خواص الناس فلا يدخلون حضرة الخيال فقط في النوم بل أيضًا في حالة اليقظة، وهذا يرجع إلى قوة تحقق قوة المتخيلة لديهم. يعتقد ابن عربي بأن قوة المتخيلة هي إحدى القوى الإدراكية التي جعلها الحق تعالى في وجود الإنسان، وأن حضرة الخيال حقيقة موجودة في الإنسان الذيد يمتلك القدرة على التصرف بها أكثر من المعاني والموجودات الروحانية الموجودة في الملأ الأعلى. لذلك لا ينبغي للإنسان أن يكتفي فقط بالمعاني، لأن

المعاني والموجودات الروحية لا تمتلك قوة المتخيلة في نشئتها كما يمتلك هو، فهذه القوة تختص بالإنسان دون غيره من الموجودات. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٣: ص ٤٢)

ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية يؤكد على مسألة ارتباط مقام الإنسان وإدراكه لحضرة الخيال المنفصل، والذي هو حضرة مستقلة تتنزل فيها المعاني والأرواح على هيئة صور. بعبارة أخرى، بقدر مقام العبد يكون إدراكه من هذه الحضرة، فتكون درجته بحسب ما اعتقده من ذلك المقام. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٢٩٦)

عالم المثال (الخيال المنفصل):

بالنسبة لابن عربي، فإن الخيال المنفصل، هي الحضرة الجامعة والشاملة، والعالم الذي يتجلى فيه الله سبحانه وتعالى بالصور (بأي صورة شاء). عالم الخيال المنفصل هو عالم الحقائق والتركيب فيه تتمثل الموجودات الروحانية (الملائكة والأجنة) بهيئة صور، كتمثل جبريل عليه السلام لمريم عليها السلام بهيئة إنسان سوي وتمثل الملائكة كضيوف لسيدنا إبراهيم عليه السلام. تكتسي المعاني في عالم الخيال المنفصل بكسوة الصور، حيث تتنزل على هيئة قوالب حسية، وأياً كان ما يظهر في حضرة الخيال المنفصل، فهي أجساد (وليست أجسام) والتي لا يمكن تحديدها (أي الأجساد) إلا بقوة إلهية يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده. أما الخيال المتصل فهو قوة المتخيلة والتي من خلالها يمكن للمرء أن يدخل في حضرة الخيال المنفصل، سواء في اليقظة أو في النوم.

١. مكان الرؤيا وحالها وتجلي الله في صورها

يعتقد ابن عربي بأن النوم هو حال الرؤيا وهو الغيبة عن المحسوسات الظاهرة. يأخذ الإنسان وحواسه بموجب هذه الغيبة (النوم) قسطاً من الراحة، ذلك أنه في حال اليقظة يكون دائم الحركة، فجعل الله تعالى النوم راحة لتستريح آلات وجوارح وأعضاء البدن لما كانت قد تعبته في حال اليقظة وجعل زمانه الليل وإن وقع بالنهار كما جعل النهار

للمعاش و إن وقع بالليل. مايحدث في الرؤيا هو انتقال الآلات البدنية من ظاهر الحس إلى باطنه، لتشهد ما تم تقريره في خزانة الخيال التي جُمعت فيها ما كان قد رفعته إليها الحواس مما أخذته من المحسوسات وما صورته القوة المصورة التي تعد أحد خدم هذه الخزانة وذلك لتتمكن هذه النفس الناطقة والتي وهبها الله هذه المملكة من أن تطلع على ماتجمع في خزانتها، وهذه هي عادة الملوك يدخلون خزائنهم في أوقات خلواتهم ليطلعوا على ما فيها. يبين ابن عربي كمال خزانة الخيال وهذه النشأة وارتباطها بكمال الآلات والجوارح البدنية. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٣١١)

من وجهة نظر ابن عربي فإن النوم يحدث فيه نوعين من الانتقال: انتقال الحواس من الظاهر المحسوس إلى حضرة الخيال بالظاهر المحسوس، وكذلك انتقال المعاني حيث تنتقل من تجريدها عن المواد إلى لباس وصور المواد كظهور الحق في صور الأجسام والعلم في صورة اللبن و ما أشبه ذلك، فمن وجهة نظر ابن عربي، فإن الله سبحانه وتعالى يتجلى في صور خزانة الخيال فكل ما يراه النائم في نومه إنما هو تجسد للمعاني في صور المحسوسات، لأن حقيقة الخيال تقتضي أن يتجسد كل ما ليس من شأنه أن يكون جسداً. يبين ابن عربي بأن حضرة الخيال لها هذه الحقيقة وما من حضرة تعطي الأمر على ما هو عليه سوى هذه الحضرة الخيالية، فإذا رأى الإنسان رؤيا في نومه لا يشك في صورها ذلك أن الصورة حق ومن تجليه تعالى. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٣٧٨)

لابد من الإشارة إلى أن وقوع الرؤيا من وجهة نظر ابن عربي لا يتعلق فقط بعالم الخيال المتصل والمنفصل فحسب بل هناك كذلك ملكاً موكلاً بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا تكون بحوزته صور الأجساد التي من خلالها يدرك النائم فيها نفسه وغيره وما يحدث من تلك الصور من الأكوان. والملفت للنظر هنا هو أن الإدراك هنا تابع

لمقام النائم فإذا كان هذا النائم من أهل الفناء في الله فإن المحسوسات لا تقف حائلاً بينه وبين مافي يد هذا الملك من الصور لا في النوم ولا في اليقظة. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٣٧٧)

يتابع ابن عربي حديثه حول كيفية إدراك النائم للرؤيا والصور الموجودة بيد الملاك، هذا الإدراك إنما يتم من خلال ما سماه اللطيفة الإنسانية والتي تنتقل بقواها عبر الحضرات من المحسوسات إلى الخيال المتصل الموجود في مقدم الدماغ ليفيض عليها هذا الملاك بالصور من الخيال المنفصل بإذن الحق سبحانه وتعالى. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٣٧٧) وهنا ابن عربي يحدد مايراه النائم من الصور والتي منها ما يتعلق بالله وما يوصف به من الأسماء، حيث يؤكد ابن عربي بأن المرتبة الاولى للصور والتي تنحصر بإرجاع الصورة إلى عين المرئي لا غير، لا يمكن ان يعتريها أي شيء من نقص أو قبح وماشابه ذلك على عكس المرتبتين الاخرتين والتي قد تظهر الصورة فيهما بشيء من الحسن والقبح والنقص والكمال. لا يكتفي ابن عربي بتحديد ماتتميز هذه المرتبة من الصور، بل يبين كذلك إلى أن ما ياتي من تلك الصورة من خطاب يكون بحسب ما يكون من حال الخطاب وبقدر ما يفهم منه أثناء الرؤيا ولايعبّر ولا يؤول بعد العودة الى عالم الحس إلا أن يكون المعبر عالماً بالتعبير سواء كان الرائي نفسه أو أن يسأل عالماً حول ما رآه. وبما أن هذا النوع من الصور هو حق فيجب أن يؤخذ بعين الاعتبار معاملة الرائي لها من الأدب و الاحترام وغير ذلك، ذلك أن حاله بحسب ما يصدر منه في معاملته وحركته مع تلك الصورة، حيث إنه من الممكن أن يشاهد الروح الذي بيده هذه الحضرة وقد لا يشاهده. أما فيما يتعلق بغير حال هذه الصورة الحق فإما أن تكون من الشيطان أو مما يحدث المرء به نفسه في حال اليقظة وهنا لا يعول على ما يراه من تلك الصورة إذا عبرت ما لم يعبرها عالم يتميز بقوة التعبير وهنا يكون للصورة حكم كما سيمر معنا فيما حدث مع سيدنا يوسف وصاحبي السجن اللذين كان يكذان في رؤياهما وما

كان ارتسم في خيال سيدنا يوسف عليه السلام هو الذي كان له الحكم فيما حدث لهما. (ابن عربي، ١٤٠٥ق، ج ٢: ص ٣٧٧)

النتائج

١. يرتبط منشأ الرؤيا في القرآن الكريم عند ابن عربي بعدة أمور: بعالم الخيال المنفصل المطلق من جهة وعالم الخيال المتصل المقيد من جهة أخرى، مع اقتران هذه المسالة عنده بمقام الإنسان وما يدركه من حضرة الخيال المنفصل، والذي هو حضرة مستقلة تتجسد فيها المعاني والأرواح على هيئة صور.

٢. يرتبط كذلك منشا الرؤيا بوجود بالرؤيا المسمى بالروح وهو دون السماء الدنيا تكون بحوزته صور الأجساد التي من خلالها يدرك النائم فيها نفسه وغيره وما يحدث من تلك الصور من الأكوان.

٣. محل الرؤيا ومكانها، هو النشأة العنصرية الحيوانية والعلم الإلهي أي أن محلها في هذه النشأة العنصرية المتعلقة بالإنسان ذلك أن الملائكة ليس لها رؤيا، ومحلها كذلك في العلم الإلهي من خلال الاستحالات في صور تجلي الحق سبحانه وتعالى.

٤. نرى أهمية القوة المتخيلة وتأثيرها على حياة الإنسان فهذه القوة خص الله تعالى الإنسان بها دون غيره من الموجودات. لتكون وسيلة لتلقي الحقاىق الغيبية كما في حالة الرؤيا.

## المراجع والمصادر

### المصادر العربية

القرآن الكريم

١. ابن عربی، محیی الدین(١٤٠٥ق)، الفتوحات المكية (١٤ مجلد)، ط٢، مصر، قاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب.
٢. ابن عربی، محیی الدین(١٤٢١ق)، مجموعة رسائل ابن عربي، ط١، لبنان، بيروت، دار المحجة البيضاء.
٣. ابن عربی، محیي الدین(١٤٢٢ق)، فصوص الحكم، تعليق الإمام الخميني، چ١، بيروت، لبنان، دار المحجة البيضاء.
٤. ابن فارس، احمد بن فارس(١٤٠٤ق)، معجم مقاييس اللغة، ط١، ايران، قم، مكتب الاعلام الاسلامی.
٥. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علی( ١٤١٤هـ)، لسان العرب، الطبعة الثالثة، لبنان، بيروت، دار صادر.
٦. ابو نصر طوسی، عبد الله بن علی(من دون تا)، اللمع فی التصوف، ط١، ايران، تهران، جهان.
٧. جرجانی، علی بن محمد(١٣٧٠)، التعريفات، چ۴، ايران، تهران، ناصر خسرو.
٨. جندی، مؤيد الدين(١٤٢٣)، شرح فصوص الحكم(الجندی)، چ٢، ايران، قم، بوستان كتاب.
٩. الحكيم، سعاد(١٩٨١م)، المعجم الصوفي، چ١، لبنان، بيروت، دندره

للطباعه.
١٠. راغب اصفهاني، حسين بن محمد(١۴١٢ق)، مفردات الفاظ القرآن، ط١، لبنان، بيروت، دار الشامية.
١١. طباطبائی، محمد حسين(١٣٥٢ش)، الميزان في تفسير القرآن، ط٣، لبنان، بيروت، موسسة الأعلمي للمطبوعات.
١٢. عفيف الدين سليمان بن علی التلمسانی(١٣٧١ش)، شرح منازل السائرين(التلمسانی)، ط١، ايران، قم، انتشارات بيدار.
١٣. الفراهيدي، خليل بن أحمد(١٤٠٩ق)، العين، تحقيق الدكتور مهدی المخزومي الدكتور ابراهيم السامرئي، الطبعة الثانية، ايران، الناشر: مؤسسة دار الهجرة.
١٤. فيروز آبادي، محمد بن يعقوب(١٤١٥ق)، القاموس المحيط، ط١، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

## المصادر الفارسية

١. حسن زاده آملی، حسن(١٣٨٧ش)، شرح فارسی الاسفار الاربعه، چ١، ايران، قم، بوستان كتاب.
٢. قيصری، داوود بن محمود(١٣٨٧ش)، شرح مقدمه قيصری بر فصوص الحكم، ترجمه حسين سيد موسوی، چ١، ايران، تهران، حكمت.

مقاله

تبعه ایزدی، مختار، «قوای روح از دیدگاه عرفـان»، خردنامـه صـدرا، شـماره ۳۵، بهـار ۱۳۸۳، ص ۲۳ -۳۰.

# الفلسفة تعريفها، موضوعها وغايتها عند العلامة الطباطبائي

علي سبت[1]

الملخص:

في هذا المقال تمّ تقديم رؤية واضحة عن تعريف الفلسفة، وموضوعها وغايتها، وفق رؤية العلامة السيد الطباطبائي في بداية الحكمة لقيمته الفلسفية ولما يقدمه من عرض تفصيلي يستوفي جميع جوانب هذا الموضوع. وهل الفلسفة شيئا واحدا ؟، فقد تأتي بألفاظ متعددة وتعني معنى واحدا، وقد تعني معاني مختلفة، وسوف نشير هنا إلى أهمية هذا المقال، وضرورة إعادة النظر في طريقة دراسة بعض المواد عن بعد، وأيضا ضرورة التركيز على طلاب كل تخصص وخصوصا الفلسفة والعرفان أن يحيطوا تفصيليا بتعريف العلم الذي يدرسونه وموضوعه وغايته وإعادة تقييم الخطط الدراسية والارشادية والنظر فيها.

وستجدون سر اختيارنا لهذا الموضوع، وما أهمية موضوع ربما مكرر؟وهل سيضيف لي شيئا؟ وما هي الحصيلة والنتائج التي سوف أخرج بها من قراءتي لهذا المقال؟ وحتما سيظفر، وسيجد طلاب الفلسفة في السنوات الأولى، هذا المقال نافعا ومفيدا لهم وسيوفر عليهم جهدا كبيرا. ولمزيد من التسهيل يمكنكم البحث في المقال عن الكلمات المفتاحية أو الكلمات الرئيسية، الفلسفة، موضوع الفلسفة، غاية الفلسفة، بداية الحكمة، الطباطبائي، الوجود، لتجدوا متعتكم مع هذا المقال.

---

[1] . طالب في جامعة المصطفى المفتوحة، قسم الحكمة ومطالعات الاديان

الكلمات الرئيسية: الفلسفة، التعريف، موضوع الفلسفة، غاية الفلسفة، العلامة الطباطبائي

**المقدمة:**

سوف نتعرض في هذا المقال الى أصل تسمية الفلسفة، وما ذا تعني كلمة الفلسفة، ونتعرض إلى تاريخ التسمية، وأقسام لفلسفة النظرية والعملية، وأنها قديما استخدمت في مقابل السفسطة، ومن هم السوفسطائيون؟ وما هو تعريف الفلسفة قديما؟ وما هو تعريفها حديثا؟ وعلى ما اقتصر البحث بعد تدوين الأسفار لصدر المتألهين؟، وما هي المسميات المختلفة للفلسفة؟ وهل تتفق؟ وهل تختلف؟ مثلا هل تختلف الفلسفة بالمعنى القديم عن الفلسفة الأولى؟ وما ذا عن الفلسفة العليا؟ وهكذا.

وقد اخترت تعريف الفلسفة وموضوعها وغايتها كما أشرت، وفق رؤية العلامة الطباطبائي في بداية الحكمة لقيمته الفلسفية ولما يقدمه من عرض تفصيلي يستوفي جميع جوانب هذا الموضوع .

وهو موضوع مهم لطلاب الفلسفة في السنوات الأولى والمهتمين، وذلك لأنني وجدت لبسا وخلطا وتشويشا لمصطلح الفلسفة والحكمة الإلهية لدي كطالب في قسم الفلسفة وكذا طلاب معي قضوا فترة لا تقل عن ثلاث سنوات في الدراسة عن بعد، إذ أن الفلسفة قد تطلق بمسميات متعددة ويقصد منها معنى واحدا، وقد يقصد منها معاني مختلفة، وبسبب عدم التمييز بينها فذلك ما يؤدي الى نتائج مغلوطة في الفهم.
فما المقصود بالحكمة والفلسفة بالاصطلاح القديم؟ وهل تختلف هذه عن مصطلح الفلسفة بالمعنى الأعم ؟ وما هو الفرق بينها وبين الفلسفة لدى المسلمين في هذا

العصر؟ وما المقصود بالإلهيات بالمعنى الأعم؟والإلهيات الفلسفية العليا بالمعنى الأخص؟ وهل المسميات المختلفة للفلسفة تعني معاني مختلفة أو لها معنى واحد؟ وهكذا.

لذا قررت أن آخذكم في رحلة فلسفية ممتعة في هذا المقال، ثم أوضح من خلال هذه الرحلة تعريف الفلسفة وذكر مسميات مختلفة لها، وموضوعها وشرح موجز لمفهوم الوجود، والتعرض للغاية من الفلسفة وأهمية هذا المقال، والنتائج التي توصلنا لها في حدود ما اطلعت عليه.

## المبحث الأول:

أصل تسمية الفلسفة:

الفلسفة أصلها يوناني تتألف من مقطعين phailos بمعنى (محب) والثاني Sophia بمعنى ( الحكمة ) فيكون أصل المعنى اليوناني أن الفلسفة بمعنى ( محب الحكمة ) وانتقلت إلى اللغة العربية بلفظ (فيلسوف) واشتق منه لفظ (الفلسفة). ومحب الحكمة اختاره سقراط لنفسه تواضعا وتعريضا بالسوفسطائيين ليوحي لهم بأنكم لستم أهلا لمسمى (الحكيم) لأنكم تستخدمون التعليم والتعلم لأهداف مادية وسياسية، وحتى أنا الذي استطعت رد تخيلاتكم بأدلة محكمة لا أرى نفسي أهلا لهذا اللقب، وأطلق على نفسي محب الحكمة.

والسوفسطائيون يطلق على كل واحد منهم (سوفيست) أي الحكيم والتي أفرغت من معنى الحكيم وتحولت إلى رمز لأسلوب التفكير والاستدلال القائم على أساس المغالطة (اليزدي، ١٩٩٠م، ج١، ص١٦ )

### تاريخ تسمية الفلسفة:

الفلسفة قديما استعملت مقابل السفسطة، وكانت تشمل جميع العلوم البشرية. أي أنها

اسم عام لجميع العلوم الحقيقية.

تقسيمات في الفلسفة (الحكمة): وضمن تلك الشمولية فإن الفلسفة (الحكمة) قسمت إلى العلوم النظرية والعلوم العملية، ( العلوم النظرية تشمل الطبيعيات والرياضيات والإلهيات) أما (العلوم العملية تشمل الأخلاق وتدبير المنزل وسياسة المدن) وشاع هذا المصطلح عند علماء المسلمين في العصور الأولى كما ذهب إلى ذلك ابن سينا في الإلهيات المقالة الأولى من الفصل الأول.

**الفلسفة منذ تدوين الأسفار لصدر المتالهين:**

واقتصر البحث في الفلسفة منذ تدوين الأسفار لصدر المتالهين على القسم النظري من الإلهيات بالمعنى الأعم والأخص ولم تتعرض للعلوم النظرية الأخرى كالرياضيات والطبيعيات فضلا عن العلوم العملية باستثناء كتاب المنظومة للسبزواري والذي احتوى مباحث الإلهيات والطبيعيات والأخلاق. فالفلسفة والحكمة قديما إذن، قسمت إلى (علوم نظرية وعلوم عملية وكانت تشمل جميع العلوم الحقيقية) أما الفلسفة والحكمة بعد تدوين الأسفار فاقتصرت على الحكمة الإلهية. ويتضح أن مصطلح الحكمة الإلهية يختلف عن مصطلح الحكمة أو الفلسفة بالمعنى القديم. والحكمة الإلهية لها مسميات مختلفة سنوردها في إحدى الفقرات التالية. لذا من المهم الانتباه إلى المصطلح الذي يتم استخدامه وتحديدد المعنى المراد منه، وبدون ذلك يؤدي إلى فهم مغلوط وترتيب نتائج خاطئة، بنيت على مقدمات ومفاهيم خاطئة.

**المبحث الثاني:**

وضحنا في المقدمة أصل تسمية الفلسفة وأنه يوناني الأصل، ويعني (محب الحكمة) وانتقلت الى اللغة العربية بلفظ (فيلسوف) واشتق منه لفظ (الفلسفة). وقلنا بأن محب الحكمة من اختيار سقراط وذكرنا بأن السوفسطائيين يطلق على كل واحد منهم (سوفيست) أي الحكيم وهو رمز لأسلوب التفكير والاستدلال القائم على أساس

المغالطة.

ثم عرجنا على تاريخ تسمية الفلسفة وأوردنا بأن الفلسفة قديما استعملت مقابل السفسطة، وأنها اسم عام لجميع العلوم الحقيقية.

وأن الفلسفة (الحكمة) قسمت الى العلوم النظرية والعلوم العملية، لكن بعد تدوين الأسفار لصدر المتالهين اقتصر البحث على القسم النظري من الإلهيات، باستثناء كتاب المنظومة للسبزواري والذي احتوى مباحث الإلهيات والطبيعيات والأخلاق.

**المطلب الاول: الإنتباه والتركيز لكل طالب ومهتم بالفلسفة:**

وعليه للأهمية نعيد ونؤكد بأنه ينبغي الانتباه والتركيز والاهتمام لكل طالب فلسفة ولكل مهتم لما سيأتي من مصطلحات فلسفية مهمة، ومن المؤكد أنها مرت على مسامعكم وقرأتموها بصورة متفرقة، وربما لذلك السبب قد لا تستهوي البعض لكني أنصح بالاهتمام بقراءة هذا المقال وأن لا تفوّتوا على أنفسكم ما يفيدكم.

**مصطلحات فلسفية:**

ستمر عليكم عند قراءتكم للكتب الفلسفية، مصطلحات مثل الفلسفة، والحكمة، والحكمة الالهية، والفلسفة الأولى وأم العلوم والعلم الأعلى، علم المتافيزيك، والإلهيات بالمعنى الأعم،الإلهيات الفلسفية، والحكمة والفلسفة بالمعنى الأعم. وإذا سألت أحد طلاب الفلسفة بأنك تدرس الفلسفة، ما ذا تعني لك هذه المصطلحات؟ وهل يمكنك إعطائي فكرة عن الفلسفة؟ وما هو تعريفها؟ وما هو موضوعها؟ وما هي غايتها؟ لماذا تدرس الفلسفة ؟وما الفائدة منها؟ سأجيب عن تلك الأسئلة وستتمحور الإجابة حول رؤية العلامة الطباطبائي لذلك ومع الاستعانة بكتب أخرى.

أهمية هذا المقال:

وتكمن أهمية هذا المقال في أنه يعرّف الفلسفة وموضوعها وغايتها ويورد المسميات المختلفة للفلسفة، ويقدم الصورة الواضحة في مورد واحد، بحيث يرفع اللبس

والتشويش الذي حصل بسبب تعدد هذه المصطلحات في الكتاب الواحد أو في كتب متعددة، كما أنه يرسخ الفهم بصورة سلسة لمن يقرأ هذا المقال وبالأخص لطلاب الفلسفة في المراحل الأولى.

فمصطلحات الفلسفة مثل، الفلسفة بالمعنى الأخص، والتي تعني الإلهيات بالمعنى الأعم، والحكمة الالهية، وتسمى بأم العلوم، والفلسفة العليا و«الفلسفة الأولى، العلم الالهي، العلم الأعلى، العلم الكلي، علم ما وراء الطبيعة، علم المتافيزيك وكذلك الالهيات الفلسفية، كل هذه مسميات لمسمى واحد ولمراد واحد هو الالهيات الفلسفية». (القشعمي، ١٩٩٩م: ص٥)

كل هذه المصطلحات تعني معنى واحد لدى الفلاسفة المسلمين في العصر الحديث، بينما كلمة الفلسفة بالمعنى الأعم (هي خلاف الفلسفة بالمعنى الأخص) والحكمة والفلسفة في الاصطلاح القديم لها معني واحد وتختلف عما هو لدى الفلاسفة المسلمين في العصر الحديث من المصطلحات المذكورة.

لذا من المهم الإنتباه إلى المصطلح الذي يتم استخدامه وتحديدد المعنى المراد منه، وبدون ذلك يؤدي إلى فهم مغلوط وترتيب نتائج خاطئة، بنيت على مقدمات ومفاهيم خاطئة. والآن حان دور تعريف الفلسفة بالمعنى القديم والمعنى الحديث.

**تعريف الفلسفة:**

الحكمة والفلسفة (بالمعنى الأعم) «بأنها عبارة عن العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه بقدر الطاقة البشرية»(١٣٣٧ش، ج: ص ٤٥) فالفلسفة والحكمة في الاصطلاح القديم أي من العهد اليوناني وحتى العصور الأولى للفلاسفة المسلمين كما هو عند ابن سينا، قسمت إلى علوم نظرية وعلوم عملية وتشمل جميع العلوم البشرية وأنها اسم عام لجميع العلوم الحقيقية.

الفلسفة والحكمة بعد تدوين الأسفار: اقتصرت على الحكمة الإلهية. ويتضح أن

مصطلح الحكمة الإلهية يختلف عن مصطلح الحكمة أو الفلسفة بالمعنى القديم.

**تعريف الفلسفة بالمعنى الأخص(الحكمة الإلهية):**

الوجه في أنهم سموا الحكمة الإلهية الفلسفة الأولى أنها تبحث حول أول الأمور في الوجود (العلة الأولى) وأول الأمور فى العمومية (الوجود ).

التعريف اللغوي للحكمة : «قبل أن نعرّف الحكمة الإلهية نعرّف كلمة الحكمة أولا، هي واحدة من الكلمات القرآنية، وقد عرف الراغب الأصفهاني الحكمة في المفردات : (الحكمة إصابة للحق بالعلم والعقل فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات) وهذا هو الذي وصف به لقمان في قوله عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) ... قال صلى الله عليه وآله وسلم : ( إنّ من الشعر لحكمة )» (كلبايكاني، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م،ج١، ص٣٢ )

وذكر العلامة الطباطبائي في تفسير الآية (٢٦٩) من سورة البقرة «يؤتي الحكمة من يشاء ) : «الحكمة هي القضايا الحقة المطابقة للواقع من حيث اشتمالها بنحو على سعادة الانسان كالمعارف الحقة الإلهية في المبدأ والمعاد . والمعارف التي تشرح حقائق العالم الطبيعي من جهة مساسها بسعادة الإنسان كالحقائق الفطرية التي هي أساس التشريعات الدينية» (الطباطبائي، ١٣٧٤ش، ج١، ص٢٩٥)

**التعريف الاصطلاحي للفلسفة الإلهية أو الحكمة الإلهية:**

«هي علم يبحث عن أحوال الوجود بما هو موجود»، (الطباطبائي، ١٤٠٦هـ ج١، ص٩)

«مؤلف بداية الحكمة يريد باصطلاح الفلسفة في هذا الكتاب خصوص القسم الأول من علوم الحكمة النظرية، وهو الالهيات بمعنييها الأعم والأخص،ولا تشمل القسم الثاني الرياضيات ولا القسم الثالث الطبيعيات». (الحيدري، ١٤٠٦هـ ج١، ص١٩ )

المهم في هذا التعريف هو كلمة ( بما هو موجود ) - وهو تعبير آخر عن الموجود المطلق الذي لا يحده حد، الوجود بدون أي قيد أي الإشارة الى جهة الاشتراك في الوجود التي تشترك فيها الموجودات بالاشتراك المعنوي وليس اللفظي. وهذه الكلمة

أيضا – ولنقل تسامحا القيد بالنظر الى العلوم الأخرى- تميز الفلسفة الأولى عن سائر العلوم، لأن العلوم الأخرى تبحث أيضاً عن أحوال الموجود لا المعدوم . لكنها لا تبحث عن الموجود على الوجه الكلي، بل تبحث عن الموجود الخاص، مثل العدد الذي هو موضوع علم الحساب والرياضيات، والكم المتصل الذي هو موضوع علم الهندسة، ونفس الإنسان الذي هو موضوع علم النفس وهكذا،

ما هو على عهدة الفلسفة بيان المعايير الكلية لتمييز الحقائق عن الموهومات، لا بيان كل الخواص والأحكام الوجودية للظواهر والموجودات، فهذه المباحث هي وظيفة سائر الفروع العلمية. (كلبايكاني، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ج١، ص٢٩)

«بناءً على هذا نقطة امتياز الفلسفة عن العلوم الأخرى هو أن الفلسفة تبحث عن الوجود بشكل مطلق، ولكن العلوم الأخرى تبحث حول الوجود الخاص والمقيد، مثلاً في علم النفس يبحث حول النفس والحالات الروحية للإنسان، وفي الفيزيولوجيا يكون الكلام حول البدن والأعضاء وأجهزة البدن وكيفية عملها، وفي الهيئة يكون البحث حول الكرات السماوية. وكذلك علم البيئة والفيزياء والكيمياء والحساب والهندسة والجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع وغيرها، فكل منها يبحث حول موجود وأمر خاص. وفقط الفلسفة الأولى والحكمة الإلهية التي توجهت إلى الموجود المطلق وتبين قوانينه العامة». (كلبايكاني، ٢٠٠١م، ج١، ص ٣٦)

وفضلا عما اخترناه للعلامة الطباطبائي من تعريف للفلسفة، فقد عرض آية الله الشيخ مصباح اليزدي في كتابه المنهج الجديد في تعليم الفلسفة:

لكلمة (فلسفة) أيضا اصطلاحات متعددة أهمها:

«أ – جميع العلوم الحقيقية .

ب – العلوم الحقيقية إضافة إلى بعض العلوم الاعتبارية كالآداب والمعاني

ج – العلوم غير التجريبية كالمنطق والإلهيات وعلم الجمال وغيرها .

د خصوص ما بعد الطبيعة والإلهيات

كما ويستعمل تعبير (الفلسفة العلمية )، في موارد مختلفة :

أ- مشروع دراسة العلوم التحققية ( الفلسفة الوضعية ) .

ب - الفلسفة الماركسية ( المادية الديالكتيكية )

ج - علم الأساليب ( ميثودولوجي )» (اليزدي،١٤١١هـ-١٩٩٠م، ج١، ص٥٨)

**غاية الفلسفة**

«الغاية المتوخاة من الفلسفة هي: معرفة الموجودات على وجه كلي، ومعرفة العلل العالية للوجود - وبالأخص العلة الأولى، وتمييز الموجودات الحقيقية عن الاعتباريات، وتمييز الموجودات الحقيقية عن الوهميات، أما معرفة الموجودات على وجه كلي فهو بحث الإلهيات بالمعنى الأعم، وأما معرفة العلل العالية والعلة الأولى فهو بحث الإلهيات بالمعنى الأخص، وأما تمييز الموجودات الحقيقية عن الاعتباريات فيقصد به تمييز الموجودات الحقيقية المتحققة في الخارج عن الاعتباريات التي وإن لم تكن متحققة في الخارج إلا أن لها نحو تحقق في عالم الاعتبار، كما هو الحال في الملكية مثلاً، فهي وإن لم يكن لها وجود خارجي خاص بها وراء وجود المالك ووجود المملوك، إلا أنها تابعة لجعل المعتبر ولها نحو وجود وتحقق في عالم الاعتبار، وأما تمييز الموجودات الحقيقية عن الوهميات التي لا تحقق لها في عالم الخارج، ولا في عالم الاعتبار والجعل، وذلك كتصور أنياب الغول». (الحيدري، ١٤٠٦هـ ج١، ص ٢٢)

**الغرض من هذا التمييز**

والغرض من هذا التمييز بين الموجودات الواقعية والموجودات الاعتبارية والوهمية هو إشباع الميل الفطري لدى الإنسان في البحث عن الحقائق والواقعيات، فالإنسان يندفع بمقتضى غريزته لتمييز الموجودات الحقيقية عن الوهميات والاعتباريات، لأن الموجودات إن كانت حقيقية

فهو يطلبها إن كانت نافعة، ويطردها إن كانت ضارة، أما إذا كانت وهماً فلا يكون طالباً لها ولا هارباً منها. يقول المصنف في متن البداية : «لكنه ربما أخطأ في نظره، فرأى ما ليس بحق حقاً واقعاً في الخارج، كالبخت والغول، أو اعتقد ما هو حق واقع في الخارج باطلاً خرافياً، كالنفس المجردة والعقل المجرد، فمست الحاجة بادئ بدء إلى معرفة أحوال الموجود بما هو موجود، الخاصة به، ليميز بها ما هو موجود في الواقع مما ليس كذلك». ويؤكد المصنف حقيقة أن الإنسان طالب لمعرفة الحقائق، وذلك من خلال ترتيب المقدمات التالية:

إن الإنسان يعلم بالبداهة والوجدان أن لنفسه واقعية، وأن ذاته ليست بوهم واهم، فلو أنه شك في كل شيء فلا يمكنه التشكيك في وجود نفسه، إذ نفسه حاضرة عنده ومعلومة له بالعلم الحضوري الوجداني. إن الإنسان يؤمن بالبداهة والوجدان أن الواقعية ليست من نصيب ذاته فحسب، بل ثمة واقعيات أخرى موجودة خارج ذاته.

إن الإنسان يدرك بفطرته أن بإمكانه التوصل إلى تلك الواقعيات الخارجة عن ذاته وإدراكها ولو بنحو الإجمال الجزئي. ويشهد لكون ذلك أمرا فطريا أن طلب الحقيقة غير مختص بالإنسان البالغ العاقل، بل إن الطفل نفسه يدرك الواقعية ويطلبها أيضا وحسب تعبير المصنف في متن البداية: فالطفل الذي يطلب الضرع -مثلا- إنما يطلب ما هو بحسب الواقع لبن، لا ما هو بحسب التوهم والحسبان كذلك. (الحيدري، ١٤٠٦هـ، ج١، ص٢٢) أذن ما تقدم يوضح لنا الغرض من الفلسفة وأهمية وضرورة ذلك الغرض.

**النتائج:**

من خلال ما تقدم يمكننا القول بأننا قدمنا معلومة مفيدة مترابطة في مورد واحد، وذلك حسب رؤية العلامة الطباطبائي اعتمادا على كتاب بداية الحكمة كمصدر أساسي، وبعض الشروحات للكتاب مثل شرح الشيخ علي الكلبايكاني وشرح سيد كمال الحيدري،ومصادر أخرى، كما ويمكننا القول بأنا رفعنا لبسا وتشويشا حاصلا لدى الكثير في مفهوم الفلسفة والمقصود منها، وأن هذا المقال سيغني الكثير من طلاب الفلسفة في المراحل الأولى، وسيوفر عليهم جهدا مضاعفا، وهم سيجدون الفائدة الكبيرة في هذا المقال والصورة الإجمالية للتعرف على الفلسفة وموضوعها وغايتها وكذا مصطلح الوجود. ولا أعني بذلك استغناؤهم عن الرجوع الى الأصل والشروحات والكتب الأخرى، وإنما كما قلنا بأننا قدمنا معلومة دقيقة مفيدة مترابطة في مورد واحد كنا بحاجة إليها والكثير كان بحاجة إليها، لتوفر علينا شوطا طويلا وجهدا كبيرا.

وتكون التوصية بتقييم الدراسة عن بعد، بحيث ينصب الإهتمام على استيعاب وفهم وهضم كل علم وموضوعه وغايته قبل الدخول في مستويات أعلى والتأكد من الفهم في الفصول الأولى، ومن غير المعقول مضي فترات دراسية لا يستوعب فيها الطالب المفاهيم الأساسية للعلم الذي يدرسه، التي قد تكون الخطط الدراسية والإرشادية أحد أسبابها، لذلك مطلوب أن تكون الخطط والمناهج الدراسية الجامعية والإرشادية على درجة عالية من التركيز، بحيث تتواصل دراسة مواد أي تخصص من أي قسم في كل فصل، وبشكل متتابع وبتدرج دون انقطاع في بعض الفصول، فإن عدم استمرارية مواد التخصص المترابطة في كل فصل يسبب فجوة في الفهم، ويؤدي الى خلل في ترسيخ المعلومة، وابتعاد عن بيئة مواد التخصص، وتخُفْ الطاقة والدافعية لتلك المواد، وبالتالي الحاجة الى جهد ذاتي وزمني مضاعف،وبالذات المواد ذات المستويات المتعددة. وأن يدرّس مواد التخصص أساتذة متخصصون وأن يكون ملما بلغة العلم الذي يدرسه ولغة الطالب، وله القدرة في إيصاله.

**المصادر:**


١. آملي، محمد تقي(١٣٣٧ش)، درر الفوائد في تعليقه على المنظومة للسبزواري، مركز نشر كتاب.

٢. الحيدري، سيد كمال (١٤٠٦هـ)، شرح بداية الحكمة- بقلم رزق،الشيخ خليل، الناشر دار المعرفة الاسلامي، الطبعة الثانية.

٣. الطباطبائي، السيد محمد حسين (١٤٠٦هـ )، بداية الحكمة، الناشر دار المعرفة الاسلامي، الطبعة الثانية.

٤. الطباطبائي، السيد محمد حسين(١٣٧٤ش)، الميزان في تفسير القرآن، المترجم سيد محمد باقر موسوي همداني، ط بيروت

٥. القشعمي، الشيخ محمد صالح البارباري(١٩٩٩م)، الإلهيات الفلسفية العليا بالمعنى الأخص، المحجة البيضاء، دار الرسول الأكرم، بيروت،لبنان الطبعة الأولى

٦. كلبايكاني، علي رباني(٢٠٠١م)، ايضاح الحكمة في شرح بداية الحكمة، شقير، ترجمة الشيخ محمد، الجزء الأول، دار الهادي، الطبعة الثانية.

٧. اليزدي، محمد تقي المصباح(١٩٩٠م)، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، ترجمة الخاقاني، محمد عبدالمنعم، بيروت،لبنان، الناشر دار التعارف للمطبوعات.

# القضايا الكلامية والفقهية للبقيع

مصطفى الحوري[1]

**الملخص:**

تعتبر مقبرة البقيع من المعالم والآثار الإسلامية المهمة والمقدسة عند المسلمين، وذلك لما حوته من قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام و قبور الكثير من الصحابة الاجلاء رضي الله عنهم، وكذلك لما أولته الشريعة الإسلامية من الإهتمام بها واعطائها مكانة متميزة وخاصة من بين المقابر الإسلامية،. وعليه فإن المؤرخين اهتموا بهذه المقبرة التاريخية والإسلامية اهتماماً بالغاً في كتبهم

تبين من المبحث الاول في البحث هو جانب فقهي بإن المقصد من البناء القبور هو المراد الاول هو إنشاء بنيان وقباب ذات جدران وأسقف بالمنازل. ثم تم طرح أهم الادلة التي نستدل بها على جواز البناء على القبور وتحتوي الادلة النقلية من الكتاب والسنة والسيرة المتشرعية العقلائية.

تم أستعراض أهم أدلة المخالفين وهم فئة (الواهبية) بالخصوص وذكر برأي المتشددين منهم أمثال أبن تيمية. ذكرنا موقف أهل السنة وما جاءت به من روايات من صحاحهم ، وسننهم أستدلالاً وتحليلاً لجواز البناء على القبور. اما في المبحث الثاني هو الاثار العقائدية التي تترتب على ذلك ، ورد أهم الاشكالات وجوابها ، والتعرض على مسألة

١ . الطالب مصطفى الحوري، قسم علوم القرآن والحديث، جامعة المصطفى العالمية المفتوحة، @gmail.com١٢Mustafaalhoorey

التبرك وأثارها. أخيرًا ، والنتيجة البحث ، ورسالة موجهة لكل عاقلٍ مسلم للتعقل وإدراك ماجاء به النبي (ص) وبينه في أتباع الحق والثقلين كتاب الله وعترته.

الكلمات الرئيسية: أئمة البقيع، مقبرة البقيع، البناء على القبور، أدلة المخالفين، أدلة الموافقين، التبرك، إشكالات.

المقدمة:

أئمة البقيع هم أربعة من أئمة الشيعة المعصومين (عليهم السلام) المدفونين بالبقيع، وهم: الإمام الحسن المجتبى والإمام السجاد والإمام محمد الباقر والإمام الصادق عليهم السلام. وكانت لقبورهم بقع وقباب فيما مضى إلى جانب سائر القبب، لكن تعرضت القبور للهدم سنة ١٣٤٤ هـ على يد الوهابية.

أوّل من دفن في البقيع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأنصار أسعد بن زرارة الأنصاريّ، وأوّل من دفن فيه من المهاجرين عثمان بن مظعون.

رُوي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في فضل مقبرة البقيع أنه قال: (يخرج يوم القيامة من هذه المقبرة نورٌ يضيء السموات والأرضين)، ورُوي أيضاً: أنه كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقف على القبور في البقيع ويقول: (السلام عليكم يا أهل القبور من المؤمنين والمسلمين)، ورُوي عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يخرج من البيت في الليل دائماً، فتصورت أنه يذهب إلى إحدى نسائه، وفي إحدى الليالي تبعته خفيةً فرأيته ذهب إلى زيارة البقيع، وعندما رآني قال: (إني مأمور من قبل الله عز وجل أن أستغفر لأهل البقيع) مضمون الحديث.

تعتبر مقبرة البقيع من المعالم والآثار الإسلامية المهمة والمقدسة عند المسلمين، وذلك لما حوته من قبور أئمة أهل البيت عليهم السلام و قبور الكثير من الصحابة الاجلاء رضي الله عنهم، وكذلك لما أولته الشريعة الإسلامية من الإهتمام بها واعطائها مكانة متميزة وخاصة من بين المقابر الإسلامية،. وعليه فإن المؤرخين اهتموا بهذه المقبرة التاريخية والإسلامية اهتماماً بالغاً في كتبهم، تقع روضة مقبرة البقيع في قلب ووسط المدينة المنورة وهي مجاورة لحرم النبي صلى الله عليه وآله، وتقع في الجهة الشرقية لمسجد النبي صلى الله عليه وآله حيث ان الخارج من باب جبرائيل عليه السلام من حرم النبي صلى الله عليه وآله من أبوابه الشرقية تكون مقبرة البقيع مقابلاً له. ولقد جعل للبقيع ثلاث أبواب: فالباب الأول يقع في شرقه، والثاني في الجهة الشمالية، والثالث في غربه وهي البوابة الرئيسية فيه وهي التي تكون دائماً مفتوحة ويتم من خلالها إدخال جنائز الموتى ودخول الوافدين لزيارة قبور أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله واصحابه المنتجبين.

وعلى مدى التاريخ لقد بنى أصحاب المذاهب الإسلامية وخاصة الشيعة مبانٍ على قبر بعض كبارهم وعلمائهم وقادتهم ,لهذا الامر تاريخٌ عريق يبدأ من صدر الإسلام ٬بحسب المصادر الروايات لم لاقِ هذا الامر أي اعتراض من قبل الصحابة والتابعين ,ولكن اعتفدوا الوهابية بإن تشيد البناء على القبور يهئ البيئة لعبادة تلك المزرات وبالتالي الشرك في عبادة الله.. وفي هذا البحث سأسلط الضوء على القضايا الفقهية من جانب المؤيد والمعارض للمسألة ومما يؤثر من الجوانب العقائدية والاعتقادية لدى الفرد والمجتمع

## المبحث الأول: المبحث الفقهي

### المطلب الأول : المقصد من البناء على القبور من ناحية فقهية

عندما يُطلق عبارة البناء على القبور في المصنفات الفقهية الإسلامية ,يراد بها معنين:

الأول: هو إنشاء بُنيان وقِباب ذات جدران وأسقف شبهة بالمنازل على القبر وتسمى عند عموم المسلمين مقامات وأضرحة (ويندرج تحت هذا المعنى بناء المساجد على القبور)

الثاني: هو البناء على القبر بحيث يكون مرتفع عن الأرض بمقدار ليس بالكثير ,ويتم ذلك اما بالرخام او الحجارة او الاسمنت او أي مادة أخرى يصلح معها صدق بناء وهذا ما يصطلح عليه عندهم بالتجصيص والتطيين

### المطلب الثاني: ادلة البناء على القبور:

يمكن استعراض أهم الأدلة في المسالة التي تكون محكمة ولا يصح الى احدٍ النقاش في اعتبرها وحجيتها:

الدليل الأول:في القران الكريم:

قوله تعالى: «قَالَ الّذينَ غَلَبوا عَلَى أَمْرهمْ لَنَتّخذَنّ عَلَيْهم مّسْجدًا».( الكهف: ٢١)

تقريب الاستدلال:

أخبرنا الله تعالى عن المؤمنين الذين قرّوا أن يتّخذوا من مضجع الفتية المؤمنة مسجداً يسجدون له سبحانه فيه، ويعبدونه وهم مؤمنون وليسوا بمشركين، ولم يذمّهم الله تعالى على ذلك.

وممّا لا شك فيه أن شأن الأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، أرفع من شأن أولئك الفتية، فإذا جاز بناء قبورهم، فبالأولى جواز ذلك بالنسبة إلى الأنبياء والأئمة (عليهم السلام).

فيظهر من الكتاب أنّ البناء على القبور، بل بناء المسجد عليها كان جـائزاً في الشرائع السابقة، وأنّ الناس عندما وقفوا على مكان أجساد أصحاب الكهف اختلفوا على قولين: فمن قال: (ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً)، ومن قال: (لَنَتَّخِذَنّ عَلَيْهِم مَسْجداً)

كما قال في كتاب الحلل والنحل لأية الله السبحاني (دام ظله): «والاستدلال بالآية واضح لمن يرى القرآن قـدوة وأُسـوة وفيـصل حق, فإنّ القرآن ينقل كلا القولين، من دون أن ينتقدهما أو يعترض عليهما بـــل الظاهر أنّه ينقلهما بصورة التحسين، وأنّ أصحاب الكهف بلغ بهم ثباتهم في طريق العقيدة إلى حد لما عثر عليهم الناس اجتمعوا على تكريمهم واحترامهم، بل التـبرك بهم، فمن قائل بلزوم البناء عليهم, وآخر باتخاذ مراقدهم مسجداً، وليس القرآن كتاب قصة وأُسطورة، وإنما هو كتاب إرشاد وقدوة وإمام لـنا فلم يذم بناءهم على القبور, فلو كانوا في عملهم هذا ضالّين لاعـترض على عملهم، كما هو الحال فيما ينقل عن المشركين، والكافرين، عملا، أو رأيا».(السبحاني ، ١٤١٤ق، ج ٤، ص ١٩٧-٢٠٨)

٢- قوله تعالى: «قل لّا أَسْأَلكمْ عَلَيْه أَجْرًا إلّا الْمَوَدّةَ في الْقرْبَى».(الشورى: ٢٣)

تقريب الاستدلال:

هذه الآية على وجوب مودّة قربى الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهو وجوب مطلق لم يقيد بزمان دون آخر، ولا مكان دون مكان، ولا كـــيفية دون أخرى. وممّا لا شك فيه أن تعهد قبر شخص ما بالبناء والإعمار والتجديد من جملة المصاديق العرفية لهذه المودّة.

**تعظيم شعائر الله تعالى**

فإن القرآن الكريم وإن لم يصرح على بناء قبور الأنبياء والصالحين بالخصوص, لكنه صرح بتعظيم شعائر الله تعالى بقوله: «ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب».(الحج: ٣٢)

ذُكر في مركز الأبحاث الاعقائدية:

ولا شك ولا ريب أن صون المعالم الدينية عن الاندراس ـ كالمشاهد المتضمّنة لأجساد الأنبياء والصالحين ـ وحفظها عن الخراب بالبناء والتجديد، نحوٌ من أنحاء التعظيم.

**السيرة المستمرة بين المسلمين:**

لم يزل الإلهيون من أهل الكتاب والمسلمين في قاطبة الأعصار يهتمون بمقابر الأنبياء والأولياء بالبناء والتعمير، ثم التطهير والتنظيف، حتّى نرى أنّ كثيراً من المتمكّنين يخصصون أموالهم ويوقفونها في هذا المجال.

فهذه القباب الشاهقة، والمنائر الرفيعة، والساحات الوسيعة حول مراقد الأنبياء والأولياء، في مختلف البلاد شرقها وغربها، وهذا دليل قاطع على أنّ هذه السيرة كانت مرضية عن صاحب الشريعة وخلفائه وأصحابه، وإلاّ كان عليهم رفضها وردها بالبنان والبيان، والسلطة والقوة، فالسكوت في بعض الفترات ودعمها في بعض الأحايين أدلّ دليل على كونها سيرة مرضية

كثيرٌ من بحث في أدلتهم وأثبت عدم صحة رايهم ولكن أذكر اهم ماجاو به مما له الأثر في ما وصل له حال البقيع الان من هدم للقبور والقباب التي كانت مشيدة، بسبب الفتاوى الموجودة في ذلك:

فإنّ ابن تيمية الوهّابـــي هو أول من أفتى بحرمة البناء على القبور، سواء أكان صاحب القبر صالحاً أم طالحاً. يقول تلميذ ابن تيميّة المسمى بابن القيم: «يجب هدم المساجد الّتي بنيت على القبور، ولا يجوز إبقاؤها بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً»(ابن القيم، ١٩٩٨م، ص ٦٦١)، كما ويقول ابن باز بذلك.

واسـتدلّ الوهّابيّة بقوله تعالى:

«قاتل اللّه اليهود اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(بخارى، ١۴٢٢ق، كتاب الجنائز، ج ٢: ص ١١١) لـــكن مذهب الوهّابيّة باطـــــل ؛ لكونه مخالفاً لإجماع المذاهب السلف ومخالفاً لـــ سيرة المسلمين وعملهم منذ أن ارتحل النبي الأكرم إلى يومنا هذا...فـقد دفن النبي الأكرم في بيته الرفيع، ولم يخطر ببال أحد من الصحابة الحاضريـن أن البناء على القبر حرام، وأنه ـ صلّى الله عليه وآله ـ نهى عنه نهياً شديداً، ولما كان البيت متعلّقاً بزوجته (عائشة) جعلوا في وسطه ساتراً، ولما توفي الشيخان أوصيا بدفنهما في حجرة النبي ـ صلّى الله عليه وآله ـ تبرّكاً بذاته ومكانه، ولم تسمع من أيّ ابن أُنثى نعيـرة أنّه حرام ولا مكروه، وعلى ذلك استمرت سيرة المسلمين في حق الصلحاء والأولياء والعلماء، يدفنونهم في البيوت المعدّة لذلك، أو يرفعون لمراقدهم قواعد وسقفاً بعد الدفن تـــكريماً لهم وتقـــديراً لتضحياتهم، ولم يخطر ببال أحد أنه على خلاف الدين والشرع .

وهؤلاء أئمة المذاهب: الشافعي في مصر، وأبو حنيفة في بغداد، ومالك في المدينة، وتلك قبورهم من عصرهم إلى اليوم شاهقة القباب, وهـــذا كافٍ لـمشروعيّة البناء على القبور، ولا عـبرة بالرأي الشاذ.

والمسلمون من عهد النبي (صلى الله عليه وآله) إلى اليوم، فليس منهم من يعبد صاحب القبر، وإنما يعبدون الله وحده لا شريك له, في تلك البقاع التي يعتبرونها كريمة، لأنها

متضمنة لتلك الأجساد، وبكل فرض وتقدير فالحديث يتبرأ أشد البراءة من الدلالة على جواز هدم القبور فكيف بالوجوب؟!

## المطلب الرابع: موقف أهل السّـنة

١-جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حجراً كبيراً على قبر الصحابي الجليل عثمان بن مظعون ليكون علامة بارزة مميزة لقبره الشريف ليعرف وليدفن النبي (صلى الله عليه وآله) أهل بيته وخواصه عنده فميّزه بتلك الحجارة كما جاء في بعض الأخبار منها:

ما رواه أبو داود عن المطلب قال: لما مات عثمان بن مظعون أخرج بجنازته فدفن فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) رجلاً أن يأتيه بحجر فلم يستطع حمله فقام إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحسر عن ذراعيه, قال كثير: قال المطلب: قال الذي يخبرني ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: كأني أنظر إلى بياض ذراعي رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين حسر عنهما ثم حملها فوضعها عند رأسه وقال: «أتّعلّمُ بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي». (الأزدي السَجِسْتاني، دون التاريخ، ج٢: ص ٨١)

٢-حديث زيارة الزهراء (عليها السلام) لقبر عمها الحمزة (عليه السلام) وترميمه وتعليمه منها: ما رواه ابن سعد في طبقاته عن أبي جعفر قال: كانت فاطمة تأتي قبر حمزة ترمّه وتصلحه.(الزهري، ١٩٩٠ م، ج ٣: ص١٩)

٣- قبر إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد وضع النبي عليه بنفسه حصباء من حصباء العرصة.(البيهقي، ٢٠٠٣ م، ج٣: ص ٤١١)

٤-قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله): وقد اهتم به المسلمون وأهتموا بالحجرة الشريفة المحيطة به.

٥-توسيع الصحابة والتابعين المسجد النبوي وإدخال قبر النبي (صلى الله عليه وآله) فيه بعد هدم بيوت النبي (صلى الله عليه وآله)

قال الشوكاني لما احتاجت الصحابة والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين كثر المسلمون وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه, وفيها حجرة عائشة مدفن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصاحبيه أبي بكر وعمر بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر (القبر الشريف) في المسجد فيصلي إليه العوام ويؤدي إلى المحذور.(الشوكاني، ٢٠١١م، ج٢: ص١٣٩)

## المبحث الثاني: الأثر العقائدي

أعتقدوا الواهبية متوهمين بإن الشيعة مشركين بالله تعالى لبناء القبور بحيثُ انهم يعبدون القبر دون الله تعالى وهذا مازرعَ كثير من الذين لا حضَ لهم من العلم والمعرفة ويتبعون كل نائع من غير تبين والرجوع الى للحقائق الأمور والأخذ بجانب التعقل والاعتبار فلذا هذا الامر محط الكلام والاجابة عليه يكون عن طريق نقاط:

النقطة الأولى: طرح الأسئلة وإشكالات وردها:

١-هل ان الشيعة فعلاً يعتقدون بالقبر هو معبودهم ؟أم هم يتوسلون بما فيه لانه وسيلة الى الله؟

وانتم تقولون بإن التوسل بالنبي ليس شركاً !

٢- من قال أن التوسل مختص بالنبي (ص) وحصور فيه

٣- أنتم تقولون مشروعية الجواز التوسل بالنبي(ص)في حين ابن تيمة والواهبية لا يعتقدون حتى بالنبي (ص) ويعتبرونه شركاً!

-الرد على الإشكالات:

١-إن الله تعالى موجود في كل مكان ٬فماذا يتوجه ابن حيان الى قبر الرضا(ع)ليطلب من الله تعالى لحل مشاكله(١١) ؟ فمن المعلوم أن جواز قبر الرضا(ع) خصوصية وموضوعية بحيث إن ابن حيان قصده مراراً عديدة، فلم يكتفي بالمرة.

٢- اعتراض المسلمين عن أهل البيت (ص) الذي قيل فيهم(اني تاركٌ فيكم الثقلين)

٣-إنحراف الواهبية عن خط السلف ,لان السلف كانوا يتبركون ويتثلون اما الان فإن هكذا يفعلُ بالقبور !

النقطة الثانية: التبرك وأثاره:

في قصة يعقوب (عليه السلام) وشفائه وعودة بصره بواسطة قميص يوسف (عليه السلام):

«اذهَبُوا بِقَمِيصِي هُذَا فَأَلقُوهُ عَلَىٰ وَجهِ أَبِي يَأتِ بَصِيرًا ... فَلَمَّا أَن جَاءَ البَشِيرُ أَلقَاهُ عَلَىٰ وَجهِهِ فَارتَدَّ بَصِيرًا»(يوسف: ٩٣-٩٦) فأنت يا أخي ترى أن ملامسة قميص يوسف (عليه السلام) لا يفرجع البصر فحسب وإنما يأمر به نبي الله يوسف الصديق (عليه السلام) الذي وصفه تعالى بأنه من المخلصين أي الموحدين الخالصي التوحيد، وكذلك نبي الله يعقوب (عليه السلام).

ذلك ويقول: «وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ قَالَ أَبُوهُم إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَولَا أَن تُفَنِّدُونِ».(يوسف: ٩)

وترى المسلمين وخصوصاً الصحابة كيف كانوا يتبركون بآثار النبي (صلى الله عليه وآله) بل ويتنافسون عليها ويستأثرون بها مثل شعرات النبي (صلى الله عليه وآله) أو بصاقه أو فضل وضوئه أو عرقه الشريف أو لباسه أو حتى نعله أو التراب الذي يمشي عليه، بل إن النبي (صلى الله عليه وآله) لمّا صنع له منبر وكان قبله يخطب على جذع نخلة ميت أنّ عليه أناَ لم يسكت ولم ينتهي حتى عاد له النبي (صلى الله عليه وآله) واحتضنه فانتهى فقال (صلى الله عليه وآله) للصحابة والله لو تركته لبقي يئنّ إلى يوم القيامة، أفيكون الجذع أفضل منا!!

ومشروعية التبرك مسلّمة عند جميع الاديان وعند جميع المسلمين بما فيهم الوهابية (السلفية)!! فعند شيخهم ومحدثهم ومتعصبهم المتشدد محمد ناصر الدين الالباني كتاب التوسل يذكر فيه الفرق بين التوسل والتبرك ويثبت فيه التبرك.

وروايات تبرك الصحابة بالنبي (صلى الله عليه وآله) تملأ كتاب البخاري وغيره.

وهناك رواية تبين أهمية التبرك بلباس النبي (صلى الله عليه وآله) وشرفه وفائدته حتى للميت, كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله) مع أمّف أمير المؤمنين فاطمة بنت أسد عند موتها فألبسها قميصه ونزل ونام في قبرها، وقال: ألبستها قميصي لتلبس ثوباً من ثياب الجنة، وفي رواية: ليرحمها الله ويغفر لها، وتمدد (صلى الله عليه وآله) في القبر لكي تنجو من ضغطة القبر.

فيا أخي العزيز، من المسلم لدى المسلمين جميعاً بأن أهل البيت (عليهم السلام) من رسول الله وبضعة منهف، لقوله (صلى الله عليه وآله): (فاطمة بضعة مني)، (حسين مني وأنا من حسين)، (علي مني وأنا منه) وغيرها، فالتبرك بهم وبآثارهم كالتبرك برسول الله (صلى الله عليه وآله) وآثاره.

قال إبن قدامة المقدسي الحنبلي في المغني

قال: وأما المنبر فقد جاء فيه يعني ما رواه ابراهيم بن عبدالرحمن بن عبدالقاريء أنه نظر إلى ابن عمر وهو يضع يده على مقعد النبي (صلى الله عليه وآله) من المنبر ثم يضعها على وجهه.

وروي عن علي (عليه السلام) عن فاطمة (عليها السلام) أنها أخذت قبضة من تراب قبر النبي (صلى الله عليه وآله) فوضعتها على عينها وأنشدت:

ماذا على مَن شمَّ تربة أحمد ***** أن لا يشم مدى الزمان غواليا

فهذا أيضاً من التبرك المتسالم بين الجميع.

وهناك المزيد من أشعار العرب والاستدلالات الاخرى تدل على أن مثل هذا السلوك مقبول لدى الناس:

أمرّ على الديار ديار ليلى ***** اقَبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي ***** ولكن حبّ مَن سكن الديارا

(ابن قدامة، ١٩٦٨م، ج١٣: ص ٥٨٨)

وكذا تقبيل غلاف القرآن مسَلَّمٌ عند جميع المسلمين لانه ملامس للشريف.

وهكذا الشيعة عندما يزورن القبور الائمة ذلك لاخذ البركة منهم لانهم وسيلة الى الله وبابُ الله معتقدين بإن في تربتهم الشفاء للمرضى وبهم يُنفس الكرب ولن يعرفوا ذلك من لا يذق طعم العسل.

وأخيراً:

كلمة الى للعاقل من المسلمين عندما قال النبي الاكرم (ص): (اني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا) الضلال بعد النبي واضحٌ جليً والايمان بالمبحث دون جانب لا يصل الانسان الى الحقائق وطلب المعرفة فلذا كن محقاً مع نفسك وأبحث عن الدين والإسلام عن مصادره المحقة ولا تاخذك الاهواء، الضمير قد يشوبه شيُ من الخلل والخطا فرجع الى صوابك وكن محق مع نفسك ,ارجع لأهل العلم والفضل في الامة وهم اهل البيت (عليهم السلام) من بعد رسول الله - والله المستعان وثبتني الله على ولاية محمد واله الاطهار وجعلني ممن ينتصر للحق ونتصر لهم الى اخر العمر حتى أفنى في سبيلهم تحت راية الحق لأمامي الحجة ابن الحسن (صلوات الله عليهم).

**النتيجة:**

أثبتنا بالأدلة من الفريقين بجواز البناء على القبور ، والرد على اهم الإشكالات التي ورد من ناحية عقائدية وفقهية مستعيناً بالادلة النقلية والعقلية لتدعيم ذلك.

كلمة الى للعاقل من المسلمين عندما قال النبي الاكرم (ص): (اني تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا) الضلال بعد النبي واضحٌ جليً والايمان بالجانب دون جانب لا يصل الانسان الى الحقائق وطلب المعرفة فلذا كن محقاً مع نفسك وأبحث عن الدين والإسلام عن مصادره المحقة ولا تاخذك الاهواء، الضمير قد يشوبه شيُ من الخلل والخطا فرجع الى صوابك وكن محق مع نفسك ,ارجع لأهل العلم والفضل في الامة وهم اهل البيت (عليهم السلام) من بعد رسول الله - والله المستعان وثبتني الله على ولاية محمد واله الاطهار وجعلني ممن

ينتصر للحق ونتصر لهم الى اخر العمر حتى أفنى في سبيلهم تحت راية الحق لأمامي الحجة ابن الحسن (صلوات الله عليهم).

**المصادر:**


١. ابن القيم، أبو عبدالله شمس الدين محمد بن ابي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي(١٩٩٨م)، كتاب زاد المعاد في هدى خير العباد، العربية، مصر (القاهرة )، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية.

٢. ابن قدامة، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد (١٩٦٨م)، المغني، مصر - القاهرة، الطبعة الأولى.

٣. الأزدي السَجِسْتاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو(دون التاريخ)، سنن ابن داود، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٤. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي(٢٠٠٣ م)، (السنن الكبرى)، السنن الكبرى المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان,الطبعة: الثالثة.

٥. بخارى، محمّد بن اسماعيل(١٤٢٢ق)، صحيح البخارى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة.

٦. البيهقي، أبو بكر (٢٠٠٣ م)، السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧. الزهري، حمد بن سعد بن منيع(١٩٩٠ م)، الطبقات الكبرى، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

٨. السبحاني، جعفر(١٤١٤ق)، بحوث في الملل والنحل، قم، موسسه النشر الاسلامي.

٩. الشوكاني، محمد(٢٠١١م)، نيل الأوطار، مؤسسة الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية.